( الجزء الثامن عشر )

من تفسير الامام الكبير والعلامة الشهير من أطبقت
الامة على تقدمه فى التفسير وجعلته حجة اذا
وقع النزاع فى التعبير الامام أبى جعفر
محمد بن جرير الطبرى المسمى
جامع البيان فى تفسير
القرآن رحمه الله
وأثابه رضاه
آمين

( ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش الجزء الثامن عشر
من تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام
الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى
قدست أسراره )

( تنبيه )

طبع تفسير ابن جرير على النسخة الحاضرة من خزانة (أمراء نجد)
آل رشيد * لازالت الايام تتلألأ بزواهر مجدهم ولا برح
الانام يغترف من بحار برهم وذلك بعد مقابلة تلك النسخة
على النسخة الموجودة بالكتبخانة الخديوية لازالت أشعة النفع
بها تستمد منها سائر البريه وقد بذلنا الطاقة فى تصحيحها ومراجعة
ما يحتاج الى المراجعة من مظانه الموثوق بترجيحها مع عناية جمع
من أفاضل علماء مصر بالتصحيح تذكر أسماؤهم آخر الكتاب

( طبع بالمطبعة الميمنية بمصر )

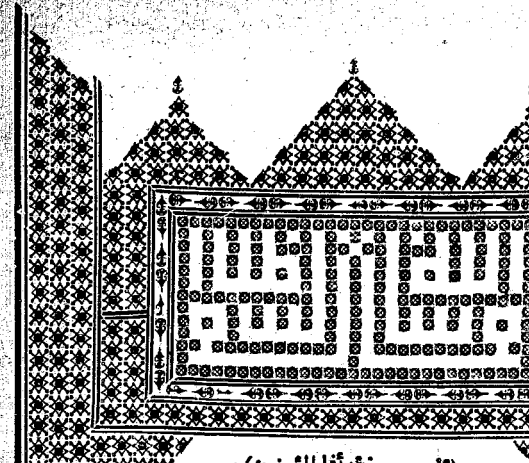

*(تفسير سورة قد أفلح المؤمنون)*

بسم الله الرحمن الرحيم

*(سورة المؤمنين مكية وحروفها ٤٨٤٠ كلمها ١٨٤٠ آياتها ١١٨)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون فانشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون ولقد

*القول في تأويل قوله جل ثناؤه (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون)* قال أبو جعفر يعني جل ثناؤه بقوله قد أفلح المؤمنون قد أدرك الذين صدقوا الله ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم واقروا بما جاءهم به من عند الله وعملوا بما دعاهم اليه مما سمى في هذه الآيات الخلود في جنات ربهم وفاز وا بطلبتهم اليه كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله قد أفلح المؤمنون قال قال كعب لم يخلق الله بيده الا ثلاثة خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده ثم قال تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون لما علمت فيها من الكرامة حدثنا سهل بن موسى الرازي قال حدثنا يحيى بن اليمان عن عمرو بن أبي قيس عن عبد العزيز بن رفيع عن مجاهد قال لما غرس الله تبارك وتعالى الجنة نظر اليها فقال قد أفلح المؤمنون قال حدثنا حفص بن عمر عن أبي خلدة عن أبي العالية قال لما خلق الله الجنة قال قد أفلح المؤمنون فانزل الله به قرآنا حدثنا ابن حميد قال ثنا جبير عن عطاء عن ميسرة قال لم يخلق الله شيأ بيده غير أربعة أشياء خلق آدم بيده وكتب الالواح بيده والتوراة بيده وغرس عدن بيده ثم قال قد أفلح المؤمنون وقوله الذين هم في صلاتهم خاشعون يقول تعالى ذكره الذين هم في صلاتهم اذا قاموا فيها خاشعون وخشوعهم فيها تذللهم لله فيها بطاعته وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام فيها وقيل انها نزلت من أجل ان القوم كانوا يرفعون أبصارهم فيها الى السماء قبل نزولها فنهوا بهذه الآية عن ذلك ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت خالدا عن محمد بن سيرين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى نظر الى السماء فانزلت هذه الآية الذين هم في صلاتهم خاشعون قال يفعل بعد ذلك وجهه حيث يسجد حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن أبي جعفر عن الحجاج الصواف عن ابن سيرين قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم في الصلاة الى السماء حتى نزلت قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون فقالوا بعد ذلك برؤسهم هكذا حدثني يعقوب

ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن محمد قال نبئت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فنزلت آية ان لم تكن الذين هم فى صلاتهم خاشعون فلا أدرى أية آية هى قال فطأطأ قال وقال محمد وكانوا يقولون لا يجاوز بصره مصلاه فان كان قد استعاد النظر فليغمض **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم عن ابن عون نحوه واختلف أهل التاويل فى الذى عنى به فى هذا الموضع من الخشوع فقال بعضهم عنى به سكون الاطراف فى الصلاة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال السكون فيها **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الزهرى الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال سكون المرء فى صلاته **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى مثله **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثورى عن أبى سفيان الشيبانى عن رجل عن على قال سئل عن قوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال لا تلتفت فى صلاتك **حدثنا** عبد الجبار بن يحيى الرملى قال قال ضمرة بن ربيعة عن أبى شوذب عن الحسن فى قوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال كان خشوعهم فى قلوبهم فغضوا بذلك البصر وخفضوا به الجناح **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم فى قوله خاشعون قال الخشوع فى القلب وقال ساكنون قال **حدثنا** الحسن قال ثنى خالد بن عبد الله عن المسعودى عن أبى سنان عن رجل من قومه عن على رضى الله عنه قال الخشوع فى القلب وان تلين للمرء المسلم كنفك ولا تلتفت قال **حدثنا** الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبى رباح فى قوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال التخشع فى الصلاة وقال لى غير عطاء كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام فى الصلاة نظر عن يمينه ويساره ووجاهه حتى نزلت قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون فما رؤى بعد ذلك ينظر الا الى الارض وقال آخرون عنى به الخوف فى هذا الموضع ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال طائعون **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر فى قوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال الحسن خائفون وقال قتادة الخشوع فى القلب **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون يقول خائفون ساكنون وقد بينا قبل من كنا بنا ان الخشوع التذلل والخضوع بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع واذا كان ذلك كذلك ولم يكن الله تعالى ذكره دل على أن مراده من ذلك معنى دون معنى فى عقل ولا خبر كان معلوما ان معنى مراده من ذلك العموم واذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام ما وصفت قبل من انه والذين هم فى صلاتهم متذللون لله بادامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته واذا تذلل لله فيها العبد وذيت ذلة خضوعه فى سكون أطرافه وشغله بفرضه وتركه ما أمر بتركه فيها وقوله والذين هم عن اللغو معرضون يقول تعالى ذكره والذين هم عن الباطل وما يكرهه الله من خلقه معرضون وبنحو الذى قلنا فى تاويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله والذين هم عن اللغو معرضون يقول الباطل **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن عن اللغو معرضون قال عن المعاصى **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الحسن مثله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين هم عن اللغو معرضون قال النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه من صحابته ممن آمن به واتبعه وصدقه كانوا عن اللغو معرضين ۞ القول فى تاويل قوله (والذين

أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ماهذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرنى بما كذبون فاوحينا اليه أن اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ان فى ذلك لآيات وان كنا لمبتلين) القراءة على تلاما نتهم على التوحيد ابن كثير على صلاتهم موحدة حمزة وعلى وخلف وعاصم العظم موحدين على ارادة الجنس وعلى وضع الواحد مكان الجمع لعدم اللبس ابن عامر وأبو بكر وحماد وجبلة الاول موحدا والثانى مجموعا بزيد عن يعقوب وروى القطعى عن أبى زيد بالعكس فيهما الباقون مجموعين سينا بكسر السين أبو عمرو وأبو جعفر ونافع وابن كثير الآخرون بفتحها تنبت من الانبات ابن كثير ويعقوب غير روح الآخرون بفتح التاء وضم الباء من النبات نسقيكم بفتح النون نافع وابن عامر وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد بالتاء الفوقانية يزيد الباقون بضم النون منزلا بفتح الميم وكسر الزاء أبو بكر وحماد الآخرون بضم الميم وفتح الزاء * الوقوف الجزء

الثامن عشر المؤمنون ۞ لا خاشعون ۞ لا مفرطون ۞ لا فاعلون ۞ لا حافظون ۞ ملومين ۞ لاعتراض الاستثناء بين الاوصاف ولاستحقاق الشرط الابتداء ولطول الكلام والافالآيتان من أوصاف المؤمنين أيضا العادون ۞ ج راعون ۞ لا يحافظون ۞ م والاالوهم تخصيص الارث بالمذكورين فى الآيتين فقط الوارثون ۞ لا الفردوس ط خالدون ۞ طين ج ۞ للعدول عن المظهر الى كناية عن غير مذكور فان المراد من الانسان آدم ومن الهاء فى جعلناه جنس ولده مع عطف ظاهر مكين ۞ ج للعطف لما وصلى قد قبل للابتداء بانشاء (٤) نفخ الروح تعظيما آخر ط الخالقين ۞ ط لان ثم لترتيب الاخبار فان بين

هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الاعلى أزواجهم أوماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون) يقول تعالى ذكره والذين هم لزكاة أموالهم التى فرضها الله عليهم فيها مؤدون وفعلهم الذى وصفوا به هو اداؤهم هو قوله والذين هم لفروجهم حافظون الاعلى أزواجهم يقول والذين هم لفروج أنفسهم وعنى بالفروج فى هذا الموضع فروج الرجال وذلك أقبالهم حافظون يحفظونها من اعمالها فى شئ من الفروج الاعلى أزواجهم يقول الامن أزواجهم اللاتى أحللهن الله للرجال بالنكاح أوماملكت أيمانهم يعنى بذلك اماءهم وما التى فى قوله أوماملكت أيمانهم فى محل خفض عطفا على الازواج فانهم غير ملومين يقول فان من لم يحفظ فرجه عن زوجه وملك يمينه وحفظه عن غيره من الخلق فانه غير موبخ على ذلك ولا مذموم ولا هو بفعله ذلك راكب ذنبا يلام عليه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين هم لفروجهم حافظون الاعلى أزواجهم أوماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين يقول رضى الله لهم اتيانهم أزواجهم وماملكت أيمانهم وقوله فمن ابتغى وراء ذلك يقول فمن التمس لفرجه منكحا سوى زوجته وملك يمينه فاولئك هم العادون يقول فهم العادون حدود الله المجاوزون ما أحل الله لهم الى ما حرم عليهم وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال نهاهم الله نهيا شديدا فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون فسمى الزانى من العادين **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاولئك هم العادون قال الذين يتعدون الحلال الى الحرام **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن أبى عبد الرحمن فى قوله فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون قال من زنى فهو عاد ۞ القول فى تأويل قوله (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون) يقول تعالى ذكره والذين هم لاماناتهم التى ائتمنوا عليها وعهدهم وهو عقودهم التى عاقدوا الناس راعون يقول حافظون لا يضيعون ولكنهم يوفون بذلك كله واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار الا ابن كثير والذين هم لاماناتهم على الجمع وقرأ ذلك ابن كثير لامانتهم على الواحدة والصواب من القراءة فى ذلك عندنا اماناتهم لاجماع الحجة من القراء عليها وقوله والذين هم على صلواتهم يحافظون يقول والذين هم على أوقات صلاتهم يحافظون فلا يضيعونها ولا يشتغلون عنها حتى تفوتهم ولكنهم يراعونها حتى يؤدوها فيها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق والذين هم على صلواتهم يحافظون قال على وقتها **حدثنى** ابو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مسلم عن مسروق والذين هم على صلواتهم يحافظون قال على ميقاتها

الاحياء والافناء مهلة لتموتون ۞ ط لذلك لقادرون ۞ للآية مع اتصال المعنى بلفظ الفاء وأعناب لم لتملا نوهم ان الجار والمجرور وصف أعناب تأكلون ۞ لا لان شجرة مفعول أنشأنا للآكلين ۞ لعبرة ط لان الجملة بعدها ليست بصفة لها تأكلون ۞ لا تحملون ۞ ط غيره ط تتقون ۞ مثلكم لا لان قوله يريد صفة بشر عليكم ط ملائكة ج لانقطاع النظم مع اتحاد المقول الاولين ج ۞ للآية مع اجتناب الابتداء بقول الكفار مع ايجاد مقصود الكلام حين ۞ كذبون ۞ التنور ۞ لا لان ما بعده جواب فاذا منهم ج لعطف المتفقتين مع اعتراض الاستثناء ظلموا ج للابتداء بان مع احتمال اضمار اللام والفاء للتعليل مغرقون ۞ الظالمين ۞ المنزلين ۞ لمبتلين ۞ * التفسير لما انجر الكلام فى السورة المتقدمة الى الختم بالصلاة والزكاة بدأ فى هذه السورة بذكر فضائلهما وفضائل ما يخرط فى سلكهما من مكارم الاخلاق ومحاسن العادات وقد نقيضة لما لانها تثبت المتوقع ولما تنفيه ولاشك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهى اخبار بثبوت الفلاح لهم وقد مر معنى الايمان والاختلاف فيه بين الاقوام فى أول البقرة وأما الخشوع فمنهم من جعله من أفعال القلب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات والنظر الى موضع السجود والتوقى عن كف الثوب أى جعبه والعبث بجسده وثيابه والمطى والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل بأن يضع وسط الثوب على رأسه أو على عاتقه ويرسل طرفيه والاحتراز عن الفرقعة والتشبيك وتقليب الحصى والاختصار وهو ان يمسك بيده عصا أو سوطا ونحوهما قال الحسن وابن سيرين كان المسلمون يرفعون أبصارهم الى السماء فى صلاتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فلما نزلت هذه

حدثنا

الآية فما أظن أحدا كان لا يجاوز بصره مصلاه وهذا الخشوع واجب عند المحققين نقل الامام الغزالي عن أبي طالب المكي عن بشر الحافي من لم يخشع فسدت صلاته وعن الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة أسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلاة فلا صلاة له وروى عنه مرفوعا ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها وعشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها وادعى عبد الواحد بن زيد اجماع العلماء على انه ليس للعبد الا ما عقل من صلاته ومما يدل على صحة هذا القول قوله سبحانه أفلا يتدبرون القرآن والتدبر لا يتصور بدون الوقوف على المعنى وكذا قوله وأقم الصلاة (٥) لذكري والغفلة تضاد الذكر ولهذا قال ولا تكن من الغافلين وقوله حتى تعلموا ما تقولون ثم حي للسكران الا ان المستغرق في هموم الدنيا بمنزلته وقوله صلى الله عليه وسلم المصلي يناجي ربه ولا مناجاة مع الغفلة أصلا بخلاف سائر أركان الاسلام فان المقصود منها يحصل مع الغفلة فان الغرض من الزكاة كسر الحرص واغناء الفقير وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة النفس التي هي عدو الله وكذا الحج فان أفعاله شاقة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الابتلاء وان لم يكن القلب حاضرا والمتكلمون أيضا اتفقوا على انه لا بد من الحضور والخشوع قالوا لان السجود لله تعالى طاعة وللصنم كفر وكل واحد منهما مماثل للآخر في ذاته ولوازمه فلا بد من تمييز وما ذاك الا القصد والارادة ولا بد فيهما من الحضور وأما الفقهاء فالاكثرون منهم لا يوجبون ذلك فيقال لهم هو انه ليس من شرط الاجزاء وهو عدم وجوب القضاء أليس هو من شرط القبول الذي يترتب عليه الثواب فمن استعار ثوبا ثم رده على أحسن الوجوه فقد خرج عن العهدة وكذا ان رده على وجه الاهانة والاستخفاف الا أنه يستحق المدح في الصورة الاولى والذم في الصورة الثانية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه أبصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب أنت * قلت لا ريب ان الاحتياط انما هو في رعاية جانب الخشوع كما حكي عن بعض العلماء انه اختار الامامة فقيل له في ذلك فقال أخاف ان تركت الفاتحة ان يعاتبني الشافعي وان قرأت مع الامام ان يعاتبني أبو حنيفة فاخترت الامامة طلبا للخلاص عن هذا الخلاف قال علماء المعاني سبب اضافة الصلاة اليهم هو ان الصلاة دائرة بين المصلي والمصلى لاجله فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته وأما المصلى

**حدثنا** ابن عبد الرحمن البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا يحيى بن أيوب قال أخبرنا ابن زحر عن الاعمش عن مسلم بن مصبح قال الذين هم على صلاتهم يحافظون قال أقام الصلاة لوقتها وقال آخرون بل معنى ذلك على صلاتهم دائمون ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم على صلاتهم يحافظون قال دائمون يعني بها المكتوبة وقوله أولئك هم الوارثون يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين هذه صفتهم في الدنيا هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة وبنحو الذي قلنا في ذلك روى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأويل ذكر الرواية بذلك **حدثني** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار وان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله أولئك هم الوارثون **حدثنا** الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة في قوله أولئك هم الوارثون قال يرثون مساكنهم ومساكن اخوانهم التي أعدت لهم لو أطاعوا الله **حدثني** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الاعمش عن أبي هريرة أولئك هم الوارثون قال يرثون مساكنهم ومساكن اخوانهم الذين أعدت لهم لو أطاعوا الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال الوارثون الجنة أو رثتموها والجنة التي تورث من عباد نا هن سواء قال ابن جريج قال مجاهد يرث الذي من أهل الجنة أهله وأهل غيره ومنزل الذين من أهل النار هم يرثون أهل النار فلهم منزلان في الجنة وأهلان وذلك انه منزل في الجنة ومنزل في النار فاما المؤمن فيبني منزله الذي في الجنة ويهدم منزله الذي في النار وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة ويبني منزله الذي في النار قال ابن جريج عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد انه قال مثل ذلك ۞ القول في تأويل قوله (الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) يقول تعالى ذكره الذين يرثون البستان ذا الكرم وهو الفردوس عند العرب وكان مجاهد يقول هو بالرومية **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله الذين يرثون الفردوس قال الفردوس بستان بالرومية قال **حدثني** حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال عدن حديقة في الجنة قصرها فيها عدنها خلقها بيده تفتح كل سحر فينظر فيها ثم يقول قد أفلح المؤمنون قال هي الفردوس أيضا تلك الحديقة قال مجاهد غرسها الله بيده فلما بلغ قال قد أفلح المؤمنون ثم أمرها تغلق فلا ينظر فيها خلق ولا ملك مقرب ثم تفتح كل سحر فينظر فيها فيقول قد أفلح المؤمنون ثم تغلق الى مثلها **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال قتل حارثة بن سراقة يوم بدر فقالت أمه يا رسول الله ان كان ابني من أهل الجنة لم أبك عليه وان كان من أهل النار بالغت في البكاء قال يا أم حارثة انها جنتان في عدن وان ابنك قد أصاب الفردوس الاعلى من الجنة **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثنا** القاسم

له تعالى عن ذلك ولما كان اللغو هو الساقط من القول أو الفعل احتمل ان يقع في الصلاة وأيضا كان الاعراض عنه من باب التواضع والخشوع وهو استعمال الآداب ومالا يصح ولا تكمل الصلاة الابه كان من باب الافعال وعلى الفعل والترك بناء قاعدة التكليف فلا جرم جعلهما قرينين فقال والذين هم عن اللغو معرضون واللغو على ما قلنا يشمل كل ما كان حراما أو مكروها أو مباحا لا ضرورة اليه ولا حاجة قولا أو فعلا فمن الحرام قوله تعالى حكاية عن الكفار لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فان ذلك اللغو كفر والكفر حرام ومن المباح قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولو لم يكن مباحا لم يناسبه عدم المؤاخذة والاعراض عن اللغو هو بان لا يفعله ولا يرضى به ولا يتخالط من يأتيه كما قال عز من قائل واذا مروا باللغو مروا كراما ثم وصفهم بفعل الزكاة وهو مناسب للصلاة وليس المراد بالزكاة ههنا عين القدر المخرج من النصاب لان الخلق لا قدرة لهم على فعلها فلا يصح المعنى الا بتقدير مضاف أي لاداء الزكاة فاعلون بل المراد فعل المزكى الذي هو التزكية فقوله للمزكى فاعل الزكاة كقولك للضارب فاعل الضرب وعن أبي مسلم أنه حمل الزكاة ههنا على كل فعل محمود مرضي كقوله قد أفلح من تزكى والاول أقرب لانه مناسب لعرف الشرع الصفة الرابعة قوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم قال الفراء على بمعنى عن وقال غيره هو في موضع الحال أي الا والين أو قوامين على أزواجهم نظيره قولهم كان زياد على البصرة أي واليا عليها والمعنى انهم مستمرون على حفظ الفروج في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم أو تسريهم أو تعلق الجار بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون على كل من يباشرونه الا على أزواجهم فانهم غير ملومين عليهن وجوز في الكشاف أن يكون صلة لحافظين من قولهم احفظ على عنان فرسي على تضمينه معنى النفي أي لا تسلط على فرسي وانما لم يقل أو من ملكت لانه اجتمع في السرية وصفان الانوثة

قال ثنا الحسين قال ثنى أبو سفيان عن معمر عن قتادة عن كعب قال خلق الله بيده جنة الفردوس غرسها بيده ثم قال تكلمي فالت قد أفلح المؤمنون قال **حدثنا** الحسين قال ثنى حجاج عن حسام بن مصك عن قتادة أيضا مثله غير انه قال تكلمي قالت طوبى للمتقين قال **حدثنا** الحسين قال ثنا محمد بن يزيد عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي داود بن نفيع قال لما خلقها الله قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها تكلمي فقالت طوبى لمن رضيت عنه وقوله هم فيها خالدون يعني ما كثون فيها يقول هؤلاء الذين يرثون الفردوس خالدون يعني ما كثون فيها أبدا لا يبغون عنها ﴿ القول في تاويل قوله (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) يقول تعالى ذكره ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين أسللناه منه فالسلالة هي المستلة من كل تربة ولذلك كان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الارض وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في المعنى بالانسان في هذا الموضع فقال بعضهم عنى به آدم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة من طين قال استل آدم من الطين **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله من سلالة من طين قال استل آدم من طين وخلقت ذريته من ماء مهين وقال آخرون بل معنى ذلك ولقد خلقنا ولد آدم وهو الانسان الذي ذكر في هذا الموضع من سلالة وهي النطفة التي استلت من ظهر الفحل من طين وهو آدم الذي خلق من طين ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن المنهال عن عمرو عن أبي يحيى عن ابن عباس من سلالة من طين قال صفوة الماء **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله من سلالة من مني آدم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معناه ولقد خلقنا ابن آدم من سلالة آدم وهي صفوة مائه وآدم هو الطين لانه خلق منه وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية للدلالة قوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين على أن ذلك كذلك لانه معلوم انه لم يصر في قرار مكين الا بعد خلقه في صلب الفحل ومن بعد تحوله من صلبه صار في قرار مكين والعرب تسمي ولد الرجل ونطفته سليله وسلالته لانهما مسلولان منه ومن السلالة قول بعضهم

حملت به عضب الاديم غضنفرا * سلالة فرج كان غير حصين

وقول الآخر وهل كنت الا مهرة عربية * سلالة أفراس تحللها بغل

فمن قال سلالة جمعها سلالات وربما جمعوها سلائل وليس بالكثير لان السلائل جمع السليل ومنه قول بعضهم اذا أنتجت منها المهارى تشابهت * على القود لا بالنوف سلائله

وقول الراجز * يقذفن في اسلابها بالسلائل * ﴿ القول في تاويل قوله تعالى (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم

انشاناه

التي هي سبب نقصان العقل وكونها تحيث تباع وتشترى كسائر السلع فمن ابتغى حدا وراء ذلك الحد الذي شرع وهو اباحة أربع من الحرائر وما شاء من الاماء وكفى به حدا فاسحا فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه قيل لا دليل فيه على تحريم نكاح المتعة لانها من جملة الازواج لوضع النكاح ومنع من انها من الازواج ولو كانت زوجة لورث منها الزوج لقوله ولكم نصف ما ترك أزواجكم ولو ورثت منه لقوله ولهن الربع ثم الآية من العمومات التي دخلها التخصيص بدلائل أخر فيخرج منها الغلام بل الوطء في الدبر على الاطلاق لانه ليس

موضع حرث وكذا الزوجة والامة فى أحوال الحيض والعدة والاحرام ونحوها وقال أبو حنيفة الاستثناء من النفى ليس باثبات فقوله لا صلاة الا بطهور ولا نكاح الا بولى فانه لا يقتضى حصول الصلاة والنكاح بمجرد حصول الطهور والولى ولا تخصيص عنده فى الآية والمعنى انه يجب حفظ الفروج عن الكل الا فى هاتين الصورتين فانى ماذكرت حكمها لا بالنفى ولا بالاثبات هكذا نقله الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره الصفة الخامسة رعاية الامانة والعهد والمراد بهما الشئ المؤتمن عليه والمعاهد عليه ليتمكن رعايتهما والراعى القائم على الشئ بحفظ واصلاح كراعى الغنم وراعى الرعية ويحتمل العموم فى كل ما ائتمنوا عليه (٧) وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة الناس كالعبادات والمعاملات والودائع والقصود والنيات والعقود والنذور والطلاق والعتاق وغيرها وقد مر فى تفسير قوله ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها وقوله يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ويحتمل الخصوص فيما تحملوه من أمانات الناس وعهودهم الصفة السادسة محافظة الصلاة كما مر فى قوله حافظوا على الصلوات وذلك فى البقرة وصفوا أولا بالخشوع فى صلاتهم وآخرا بالمداومة عليها وبمراقبة أعدادها وأوقاتها فرائض كانت أو سنن راتب أو غيرها فالمحافظة أعم من الخشوع وأشمل ومن هنا يعرف فضيلة الصلاة اذ وقع الافتتاح بها والاختتام عليها وان اختلف الاعتباران والعبارتان أولئك هم الوارثون الاحقاء بان تسمى وراثا دون من عداهم ممن يرث مالا فانيا أو متاعا قليلا أو ممن يدخل الجنة سواهم كالاطفال والمجانين والفساق بعد العفو وكالولدان والحور ثم بين الموروث بقوله الذين يرثون الفردوس وقد سبقت هذه الوراثة فى الاعراف فى قوله ونودوا ان تلكم الجنة أورثتموها قال الفقهاء لا فرق فى الميراث بين ما ملكه الميت وبين ما يقدر ملكه فيه ولذلك قالوا الدية انها ميراث المقتول وكل من فى الجنة فله مسكن مفروض فى النار على تقدير كفره وكل من فى النار فله مسكن مفروض فى الجنة على تقدير ايمانه كما ورد فى الحديث فاذا تبادل المسكنان كان جميع أهل الجنة وارثين ولكن كل الفردوس لا يكون ميراثا بل بعضه ميراث وبعضه بالاستحقاق الا انه يصدق بالجملة أنهم ورثوا الفردوس أى الجنة ولهذا أنث الضمير فى قوله هم فيها خالدون وقيل ان الجنة كانت مسكن أبينا آدم عليه السلام فاذا انتقلت الى أولاده كان شبيها بالميراث والفردوس بلسان الحبشة أو الروم هو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر روى ان الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر

أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) يعنى تعالى ذكره بقوله ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم جعلنا الانسان الذى جعلناه من سلالة من طين نطفة فى قرار مكين وهو حيث استقرت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة ووصفه بانه مكين لانه مكن لذلك وهيئ له ليستقر فيه الى بلوغ أمره الذى جعله له قرارا وقوله ثم خلقنا النطفة علقة يقول ثم صيرنا النطفة التى جعلناها فى قرار مكين علقة وهى القطعة من الدم فخلقنا العلقة مضغة يقول فجعلنا ذلك الدم مضغة وهى القطعة من اللحم وقوله فخلقنا المضغة عظاما يقول فجعلنا تلك المضغة اللحم عظاما وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق سوى عاصم فخلقنا المضغة عظاما على الجماع وكان عاصم وعبد الله بن عامر يقرآن ذلك عظما فى الحرفين جميعا على التوحيد والقراءة التى نختار فى ذلك الجماع لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله فكسونا العظام لحما يقول فالبسنا العظام لحما وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله ثم خلقنا النطفة عظاما وعصبا فكسوناه لحما وقوله ثم أنشأناه خلقا آخر يقول ثم أنشأنا هذا الانسان خلقا آخر وهذه الهاء التى فى أنشأناه عائدة على الانسان فى قوله ولقد خلقنا الانسان وقد يجوز أن تكون من ذكر العظم والنطفة والمضغة جعل ذلك كله كالشئ الواحد فقيل ثم أنشأنا ذلك خلقا آخر واختلف أهل التاويل فى تاويل قوله ثم أنشأناه خلقا آخر فقال بعضهم انشاؤه اياه خلقا آخر نفخه الروح فيه فيصير حينئذ انسانا وكان قبل ذلك صورة ذكر من قال ذلك حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ الروح فيه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا هشيم عن الحجاج بن أرطاة عن عطاء عن ابن عباس بمثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ثم أنشأناه خلقا آخر قال الروح حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد الرحمن بن الاصبهانى عن عكرمة فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ الروح فيه حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سلمة عن داود بن أبى هند عن الشعبى ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ فيه الروح قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد بمثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ فيه الروح فهو الخلق الآخر الذى ذكر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ثم أنشأناه خلقا يعنى الروح تنفخ فيه بعد الخلق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال الروح الذى جعله فيه وقال آخرون انشاؤه خلقا آخر تصريفه اياه فى الاحوال بعد الولادة فى الطفولة والكهولة والاغتذاء ونبات الشعر والسن ونحو ذلك من أحوال الاحياء فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنا أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين يقول

ورو ى أبو موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الفردوس منصورة الرحمن فيها الانهار والاشجار وعن أبى امامة مرفوعا سلوا الله الفردوس فانها أعلى الجنان وان أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أحسن العبد الوضوء وصلى الصلاة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت حفظك الله كما حافظت على وتشفع لصاحبها فاذا أضاعها قالت ضيعك الله كما ضيعتنى وتلف كما يلف الثوب ويضرب بها على وجه صاحبها قالت العلماء أما كلام الجنة فالمراد به انها أعدت للمتقين كقوله قالتا أتينا طائعين وكذا الكلام فى كلام طوبى وأما انه تعالى خلق الجنة بيده فالمراد تولى خلقها وايجادها من غير واسطة وأما حديث الصلاة فلا ريب انها حركات وسكنات ولا يصح عليها التكلم فالمراد به ضرب المثل كقولك للمنعم عليك ان احسانك ينطق بالشكر ولحاث عباده على العبادات ووعدهم الفردوس على مواظبتها عاد الى تقرير المبدأ والمعاد ليتمكن ذلك فى نفوس المكلفين وهو ثلاثة أنواع الاول الاستدلال باطوار خلق الانسان والسلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وهذا البناء للقلة ولما يسقط عن الشئ كالقلامة قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومقاتل المراد آدم لانه استل من الطين والكناية فى جعلناه راجعة الى الانسان الذى هو ولد آدم أى جعلنا جوهره نطفة وقال آخرون الانسان ههنا ولد آدم والطين اسم آدم والسلالة هى الاجزاء الكلية المبثوثة فى أعضائه التى تجتمع منيا فى أوعيته ويحتمل ان يقال ان كل نسل آدم حاله كذلك لان غذاءه ينتهى الى النبات المتولد من صفو الارض والماء المسمى بالسلالة ثم ان تلك السلالة قصير منيا

وصف

وعلى هذا فكلتا الفاء من للابتداء قال فى الكشاف الاولى للابتداء والثانية للبيان وهو موجه على التفسير الاول فقط والقرار المستقر أراد به الرحم وانما وصفت بالمكين لمكانها فى نفسها فانها مكنت حيث هى وأحرزت أو على الاسناد المجازى باعتبار المستقر فيها كقولك طريق سائر وتركيب الاطوار كما مر فى أول الحج ومعنى ثم فى بعض هذه المعطوفات تراخى الرتبة ولا سيما فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر أى خلقا مباينا الخلق الاول حيث جعله حيوانا وكان جمادا الى غير ذلك من دقائق الاطوار وغرائب الصنع وذلك بعد استكماله ثلاثة أو بعينات ومن

---

خرج من بطن أمه بعد ما خلق فكان من بدء خلقه الآخر ان استهل ثم كان من خلقه ان دل على ثدى أمه ثم كان من خلقه ان علم كيف يبسط رجليه الى أن قعد الى ان حبا الى ان قام على رجليه الى أن مشى الى أن فطم فعلم كيف يشرب ويأكل من الطعام الى أن بلغ الحلم الى أن بلغ أن يتقلب فى البلاد **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ثم أنشأناه خلقا آخر قال يقول بعضهم هو نبات الشعر وبعضهم يقول هو نفخ الروح **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك ثم أنشأناه خلقا آخر قال يقال الخلق الآخر بعد خروجه من بطن أمه بسنه وشعره وقال آخرون بل عنى بانشائه خلقا آخر سوى شبابه ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال حين استوى شبابه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد حين استوى به الشباب * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال عنى بذلك نفخ الروح فيه وذلك انه بنفخ الروح فيه يتحول خلقا آخر انسانا وكان قبل ذلك بالاحوال التى وصفه الله انه كان بها من نطفة وعلقة ومضغة وعظم وبنفخ الروح فيه يتحول عن تلك المعانى كلها الى معنى الانسانية كما تحول أبوه آدم بنفخ الروح فى الطينة التى خلق منها انسانا وخلقا آخر غير الطين الذى خلق منه وقوله فتبارك الله أحسن الخالقين اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه فتبارك الله أحسن الصانعين ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد فتبارك الله أحسن الخالقين قال يصنعون ويصنع الله والله خير الصانعين وقال آخرون انما قيل فتبارك الله أحسن الخالقين لان عيسى بن مريم كان يخلق فأخبر جل ثناؤه عن نفسه انه يخلق أحسن مما كان يخلق ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله فتبارك الله أحسن الخالقين قال عيسى بن مريم يخلق وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول مجاهد لان العرب تسمى كل صانع خالقا ومنه قول زهير

ولأنت تفرى ما خلقت وبعـ * ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

ويروى ولأنت تخلق ما فريت وبعـ * ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

القول فى تأويل قوله تعالى (ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) يقول تعالى ذكره ثم انكم أيها الناس من بعد انشائكم خلقا آخر وتصييرنا كم انسانا سويا ميتون وعائدون ترابا كما كنتم ثم انكم بعد موتكم وعودكم رفاتا يا لياما مبعوثون من التراب خلقا جديدا كما بدأنا كم أول مرة وانما قيل ثم انكم بعد ذلك لميتون لانه خبر عن حال لهم يحدث لم يكن وكذلك تقول العرب لمن لم يمت هو ما ئت وميت عن قليل ولا يقولون لمن قدمات ما ئت وكذلك هو طمع فيما عند ذلك اذا

هذا ذهب أبو حنيفة فمن نصب بيضة فافرخت عنده الى أنه يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة وروى العوفى عن ابن عباس ان ذلك تصريف الله فى أطواره بعد الولادة من الطفولية وما بعدها الى استواء الشباب وخلق الفهم والعقل فيه يؤيده قوله ثم انكم بعد ذلك لميتون و يروى هذا القول أيضا عن مجاهد وابن عمر فتبارك الله كثر خيره و بركته أو هو وصفه بالدوام والبقاء أو بالتعالى لان البركة ير جع معناها الى الامتداد وكل ما زاد على الشئ فقد علاه ومعنى أحسن الخالقين أحسن المقدرين تقدير الحذف المميز للعلم به قالت المعتزلة فى الآية دلالة على ان كل ما يفعله الله فهو حسن وحكمة فلا يكون خالقا للكفر (٩) والمعاصى وأجيب بان الحسن ههنا بمعنى الاحكام والاتقان فى التركيب والتأليف و بانه لا يقع منه شئ لانه تعالى يتصرف فى ملكه قالوا لو لا ان غيره تعالى خالق لم تحسن هذه الاضافة فيعلم منه ان العبد خالق أفعاله وعورض بقوله ان الله خالق كل شئ وأجيب بان المراد انه أحسن الخالقين فى زعمكم واعتقادكم و بعضهم أجاب بان وجه حسن الاضافة هو انه تعالى وصف عيسى بانه يخلق من الطين كهيئة الطير ولا يخفى ضعف هذا الجواب من انه يلزم اطلاق الجمع على الواحد ومن حيث انه يلزم اطلاق الخالق على المصورين والحق ان الخلق لو كان بمعنى التقدير لا بمعنى الايجاد لا يلزم شئ من هذه الاشكالات روى ان عبد الله بن أبى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيا يوحى اليه فانا نبى يوحى الى فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح وروى عن عمر أيضا سبق لسانه بقوله فتبارك الله أحسن الخالقين قبل ان ينزل اعلم ان هذا غير مستبعد ولا قادح فى اعجاز القرآن لانه ليس بمقدار

وصف بالطمع فاذا أخبر عنه انه سيفعل ولم يفعل قيل هو طامع فيما عندك غدا وكذلك ذلك فى كل ما كان نظير الماذكرناه ﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (ولقد خلقناكم فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين) يقول تعالى ذكره ولقد خلقنا فوقكم أيها الناس سبع سموات بعضهن فوق بعض والعرب تسمى كل شئ فوق شئ طريقة وانما قيل للسموات السبع سبع طرائق لان بعضهن فوق بعض فكل سماء منهن طريقة و بنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال الطرائق السموات وقوله وما كنا عن الخلق غافلين يقول وما كنا فى خلقنا السموات السبع فوقكم عن خلقنا الذى تحتها غافلين بل كنا لهم حافظين من ان تسقط عليهم فتهلكهم ﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض وانا على ذهاب به لقادرون) يقول تعالى ذكره وأنزلنا من السماء ماء فى الارض من ماء فاسكناه فيها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وأنزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض ماء هو من السماء وقوله وانا على ذهاب به لقادرون يقول جل ثناؤه وانا على الماء الذى أسكناه فى الارض لقادرون ان نذهب به فنهلككم أيها الناس عطشا و نخرب أراضيكم فلا تنبت زرعا ولا غرسا ونهلك مواشيكم يقول فمن نعمتى تركى ذلك لكم فى الارض جاريا ﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (فانشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون) يقول تعالى ذكره فاحدثنا لكم بالماء الذى أنزلناه من السماء بساتين من نخيل وأعناب لكم فيها يقول لكم فى الجنات فواكه كثيرة ومنها تاكلون يقول ومن الفواكه تاكلون وقد يجوز أن تكون الهاء والالف من ذكر الجنات و يحتمل أن تكون من ذكر النخيل والاعناب وخص جل ثناؤه الجنات التى ذكرها فى هذا الموضع فوصفها بانها من نخيل وأعناب دون وصفها بسائر ثمار الارض لان هذين النوعين من الثمار كانا هما أعظم ثمار الحجاز وما قرب منها فكانت النخيل لاهل المدينة والاعناب لاهل الطائف فذكر القوم بما يعرفون من نعمة الله عليهم بما أنعم به عليهم من ثمارها ﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين) يقول تعالى ذكره وأنشأنا لكم أيضا شجرة تخرج من طور سيناء وشجرة منصوبة عطفا على الجنات و يعنى بها شجرة الزيتون وقوله تخرج من طور سيناء يقول تخرج من جبل ينبت الاشجار وقد بينت معنى الطور فيما مضى بشواهده واختلاف المختلفين بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأما قوله سيناء فان القراء اختلفت فى قراءته فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة سيناء بكسر السين وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة سيناء بفتح السين وهما جميعا مجمعون على مدها والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان فى قراءة الامصار بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب واختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معناه المبارك كان معنى الكلام عنده وشجرة تخرج من جبل



وهلا وصل نعيم الدنيا بنعيم الآخرة ليكون فى الانعام أبلغ * جواب لو كان كذلك لكان الآتى بالطاعة آتيا بها لمحض الجنة والثواب فلا جرم أوقع الله تعالى الاماتة والاعادة فى البين لتكون الطاعات أدخل فى الاخلاص وأبعد عن صورة المبايعة وليس فى ذكر الحياتين نفى الثالثة وهى حياة القبر فتعرف تلك بدليل آخر ويمكن ان يقال بل الآية تتضمنها فانها أيضا من جنس الاعادة النوع الثانى الاستدلال بخلق السموات قال الخليل والفراء والزجاج سميت السموات طرائق فانها طورق بعضها فوق بعض كطارقة النعل وقال على بن عيسى لانه

طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق أي عن السموات وحفظها أن لا تقع على الارض قاله سفيان بن عيينة وعن الحسن أراد بالخلق الناس أي مما كنا غافلين عن مصالحهم فخلقنا الطرائق فوقهم لينزل منها عليهم البركات والارزاق ولينتفعوا بغير ذلك من منافعها ويحتمل ان يريد بالاول كمال قدرته وبالثاني كمال علمه بأحوال مخلوقاته وفيه نوع من الزجر ويمكن ان يراد خلقنا السموات وما كنا عن خلقها غافلين فلهذا لم نخرج عن التقدير الذي أردنا كونها عليه نظيره ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت

النوع الثالث الاستدلال بنزول (١٠) الامطار واخراج النبات وانشاء الحيوانات ونزول المطر عند الظاهريين من أهل الشرع لا يبعد ان يكون من نفس السماء وعند أرباب المعقول منهم يراد به انزاله من جهة السماء قالوا انه سبحانه يصعد الاجزاء المائية من البحر بواسطة التبخير فتصير في الجو صافية عذبة ذائلة عنها ملوحة البحر ثم ينزلها بواسطة السحب وقد سلف في أول البقرة تفصيل ذلك ومعنى بقدر يسلمون معه من المضار ويصلون الى المنافع أو بقدار يوافق حاجاتهم ومعنى أسكان ماء المطر في الارض جعله مددا للينابيع والآبار وقيل أراد اثباتها في الارض على ما روى عن ابن عباس ان الانهار خمسة سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة واستودعها الجبال وأجراها في الارض وانا على ذهاب به لقادرون أي كما قدرنا على انزاله فنحن قادرون على ان نذهب به بوجه من الوجوه ولهذا التنكير حسن موقع لا يخفى اذ فيه ايذان على ان الذاهب به قادر على أي وجه أراد وفيه تحذير من كفران نعمة الماء وتخويف من نفاذه اذا لم يشكر ثم لما نبه على عظم نعمته بخلق الماء بين المنافع الحاصلة بسببه وخص منها النخيل والاعناب وشجرة الزيتون لانها أكرم الشجر وأعمها نفعا وصف النخل والعنب بان ثمرهما جامع لامرين التفكه والتطعم وجوز في الكشاف أن يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم فلان يأكل من حرفة كذا كأنه قال ومن هذه الجنان وجوهها أرزاقكم ومعايشكم ووصف الزيتون بان دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا قال جار الله طور سيناء وطور سينين اما أن يكون الطور فيه مضافا الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما أن يكون المجموع اسم الجبل وهو جبل فلسطين على قول والطور الذي منه نودي موسى من قرأ سيناء بفتح السين فهو كصحراء ومن قرأ بكسرها ففتح صرفه للعلمية والعجمية أو التأنيث بتأويل البقعة ولا يكون ألفه حينئذ للتأنيث كعلباء وحربا قال في

تنبت

مبارك ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله طور سيناء قال المبارك ثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وشجرة تخرج من طور سيناء قال هو جبل حسن **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله من طور سيناء الطور الجبل بالنبطية وسيناء حسنه بالنبطية قال آخرون هو اسم جبل معروف ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله من طور سيناء قال الجبل الذي نودي منه موسى صلى الله عليه وسلم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله طور سيناء قال هو جبل الطور الذي بالشام جبل بيت المقدس قال ممدود هو بين مصر وبين أيلة وقال آخرون معناه انه جبل ذو شجر ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قاله * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان سيناء اسم أضيف اليه الطور يعرف به كما قيل جبل طيئ فاضيف الى طيئ ولو كان القول في ذلك كما قال من قال معناه جبل مبارك أو كما قال من قال معناه حسن لكان الطور منونا وكان قوله سيناء من نعته على أن سيناء بمعنى مبارك وحسن غير معروف في كلام العرب فيجعل ذلك من نعت الجبل ولكن القول في ذلك ان شاء الله كما قال ابن عباس من انه جبل عرف بذلك وانه الجبل الذي نودي منه صلى الله عليه وسلم وهو مع ذلك مبارك لا أن معنى سيناء معنى مبارك وقوله تنبت بالدهن اختلفت القراء في قراءة قوله تنبت فقرأته عامة قراء الامصار تنبت بفتح التاء بمعنى تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن وقرأه بعض قراء البصرة تنبت بضم التاء بمعنى تنبت الدهن تخرجه وذكر انها في قراءة عبد الله تخرج الدهن وقالوا الباء في هذا الموضع زائدة كما قيل أخذت ثوبه وأخذت بثوبه وكما قال الراجز

نحن بنو جعدة أرباب الفلج * نضرب بالبيض ونرجو بالفرج

بمعنى ونرجو الفرج والقول عندي في ذلك انهما لغتان نبت وانبت ومن أنبت قول زهير

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم * وطبنا لهم حتى اذا أنبت البقل

ويروى نبت وهو كقوله فأسر باهلك وفاسر غير ان ذلك وان كان كذلك فان القراءة التي لا اختار غيرها في ذلك قراءة من قرأ تنبت بفتح التاء لاجماع الحجة من القراء عليها ومعنى ذلك تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن كما **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تنبت بالدهن قال بثمره **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله والدهن الذي هو من ثمره الزيت كما **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله

الكشاف بالدهن في موضع الحال والباء للمصاحبة دون التعدية لان نبات الدهن أو انباته لا يكاد يستعمل فالمعنى تنبت الشجرة وفيها الدهن أو تنبت الشجرة زيتونها وفيه الزيت ويجوز ان يكون أنبت بمعنى نبت أيضا والصبغ الادام لانه يصبغ الخبز قلت لا يبعد ان يريد بالصبغ نفس ثمر الزيتون لا الزيت وكذا يحتمل ان تكون الباء في بالدهن للتعدية الا ان يكون الانبات متعديا قال المفسرون انما أضافها الله تعالى الى هذا الجبل لانها منه نشأت في البلاد وتفرقت أولان معظمها هنالك قوله وان لكم في الانعام لعبرة قدمر في النحل ولعل القصد بالانعام ههنا الابل خاصة لانها هي المحمول عليها في العادة ولانه قرنها بالفلك سفائن البحر وهي سفائن البركان الفلك سفائن البحر (١١)

تنبت بالدهن يقول هو الزيت يؤكل ويدهن به وقوله وصبغ للآكلين يقول تنبت بالدهن ويصبغ للآكلين يصطبغ بالزيت الذين يأكلونه كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وصبغ للآكلين قال هذه الزيتون صبغ للآكلين يأتدمون به ويصطبغون به قال أبو جعفر فالصبغ عطف على الدهن ۞ القول في تاويل قوله (وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون) يقول تعالى ذكره وان لكم أيها الناس في الانعام لعبرة تعتبرون بها فتعرفون بها أيادي الله عندكم وقدرته على ما يشاء وانه الذي لا يمتنع عليه شيء أراده ولا يعجزه شيء شاءه نسقيكم مما في بطونها من اللبن الخارج من بين الفرث والدم ولكم مع ذلك فيها يعني في الانعام منافع كثيرة وذلك كالابل التي يحمل عليها ويركب ظهرها ويشرب درها ومنها تأكلون يعني من لحومها تأكلون وقوله وعليها وعلى الفلك تحملون يقول وعلى الانعام وعلى السفن تحملون على هذه في البر وعلى هذه في البحر ۞ القول في تاويل قوله (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون) يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا نوحا الى قومه داعيهم الى طاعتنا وتوحيدنا والبراءة من كل معبود سوانا فقال لهم نوح يا قوم اعبدوا الله يقول قال لهم ذلوا يا قوم لله بالطاعة ما لكم من اله غيره يقول ما لكم من معبود يجوز لكم أن تعبدوه غيره أفلا تتقون يقول أفلا تخشون بعبادتكم غيره عقابه ان يحل بكم ۞ القول في تاويل قوله (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين) يقول تعالى ذكره فقالت جماعة أشراف قوم نوح الذين جحدوا توحيد الله وكذبوه لقومهم ما نوح أيها القوم الا بشر مثلكم انما هو انسان مثلكم وكبعضكم يريد أن يتفضل عليكم يقول يريد أن يصير له الفضل عليكم فيكون متبوعا وأنتم له تبع ولو شاء الله لانزل ملائكة يقول ولو شاء الله أن لا تعبدوا شيأ سواه لانزل ملائكة يقول لارسل بالدعاء الى ما يدعوكم اليه نوح ملائكة تؤدي اليكم رسالته وقوله ما سمعنا بهذا الذي يدعونا اليه نوح من أنه لا اله لنا غير الله في القرون الماضية وهي آباؤهم الاولون ۞ القول في تاويل قوله (ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرني بما كذبون فاوحينا اليه أن اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون) يعني تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملأ الذين كفروا من قوم نوح ان هو الا رجل به جنة ما نوح الا رجل به جنون وقد يقال أيضا للجن جنة فتتفق الاسم والمصدر وهو من قوله ان هو كناية اسم نوح وقوله فتربصوا به حتى حين يقول فتلبثوا به وتنظروا به حتى حين يقول الى وقت ما ولم يعنوا بذلك وقتا معلوما انما هو كقول القائل دعه الى يوم ما والى وقت ما وقوله قال رب انصرني بما كذبون يقول قال نوح داعيا ربه مستنصرا به على قومه لما طال أمره وأمرهم وتمادوا في غيهم رب انصرني

وانما قال في هذه السورة فواكه كثيرة بالجمع بخلاف ما في الزخرف لتناسب قوله هنا منافع كثيرة ولتناسب قوله جنات كما قال هنالك فاكهة على التوحيد لتناسب قوله وثالث الجنة وانما قال هنا في الموضعين ومنها تأكلون بزيادة الواو وخلاف الزخرف لان تقدير الآية منها تدخرون ومنها تأكلون ومنها تبيعون ومنها ومنها وليس كذلك فاكهة الجنة فانها للاكل فحسب فافهم واعلم انه لما انجر الكلام الى ذكر الفلك اتبعه قصة نوح لانه أول من ألهم صنعتها وفيه أيضا تمزيج القصص بدلائل التوحيد إعادة القرآن لاجل الاعتبار والتنشيط وقوله ما لكم من اله غيره جملة مستانفة تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة ومعنى أفلا تتقون أفلا تتخافون ان تتركوا عبادة من هو لوجوب وجوده مستحق العبادة ثم تذهبوا فتعبدوا ما ليس بهذه الصفة بل هو في أخس مراتب الامكان وهي الجمادية ثم حكى الله سبحانه عنهم شبها الاولى قولهم ما هذا الا بشر مثلكم ومعناه انكار كون الرسول من جنس البشر أو انكار كونه مثلهم في الاسباب الدنيوية من المال والجاه والحال كأنهم طلبوا

ان القرب من الله يوجب المزية في هذه الامور ويثار كذا هذا الاحتمال بالشبهة الثانية وهي قوله يريد ان يتفضل عليكم أي يتكلف طلب الفضل والرياسة عليكم نظيره في يكون لكما الكبرياء في الارض ويثار كذا الاحتمال الاول بالشبهة الثالثة وهي ولو شاء الله لانزل ملائكة لعلو شأنهم ووفور علمهم وكمال قوتهم وقد حكى هذه الشبهة عن أقوام في سجدة الصافات قالوا والوشاعر بتلا نزل ملائكة خص هذه السورة باسم الله على الاصل ولتقدم ذكر الله وخص تلك السورة باسم الرب لتقدم ذكر الرب في قوله ذلك رب العالمين وهم من جملة العالمين قالوا وأما استهزاء الشبهة الرابعة الاعتصام بحبل التقليد ما سمعنا بهذا أي بمثل هذا الكلام أو بمثل هذا المدعى فيجوز ان يكونوا صادقين في ذلك

للفطرة المتداولة ويجوز ان يكونوا تجاهلوا وتكذبوا لانهما كهم في الغي وشعرهم لدفع الحق والمقام النبي صلى الله عليه وسلم باي وجه يمكنهم بؤ يده الشبهة الخامسة وهي نسبتهم اياه الى الجنون مع علمهم ظاهرا بانه أرجح الناس عقلا ورزانة قال عار الله الجنة الجنون أو الجن أي به جن يخبلونه وهذا بناء على زعم العوام ان المجنون ضربه الجن ثم تبعوا على هذه الشبهة قولهم فتربصوا به حتى حين أي اصبروا عليه الى أن ينكشف جنونه ويفيق أو الى أن يموت أو يقتل وهذه الشبهة من باب الترويج على العوام فانه عليه السلام كان يفعل أفعالا على خلاف عاداتهم وكان رؤساؤهم يقولون (١٢) للعوام انه مجنون لينفروهم عنه وليلبسوا عليهم أمره ويحتمل ان يكون هذا كلاما مستانفا وهو ان يقولوا لقومهم اصبروا فانه ان كان نبيا حقا فالله ينصره ويقوي أمره فنحن حينئذ نتبعه وان كان كاذبا فالله يخذله ويبطل أمره فحينئذ نستريح منه واعلم انه سبحانه لم يذكر جواب شبهاتهم لركاكتها ولانه قد علم في هذا الكتاب الكريم أجوبتها غير مرة ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ ولا يهتدون واذا بطل طريقة التقليد صار حديث التربص ضائعا بل يجب قبول قول من يدعي النبوة بعد ظهور المعجزة من غير توقف ثم حكى ان نوحا عليه السلام لما علم اصرارهم على الكفر قال رب انصرني أي أهلكهم بسبب تكذيبهم اياي ففي نصرته اهلاكهم أو انصرني بدل تكذيبهم اياي كقولك هذا بذلك والمراد بدائي من غم التكذيب سلوة النصرة أو انصرني بانجاز ما كذبوني فيه وهو وعد العذاب في قوله اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وباقي القصة الى قوله انهم مغرقون قد مر تفسير مثلها في سورة هود ومعنى فاسلك أدخل فيها وقد مر في أول تعالى الجزء في قوله كذلك نسلكه وسبق عليه القول نقيض سبقت لهم منا الحسنى لان على تستعمل في الضار كأن اللام تستعمل في النافع وقد جاز زيادة منهم ههنا على الاصل وحذفت في هود ليحسن عطف ومن آمن من غير التباس وبشاعة فيسل في قوله باعيننا على الجمع فساد قول المشبهة ان الله خلق آدم على صورته أما قوله فاذا استويت أي ركبت واستويت أنت ومن معك على الفلك فقل لم يقل فقولوا الان أول الكلام مبني على خطاب نوح ولان قول النبي قول الامة مع ما فيه من الاشعار بفضله ومن اظهار الكبر يا عوان كل أحد لا يليق لخاطب بذلك

على قومي بما كذبون يعني بتكذيبهم اياي فيما بلغتهم من رسالتك ودعوتهم اليه من توحيدك وقوله فاوحينا اليه أن اصنع الفلك باعيننا وحينا يقول فقلنا له حين استنصرنا على كفرة قومه اصنع الفلك وهي السفينة باعيننا يقول بمرأى منا ومنظر وحينا يقول وبتعليمنا اياك صنعتها فاذا جاء أمرنا يقول فاذا جاء قضاؤنا في قومك بعذابهم وهلاكهم وفار التنور وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف المختلفين في صفة فور التنور والصواب عندنا من القول فيه بشواهده بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع فاسلك فيها من كل زوجين اثنين يقول فادخل في الفلك واحمل والهاء والالف في قوله فيها من ذكر الفلك من كل زوجين اثنين يقال سلكته في كذا وأسلكته فيه ومن سلكته قول الشاعر

وكنت لزاز خصمك لم أعرد * وقد سلكوك في يوم عصيب

وبعضهم يقول أسلكت بالالف ومنه قول الهذلي

حتى اذا أسلكوهم في قتايدة * سلكا تطردا لحالة السردا

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاسلك فيها من كل زوجين اثنين يقول لنوح اجعل في السفينة من كل زوجين اثنين وأهلك وهم ولده ونساؤهم الا من سبق عليه القول من الله بانه هالك فمن حمل لك من قومك فلا تحمله معك وهو ايام الذي غرق ويعني بقوله منهم من أهلك والهاء والميم في قوله منهم من ذكر الاهل وقوله ولا تخاطبني الآية يقول ولا تسألني في الذين كفروا بالله أن أنجيهم انهم مغرقون يقول فاني قد حتمت عليهم ان أغرق جميعهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) يعني تعالى ذكره بقوله فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فاذا اعتدلت في السفينة أنت ومن معك ممن جملته معك من أهلك راكبا فيها عاليا فوقها فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين يعني من المشركين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين) يقول تعالى ذكره لنبيه نوح عليه السلام وقل اذا سلمك الله وأخرجك من الفلك فنزلت عنها رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير من أنزل عباده المنازل * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله منزلا مباركا قال لنوح حين نزل من السفينة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار رب أنزلني منزلا مباركا بضم الميم وفتح الزاي بمعنى أنزلني انزالا مباركا وقرأه عاصم منزلا بفتح الميم وكسر الزاي بمعنى أنزلني مكانا مباركا وموضعا وقوله ان في ذلك لآيات يقول

تعالى ذكره ان فيما فعلنا بقوم نوح يا محمد من اهلاكنا هم اذ كذبوا رسلنا وجحدوا وحدانيتنا وعبدوا الآلهة والاصنام لعبرة لقومك من مشركي قريش وعظات وحججا لنا عليهم يستدلون بها على سنتنا في أمثالهم فيزجروا عن كفرهم ويرتدعوا عن تكذيبك حذرا أن يصيبهم مثل الذي أصابهم من العذاب وقوله وان كنا لمبتلين يقول تعالى ذكره وكنا مختبرين بهم بتذكيرنا اياهم بآياتنا لننظر ماهم عاملون قبل نزول عقوبتنا بهم ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون) يقول تعالى ذكره ثم أحدثنا من بعد مهلك قوم نوح قرنا آخرين فاوجدناهم فارسلنا فيهم رسولا منهم داعيا لهم أن اعبدوا الله يا قوم وأطيعوه دون الآلهة والاصنام فان العبادة لا تنبغي الا له مالكم من اله غيره يقول مالكم من معبود يصلح أن تعبدوا سواه أفلا تتقون أفلا تخافون عقاب الله بعبادتكم شيأ دونه وهو الاله الذي لا اله لكم سواه ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) يقول تعالى ذكره وقالت الاشراف من قوم الرسول الذي أرسلنا بعد نوح وعني بالرسول في هذا الموضع صالحا وبقومه ثمود الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة يقول الذين جحدوا توحيد الله وكذبوا بلقاء الآخرة يعني كذبوا بلقاء الله في الآخرة وقوله وأترفناهم في الحياة الدنيا يقول ونعمناهم في حياتهم الدنيا بما وسعنا عليهم من المعاش وبسطنا لهم من الرزق حتى بطروا وعتوا على ربهم وكفروا ومنه قول الراجز ولقد أراني بالديار مترفا * وقوله ما هذا الا بشر مثلكم يقول قالوا بعث الله صالحا الينا رسولا من بيننا وخصه بالرسالة دوننا وهو انسان مثلنا يأكل مما نأكل منه من الطعام ويشرب مما نشرب وكيف لم يرسل ملكا من عنده يبلغنا رسالته قالوا ويشرب مما تشربون معناه مما تشربون منه فحذف من الكلام منه لان معنى الكلام ويشرب من شرابكم وذلك ان العرب تقول شربت من شرابك ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملأ من قوم صالح لقومهم ولئن أطعتم بشرا مثلكم فاتبعتموه وقبلتم ما يقول وصدقتموه انكم أيها القوم اذا لخاسرون يقول قالوا انكم اذا لمغبونون حظوظكم من الشرف والرفعة في الدنيا باتباعكم اياه قوله أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما الآية يقول تعالى ذكره قالوا لهم أيعدكم صالح أنكم اذا متم وكنتم ترابا في قبوركم وعظاما قد ذهبت لحوم أجسادكم وبقيت عظامها أنكم مخرجون من قبوركم أحياء كما كنتم قبل مماتكم وأعيدت انكم مرتين والمعنى أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مخرجون مرة واحدة ما فرق بين انكم الاولى وبين خبرها اذا وكذلك تفعل العرب بكل اسم أوقعت عليه الظن وأخواته ثم اعترضت بالجزاء دون خبره فتكرر اسمه مرة وتحذفه أخرى فتقول أظن انك ان جالستنا انك محسن فان حذفت انك الاولى أو الثانية

لا يقدر على ايصال الخير الى النازل الا باقداره وتمكينه والقاء تلك الداعية في قلبه ان في ذلك الذي ذكر من القصة لآيات لعبرا ودلالات لمن اعتبر واذكر فان اظهار تلك المياه العظيمة والذهاب بها الى مقارها لا يقدر عليها الا القدير الخبير وان كناهي المخففة من الثقيلة واللام في لمبتلين هي الفارقة والمعنى وان الشان والقصة كنا مبتلين أي مصيبين قوم نوح ببلاء الغرق كله على وجه واحد ومختبرين بهذه الآيات من يخلفهم لننظر من يعتبر كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر وقيل المراد كما يعاقب بالغرق من كفر فقد يمتحن به من لم يكفر على وجه المصلحة لا التعذيب فليس الغرق كله على وجه واحد * التاويل الفلاح الظفر والفوز والبقاء أي ظفر المؤمنون بالايمان الحقيقي المقيد بجميع الشرائط بنفوسهم ببذلها في الله وفازوا بالوصول الى الله وبقوابه بعدان فنوا فيه الخشوع في الظاهر انتكاس الرأس وغض العين واسماع الاذن وقراءة اللسان ووضع اليمين على الشمال كالعبيد واعتدال الظهر في القيام وانحناؤه في الركوع وثبات القدمين

والخشوع في الباطن سكون النفس عن الخواطر والهواجس وحضور القلب لمعاني القراءة والاذكار ومراقبة السر بترك الالتفات الى المكونات واستغراق الروح في بحر المحبة وذوبانه عند تجلي صفات الجمال والجلال والمتوكل ما يشغلك عن الله والزكاة تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة بل عن حب الدنيا لانه رأس كل خطيئة الاعلى أزواجهم في كلمة على دلالة على انهم يجب ان يستولوا على الازواج لا بالعكس والا كن عدوا لهم كقوله ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وعلامة الاستيلاء على الازواج ان يمتنع بالنكاح النسل ورعاية السنة في آرائهم لا حظ النفس والا كان مجاورا طريق الكمال لا ما نافيهم يعني التي جعلها الانسان وعهدهم هو عهد الميثاق في

الازل يحافظون الفرق بين المحافظة والخشوع ان الخشوع معتبر فى نفس الصلاة والمحافظة معتبرة فيها وفيما قبلها من الشرائط وفيما بعدها وهو ان لا يفعل ما يحبطها او يضعها الوارثون لانهم احياء القلوب وقد نالوا من المراتب ما خلقها أموات القلوب من سلالة لانه سل من جميع أجزاء الارض جاء مختلف الالوان والاخلاق حسب اختلاف أجزاء الطين بل بحسب اختلاف المركبات من الطين ففيه حرص الفارة والنملة وشهوة الحمار والعصفور وغضب الفهد والاسد وكبر النمر وبخل الكلب وشره الخنزير وحقد الحية وغير ذلك من الصفات الذميمة وفيه شجاعة الاسد وسخاوة الديك وقناعة البازى ونحوها من الاخلاق الحميدة فتبارك الله أحسن الخالقين لانه خلق أحسن المخلوقين اما من حيث الصورة فلانه تعالى خلق من نطفة متشابهة الاجزاء بدنا مختلف الابعاض والاعضاء كاللحم والشحم والعظم والشعر والظفر والعصب والعروق والعظام والمخ والانف والفم واليد والرجل وغيرها مما يشهد لبعضها علم التشريح وأما من حيث المعنى فلانه خلق الانسان مستعدا لحمل الامانة التى أبى حملها السموات والارض والجبال وسيجىء تحقيق ذلك فى موضعه ثم انكم بعد ذلك لميتون الى قوله تبعثون فيه ان الانسان قابل لموت القلب ولموت النفس ولحشرهما وفى موت واحد حياة الآخر وحشره وموت القلب عبارة عن انغماسه وتستره فى حجب الغواشى الآتية عليه من طرق الحواس الظاهرة وحاشى الوهم والخيال فلذلك قال ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق هى الاغشية والحجب من الجهات المذكورة وما كنا عن مصالح الخلق غافلين فلا نترك العبد فى تلك الحجب بدليل قوله وأنزلنا من السماء ماء بقدر واستعداد السالك فاسكناه فى أرض وجوده فانشأنا لكم به جنات من نخيل المعارف وأعناب المكشوف وشجرة الحق الذى يخرج من طور سيناء الروح بتأثير تجلى أنوار الصفات تنبت بدهن حسن الاستعداد لقبول الفيض الالهى بلا واسطة لانه ستر بين الله وبين الروح وصبغ لاكل الكونين بقوة الهمة ثم أخبر عن نعم الغالب ان فيها منافع لانها آلة تحصيل الكمال وعليها وعلى ذلك الشريعة فى ستر السير الى الله تحملون وتأويل قصة نوح قدمر فى سورة هود والله أعلم (ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل

صلح وان أثبتهما صلح وان لم تعترض بينهما بشىء لم يجز خطأ أن يقال أظن انك انك جالس وذكر ان ذلك فى قراءة عبد الله أبعدكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (هيهات هيهات لما توعدون ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قول الملأ من ثمود انهم قالوا هيهات هيهات أى بعيدا ما توعدون أيها القوم من انكم بعد موتكم ومصيركم ترابا وعظاما مخرجون احياء من قبوركم يقولون ذلك غير كائن * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله هيهات هيهات يقول بعيد بعيد حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله هيهات هيهات لما توعدون قال يعنى البعث والعرب تدخل اللام مع هيهات فى الاسم الذى يصحبها وتنزعها منه تقول هيهات لك هيهات وهيهات ما تبتغى هيهات واذا أسقطت اللام رفعت الاسم بمعنى هيهات كانه قال بعيد ما ينبغى لك كما قال جرير

فهيهات هيهات العقيق ومن به * وهيهات خل بالعقيق نواصله

كانه قال العقيق وأهله وانما أدخلت اللام مع هيهات فى الاسم لانهم قالوا هيهات أداة غير ماخوذة من فعل فادخلوا معها فى الاسم اللام كما أدخلوها مع هلم لك اذ لم تكن ماخوذة من فعل فاذا قالوا أقبل لم يقولوا لك لاحتمال الفعل ضمير الاسم * واختلف أهل العربية فى كيفية الوقف على هيهات فكان الكسائى يختار الوقوف فيها بالهاء لانها منصوبة وكان الفراء يختار الوقوف عليها بالتاء ويقول من العرب من يخفض التاء فدل على انها ليست بهاء التأنيث فصارت بمنزلة دراك ونظار وأما نصب التاء فيهما فلانهما أداتان فصارتا بمنزلة خمسة عشر وكان الفراء يقول ان قيل ان كل واحدة مستغنية بنفسها يجوز الوقوف عليها وان نصبها بحسب قوله ثمت جاست وبمنزلة قول الشاعر

يا ربتما غارة شعواء * كالذعة بالميسم

قال فنصب هيهات بمنزلة هذه الهاء التى فى ربت لانها دخلت على حرف على رب وعلى ثم وكانا أداتين فلم تغيرهما عن أدائهما فنصبا * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته قراء الامصار غير أبى جعفر هيهات هيهات بفتح التاء فيهما وقرأ ذلك أبو جعفر هيهات هيهات بكسر التاء فيهما والفتح فيهما هو القراءة عندنا لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله ان هى الا حياتنا الدنيا يقول ما حياة الا حياتنا الدنيا التى نحن فيها نموت ونحيا يقول نموت الاحياء منا فلا نحيا ويحدث آخرون منا فيولدون احياء وما نحن بمبعوثين يقول قالوا وما نحن بمبعوثين بعد الممات كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين قال يقول ليس آخرة ولا بعث يكفرون بالبعث يقولون انما هى حياتنا هذه نموت ونحيا نحن وهؤلاء ويحيا هؤلاء يقولون انما الناس كالزرع يحصد هذا ويثبت هذا يقولون نموت نحن وهؤلاء ويأتى آخرون

مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى (١٥) فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين

آخرون وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد وقرأ الآتينا الساعة قل بلى وربي لتبعثن ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين) يقول تعالى ذكره قالوا ما صالح الا رجل اختلق على الله كذبا في قوله ما لكم من اله غير الله وفي وعده اياكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون وقوله هو من ذكر الرسول وهو صالح وما نحن له بمؤمنين يقول وما نحن له بمصدقين فيما يقول انه لا اله لنا غير الله وفيما يعدنا من البعث بعد الممات وقوله قال رب انصرني بما كذبون يقول قال صالح لما أيس من ايمان قومه بالله ومن تصديقهم اياه بقولهم وما نحن له بمؤمنين رب انصرني على هؤلاء بما كذبون يقول بتكذيبهم اياي فيما دعوتهم اليه من الحق فاستغاث صلوات الله عليه ربه من أذاهم اياه وتكذيبهم له فقال الله مجيبا في مسئلته اياه ما سأل عن قليل يا صالح ليصبحن مكذبوك من قومك على تكذيبهم اياك نادمين وذلك حين تنزل بهم نقمتنا فلا ينفعهم الندم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين) يقول تعالى ذكره فانتقمنا منهم فأرسلنا عليهم الصيحة فأخذتهم بالحق وذلك أن الله عاقبهم باستحقاقهم العقاب منه بكفرهم به وتكذيبهم رسوله فجعلناهم غثاء يقول فصيرناهم بمنزلة الغثاء وهو ما ارتفع على السيل ونحوه كالا ينتفع به في شئ فأتبعناهذا مثل والمعنى فاهلكناهم فجعلناهم كالشئ الذي لا منفعة فيه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين يقول جعلوا كالشئ الميت البالي من الشجر **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد غثاء كالرميم الهامد الذي يحمل السيل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فجعلناهم غثاء قال كالرميم الهامد الذي يحمل السيل **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فجعلناهم غثاء هو الشئ البالي **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فجعلناهم غثاء قال هذا مثل ضربه الله وقوله فبعدا للقوم الظالمين يقول فأبعد الله القوم الكافرين بهلاكهم اذ كفروا بربهم وعصوا رسله وظلموا أنفسهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال أولئك ثمود يعني قوله فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) يقول تعالى ذكره ثم أحدثنا من بعد هلاك ثمود قوما آخرين وقوله ما تسبق من أمة أجلها يقول ما يتقدم هلاك أمة من تلك الامم التي أنشأناها بعد ثمود قبل الاجل الذي أجلنا لهلاكها ولا يستأخر هلاكها عن الاجل

فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) القراآت هيهات هيهات بكسر التاء فيهما يزيد والوقف بالتاء لا غير وهو الصحيح عنه وروى ابن وردان عنه بالكسر والتنوين فيهما الباقون بفتح التاء فيهما في الحالين الا الكسائي فانه يقف بالهاء تترا بالتنوين ابن كثير وأبو عمرو ويزيد والوقف بالالف لا غير الباقون بالياء في الحالين وان هذه بفتح الهمزة وسكون النون ابن عامر وان بالكسر والتشديد عاصم وحمزة وعلي وخلف الا آخرون وأن بالفتح والتشديد زبرا بفتح الباء عباس الا آخرون بضمها * الوقوف آخرين ه ج للآية مع الفاء

والتصال المعنى غيره ط يتقون ه الدنيا لا لان ما بعده مقول القول مثلكم لا لان ما بعده صفة بشرتشربون ه لخاسرون ه مخرجون ه لما توعدون ه بمبعوثين ه لان الكل مقول الكفار وباب رخصة الضرورة وجواز اتيان الآية مفتوح بمؤمنين ه ط بما كذبون ه نادمين ج ه للآية مع حسن الوصل تصديقا لقوله عما قليل غثاء ط تفخيما للكلمة التبعيدية بالابتداء مع فاء التعقيب الظالمين ه آخرين ه ط لان الجملة ليست بصفة لها لان العجز عن سبق الاجل لا يختص بهم يستأخرون ه ط لان ثم لترتيب الاخبار تترى ط منوا ترى ولا للابتداء بكلما أحاديث ج لما ذكر في غثاء لا يؤمنون ه مبين ه لا لتعلق الجار عالين ه ج للآية مع

الفلهعابدون ه ج لذلك المهلكين ه يستلون ه ومعين ه صالحا ط عليم ه ط لمن قرأوان بالكسر فاتقون ه زبرا ط فرحون ه حين ه وبنين ه لالان نسارع مفعول ثان لحسبان الخيرات ط لايشعرون ه السبع الخامس* التفسير عن ابن عباس وأكثر المفسرين ان هذه القرون هم عاد قوم هود لمجيء قصتهم على أثر قصة نوح فى غير هذا الموضع ولقوله تعالى فى الاعراف واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وقيل انهم ثمود لانهم أهلكوا بالصيحة وقد قال الله تعالى فى هذه القصة فاخذتهم الصيحة ومعنى فارسلنا فيهم جعلناهم موضع ارسال والا فلفظة أرسل لا تعدى الا بالى وضمن الارسال معنى القول ولهذا جيء بان المفسرة أى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله قال بعضهم قوله أفلا تتقون غير موصول بما قبله وانما قاله لهم بعد ان كذبوه وردوا عليه الحجة والجمهور على انه موصول لانه دعاهم الى الله وحذرهم عقابه ان لم يقبلوا قوله ولم يتركوا عبادة الاوثان قال جار الله انما قال فى هذه السورة وقال الملأ بالواو وفى الاعراف قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنريك فى سفاهة بغير واو ومثله فى سورة هود قالوا ياهود ماجئتنا ببينة لانه بنى الامر فى ذينك الموضعين على تقدير سؤال سائل وفى هذه السورة أراد انه اجتمع فى الحصول هذا الحق وهذا الباطل فعطف قولهم على قوله وقال السكاكى صاحب المفتاح انما قدم الجار والمجرور أعنى قوله من قومه على وصف الملأ وهم الذين كفروا لطول الصلة بالمعطوفات ولانه لو أخر لاوهم ان قوله من قومه متعلق بالدنيا ومعنى لقاء الآخرة لقاء مافيها من الحساب والثواب والعقاب ومعنى أترفناهم أنعمناهم بحيث شغلوا بالدنيا عن الاخرى وقوله مما تشربون أى من الذى تشربونه فحذف الضمير أو حذف منه لدلالة ماقبله عليه ثم أكدوا شبهتهم ان الرسول لا يكون من جنس البشر بقولهم ولئن أطعتم واذن واقع فى جزاء الشرط وجواب لقومهم يصدقون أى انكم اذا قبلتم قول مثلكم وأطعتموه خسرتم عقولكم وأبطلتم آراءكم اذ لا ترجيح لبعض البشر على بعض فى معنى الدعوة الى طريق مخصوص هذا بيان كفرهم ثم بين تكذيبهم بلقاء الآخرة وطعنهم فى الحشر بقوله أيعدكم الآية قال جار الله بنى انكم للتوكيد وحسن الفصل بالظرف ومخرجون خبر الاول أو انكم مخرجون مبتدأ معناه اخراجكم وخبره اذا متم والجملة خبر الاول وانكم مخرجون فى تقدير وقع اخراجكم وهذه الجملة الفعلية جواب اذا والجملة الشرطية خبر الاول وفى حرف ابن مسعود أيعدكم اذا متم ثم أكدوا الاستفهام الانكارى

---

الذى أجلنا لهلاكها والوقت الذى وقتنا لفنائها ولكنها تهلك لمجيئه وهذا وعيد من الله لمشركى قوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واعلام منه لهم ان تأخيره فى آجالهم مع كفرهم وتكذيبهم رسوله ليبلغوا الاجل الذى أجل لهم فيحل بهم نقمته كسنته فيمن قبلهم من الامم السالفة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا للقوم لا يؤمنون) يقول تعالى ذكره ثم أرسلنا الى الامم التى أنشأنا بعد ثمود رسلنا تترى يعنى يتبع بعضها بعضا وبعضها فى أثر بعض وهى من المواترة وهى اسم لجمع مثل شئ لا يقال جاءنى فلان تترى كما لا يقال جاءنى فلان مواترة وهى تنون ولا تنون وفيها الياء فمن لم ينونها فهى فعلى من وترت ومن قال تترى توهم ان الياء أصلية كما قيل معزى بالياء ومعرى ومهمى ومهما ونحو ذلك فاجريت أحيانا وترك اجراؤها أحيانا فمن جعلها فعلى وقف عليها أشار الى الكسر ومن جعلها ألف اعراب لم يشر لان ألف الاعراب لا تكسر لا يقال رأيت زيدا فيشار فيه الى الكسر * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم أرسلنا رسلنا تترى يقول يتبع بعضها بعضا **حدثنا** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ثم أرسلنا رسلنا تترى يقول بعضها على أثر بعض **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تترى قال اتباع بعضها بعضا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ثم أرسلنا رسلنا تترى قال يتبع بعضها بعضا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم أرسلنا رسلنا تترى قال بعضهم على أثر بعض يتبع بعضهم بعضا * واختلفت قراء الامصار فى قراءة ذلك فقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة وبعض أهل المدينة وبعض أهل البصرة تترى بالتنوين وكان بعض أهل مكة وبعض أهل المدينة وعامة قراء الكوفة يقرؤنه تترى بارسال التاء على مثال فعلى والقول فى ذلك انهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان فى كلام العرب بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أنى مع ذلك اختار القراءة بغير تنوين لانها أفصح اللغتين وأشهرهما وقوله كلما جاء أمة رسولها كذبوه يقول كلما جاء أمة من تلك الامم التى أنشأناها بعد ثمود رسولها الذى نرسله اليهم كذبوه فيما جاءهم به من الحق من عندنا وقوله فاتبعنا بعضهم بعضا يقول فاتبعنا بعض تلك الامم بعضا بالهلاك فاهلكنا بعضهم فى أثر بعض وقوله وجعلناهم أحاديث للناس ومثلا يتحدث بهم فى الناس والاحاديث فى هذا الموضع جمع أحدوثة لان المعنى ماوصفت من انهم جعلوا للناس مثلا يتحدث بهم وقد يجوز أن يكون جمع حديث وانما قيل وجعلناهم أحاديث لانهم جعلوا حديثا ومثلا يتمثل بهم فى الشر ولا يقال فى الخير جعلته حديثا ولا أحدوثة وقوله فبعدا للقوم لا يؤمنون يقول فابعد الله قوما لا يؤمنون بالله ولا

بقولهم هيهات ومعناه بعد وهو اسم هذا الفعل وفى التكرير تأكيد آخر وكذا فى اضمار الفاعل وتبيينه بقوله لما توعدون قال جار الله اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويب بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام فى هيت لك لبيان المهيت به وقال الزجاج هو فى تقدير المصدر أى البعد لما توعدون أو بعد لما توعدون فبين فون ثم بين اترافهم بانهم قالوا ان هى الا حياتنا أى الاهذه الحياة لان ان النافية دخلت على هى العائدة الى الحقيقة الذهنية فنفت ما بعدها نفى الجنس وقدم فى الانعام وانما يدفى هذه السورة قوله نموت ونحيا لان هذه الزيادة لعلها وقعت فى كلام هؤلاء دون كلام أولئك ولم يريدوا بهذا الكلام أنفس (١٧) المتكلمين وحدهم بل أرادوا انه يموت بعض ويولد بعض وينقرض قرن ويأتى قرن آخر ولو أنهم اعتقدوا انهم يحيون بعد الموت لم يكن يتوجه عليهم ذم ولناقضه قولهم وما نحن بمبعوثين ثم حكى انهم زعموا ان كل ما يدعيه هود من الاستبناء وحديث البعث وغيره افتراء على الله وانهم لا يصدقونه البتة فلا جرم قال هود داعيا عليهم كما دعا نوح على قومه رب انصرنى بما كذبون قال الله مجيبا له عما قليل أى عما زمان قليل قصير ليصحبن جعل صبرورتهم نادمين دليلا على اهلاكهم لانه علم انهم لا يندمون الا عند ظهور سلطان العذاب ووقوع أماراته وذلك وقت اعيان اليأس وزيادة ما التوكيد قصر المدة والصيحة صيحة جبريل كما سلف فى الاعراف وفى هود ومعنى بالحق بالعدل كقولك فلان يقضى بالحق وعلى أصول الاعتزال بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك والغثاء حميل السيل مما يبلى واسود من الاوراق والعيدان وغير هاشبههم بذلك فى دمارهم أو فى احتقارهم أو فى قلة الاعتناء بهم وفى ضمن ذلك تشبيه استيلاء العذاب باستيلاء السيل على الغثاء يقلبه كيف يشاء ثم دعا عليهم بالهلاك فى الدارين بقوله فبعدا للقوم الظالمين كما مر فى

يصدقون برسوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين) يقول تعالى ذكره ثم أرسلنا بعد الرسل الذين وصف صفتهم قبل هذه الآية موسى وأخاه هرون الى فرعون واشراف قومه من القبط بآياتنا يقول بحجتنا فاستكبروا عن اتباعها والايمان بما جاءهم به من عند الله وكانوا قوما عالين يقول وكانوا قوما عاتين على أهل ناحيتهم ومن فى بلادهم من بنى اسرائيل وغيرهم بالظلم قاهرين لهم وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكانوا قوما عالين قال علوا على رسلهم وعصوا بهم ذلك علوهم وقرأ تلك الدار الآخرة الآية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين) يقول تعالى ذكره فقال فرعون وملؤه أنؤمن لبشرين مثلنا فنتبعهما وقومهما من بنى اسرائيل لنا عابدون يعنون انهم لهم مطيعون متذللون يأتمرون لامرهم ويدينون لهم والعرب تسمى كل من دان الملك عابدا له ومن ذلك قيل لاهل الحيرة العباد لانهم كانوا أهل طاعة لملوك العجم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال فرعون أنؤمن لبشرين مثلنا الآية تذهب نرفعهم فوقنا ونكون تحتهم ونحن اليوم فوقهم وهم تحتنا كيف نصنع ذلك وذلك حين أتوهم بالرسالة وقرأ وتكون لكما الكبرياء فى الارض قال العلو فى الارض وقوله فكذبوهما فكانوا من المهلكين يقول فكذب فرعون وملؤه موسى وهرون فكانوا ممن أهلكهم الله كما أهلك من قبلهم من الامم بتكذيبها رسلها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين) يقول تعالى ذكره ولقد آتينا موسى التوراة ليهتدى بها قومه من بنى اسرائيل ويعملوا بما فيها وجعلنا ابن مريم وأمه آية يقول وجعلنا ابن مريم وأمه حجة لنا على من كان بينهم وعلى قدرتنا على انشاء الاجسام من غير أصل كما أنشأنا خلق عيسى من غير أب كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وجعلنا ابن مريم وأمه قال ولدته من غير أب هوله ولذلك وحدت الآية وقد ذكر مريم وابنها وقوله وآويناهما الى ربوة يقول وضممناهما وصيرناهما الى ربوة يقال آوى فلان الى موضع كذا فهو يأوى اليه اذا صار اليه على مثال أفعلته فهو يؤويه وقوله الى ربوة يعنى الى مكان مرتفع من الارض على ما حوله ولذلك قيل للرجل يكون فى رفعة من قومه وعز وشرف وعدد هو فى ربوة من قومه وفيها لغتان ضم الراء وكسرها اذا أريد بها الاسم واذا أريد بها الفعلة من المصدر قيل ربا ربوة * واختلف أهل التأويل فى المكان الذى وصفه الله بهذه الصفة وآوى اليه مريم وابنها فقال بعضهم هو الرملة من فلسطين ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا صفوان بن عيسى قال ثنا بشر بن رافع قال ثنى ابن عم لابى هريرة يقال له أبو عبد الله قال قال



الظالمين لكونهم مذكورين صريحا بخلاف ما يجىء من قوله فبعدا للقوم لا يؤمنون لانهم غير مذكورين الا بطريق الاجمال وذلك قوله ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين والظاهر انهم قوم صالح ولوط وشعيب كما ورد تفصيلهم على هذا الترتيب فى الاعراف وفى هود وغيرهما وعن ابن عباس انهم بنو اسرائيل والمعنى انا بعد ما أخلينا الديار من المكلفين أنشأنا هم وبلغناهم حد التكليف حتى قامت اقامتهم من كانوا قبلهم ثم بين كمال علمه وقدرته فى شأن المكلفين بقوله ما تسبق من أمة أى كل طائفة مجتمعة فى قرن لها آجال مكتوبة فى الحياة وفى الموت

بالهلاك أو الاهلاك لا يتقدمها ولا يتأخر عنها وفيه ان المقتول ميت بأجله وقال الكعبي معنى الآية انهم لا يتقدمون وقت عذابهم ان لم يؤمنوا ولا يتأخرون عنه ولا يستأصلهم الا اذا علم منهم انهم لا يزدادون الا عنادا وانهم لا يلدون مؤمنا وانه لا نفع في بقائهم لغيرهم ولا ضرر على أحد في هلاكهم ثم بين ان رسل الله كانوا بعده هذه القرون متواترين وان شأنهم في التكذيب كان واحدا وكانت سنة الله فيهم باتباع بعضهم بعضا في الاهلاك والتاء في تترى بدل من الواو في الوتر وهو الفرد أي أرسلناهم واحدا بعد واحد والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا فلذلك جاء في القرآن رسلنا ورسلهم (١٨) ورسولها وأحاديث يكون اسم جمع للحديث أو جعاله من غير لفظه ومنه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون جمعا للحديث وثمن لفظها كالاضحوكة والاعجوبة وهو المراد من الآية أي جعلناهم أخبارا يسمعونها ويتعجب منها لانهم استؤصلوا فلم يبق فيهم عين ولا أثر سوى الحكاية ثم ذكر طرفا من قصة موسى عليه السلام عن الحسن بآياتنا أي بديننا كيلا يلزم منه تكرار لان السلطان المبين هو المعجز والاقرب قول ابن عباس انها الآيات التسع لان الآيات عند ذكر الرسل يراد بها المعجزات في عرف القرآن والسلطان هو العصا لانها كانت أم آياته وأقدمها خصت بالذكر لشرفها وقوة دلالتها ويجوز ان يراد انها آيات في أنفسها وحجة بينة بالنسبة الى المتحدين بها أو يراد به تسلط موسى عليه السلام في الاستدلال على الصانع وانه ما كان يقيم لهم وزنا ثم حكى عن فرعون وقومه صفتهم وشبهتهم أما الصفة فهي الاستكبار والعلو أي طلبوا الكبر وتكلفوه واستنكفوا عن قبول الحق وكانوا مع ذلك رفيعي الحال في أمور الدنيا غالبين قاهرين مستظهرين بالعدد والعدد وأما الشبهة فهي انكار كون الرسول من جنس البشر ولا سيما اذا كان قومهما وهم بنو اسرائيل خدما وعبيدا لهم قال أبو عبيدة العرب تسمي كل من دان الملك وهو عابده ويحتمل ان يقال انه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم عبادة على الحقيقة والبشر يقع على الواحد وعلى الجمع والمثل يوصف به الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث ويقال أيضا هما مثلاه وهم أمثاله ثم بين انه لما خطرت هذه الشبهة ببالهم صرحوا بالتكذيب فأهلكوا لذلك وكانوا في حكم الله وعلمه كذلك ثم حكى ما جرى على قوم موسى بعد اهلاك عدوهم ولقد آتينا موسى الكتاب أي التوراة لعلهم يهتدون من الناس من ظن ان هذا الضمير راجع الى فرعون ومائه والمعنى انه خص موسى بالكتب لا للتكذيب ولكن

لنا أبو هريرة الزموا هذه الرملة من فلسطين فانها الربوة التي قال الله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين **حدثني** عصام بن رواد بن الجراح قال ثنا أبي قال ثنا عباد أبو عتبة الخواص قال ثنا يحيى بن عمرو الشيباني عن أبي وعلة عن كريب قال ما أدري ما حد ثنا مرة الهمذاني سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ان الربوة هي الرملة **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن بشر بن رافع عن أبي عبد الله ابن عم أبي هريرة قال سمعت أبا هريرة يقول في قول الله الى ربوة ذات قرار ومعين قال هي الرملة من فلسطين **حدثنا** ابن بشار قال ثنا صفوان قال ثنا بشر ابن رافع قال ثني أبو عبد الله ابن عم أبي هريرة قال قال لنا أبو هريرة الزموا هذه الرملة التي بفلسطين فانها الربوة التي قال الله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين وقال آخرون هي دمشق ذكر من قال ذلك **حدثنا** أحمد بن الوليد القرشي قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب انه قال في هذه الآية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال زعموا أنها دمشق **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال بلغني عن ابن المسيب انه قال دمشق **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب مثله **حدثني** يحيى بن عثمان بن صالح السهمي قال ثنا ابن بكير قال ثنا الليث بن سعد قال ثني عبد الله بن لهيعة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب في قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال الى ربوة من ربى مصر قال وليس الربى الا في مصر والماء حين يرسل تكون الربى عليها القرى ولولا الربى غرقت تلك القرى وقال آخرون هي بيت المقدس ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال هو بيت المقدس قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال كان كعب يقول بيت المقدس أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن كعب مثله * وأولى هذه الاقوال بتأويل ذلك انها ما كان مرتفعا ذو استواء وماء ظاهر وليس كذلك صفة الرملة لان الرملة لا ماء بها معين والله تعالى ذكره وصف هذه الربوة بانها ذات قرار ومعين وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وآويناهما الى ربوة قال الربوة المستوية **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الى ربوة قال مستوية **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله ذات قرار ومعين يقول تعالى ذكره من صفة الربوة التي أوينا اليها مريم وابنها عيسى انها أرض منبسطة وساحة وذات ماء ظاهر لغير الباطن جار وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ومعين قال المعين الماء الجاري

ليهتدوا به فلما أصروا على الكفر مع البيان العظيم استحقوا الاهلاك وهو وهم لان موسى لم يؤت التوراة الا بعد اهلاك القبط بدليل قوله ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى وفي قوله في أول البقرة واذ نجينا كم من آل فرعون الى قوله واذ واعدنا موسى أربعين ليلة والقصة مشهورة فالصحيح انه ذكر موسى وأراد قومه كما يقال هاشم وثقيف وأراد قومهم نظيره على خوف من فرعون وملئهم وقد مر في آخر يونس ثم أجمل قصة عيسى بقوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية وقد مر بيانه في آخر الانبياء في قوله وجعلناها وابنها آية للعالمين قال جار الله لو قيل آيتين لجاز لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله (١٩) ألقى اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات أخر واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها والاقرب حمل اللفظ على الوجه الذي لا يتم الا بمجموعهما وهو الولادة على الوجه العجيب الناقض للعادة والربوة بحركات الراء هي الارض المرتفعة عن كعب وقتادة وأبي العالية هي ايليا أرض بيت المقدس وانها كبد الارض وأقرب الى السماء بثمانية عشر ميلا وعن الحسن فلسطين والرملة ومثله عن أبي هريرة قال الزمواهذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التي ذكرها الله وقال الكلبي وابن زيد هي مصر والاكثرون على انها دمشق وغوطتها والقرار المستقر من أرض منبسطة مستوية وعن قتادة أراد ذات ثمار وماء يعني لاجل الثمار مستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الارض من عانه اذا أدركه بعينه فوزنه معيون على مفعول وقال الفراء والزجاج ان شئت جعلته فعيلا من الماعون وهو ماسهل على معطيه من أثاث البيت ومثله قول ابن علي المعين السهل الذي ينقاد ولا يتعاص

وقال جار الله وجه من جعله فعيلا انه نفاع لظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة قال المفسرون سيب الارواء انهما فرتبا بابنها عيسى الى الربوة وبقيتا بها اثنتي عشرة سنة وانما ذهب بهما ابن عمها يوسف ثم رجعت الى أهلها بعد ما مات ملكهم قوله سبحانه يا أيها الرسل ليس على ظاهره لانهم أرسلوا في أزمنة مختلفة وفي تأويله وجوه أحدها الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي بذلك ووصي به ليعتقد السامع ان أمر أنودي له جميع الرسل حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه ويؤيد هذا التأويل ما روي عن أم عبد الله أخت الشداد بن أوس انها بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح من لبن في شدة الحر عند فطره صلى الله عليه وسلم وهو صائم فرده الرسول اليها وقال من أين لك هذا فقالت

---

وهو النهر الذي قال الله قد جعل ربك تحتك سريا حدثني محمد بن عمارة الاسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد في قوله ذات قرار ومعين قال المعين الماء حدثني محمد بن عمارة الاسدي قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد معين قال ماء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني سليمان بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد في قوله ذات قرار ومعين قال المكان المستوى والمعين الماء الظاهر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ومعين هو الماء الظاهر وقال آخرون عنى بالقرار الثمار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ذات قرار ومعين هي ذات ثمار وهي بيت المقدس حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * قال أبو جعفر وهذا القول الذي قاله قتادة في معنى ذات قرار وان لم يكن أراد بقوله انها انما وصفت بانها ذات قرار لما فيها من الثمار ومن أجل ذلك يستقر فيها ساكنوها فلا وجه له نعرفه وأما معين فأنه مفعول من عنته فانا أعنيه وهو معين وقد يجوز أن يكون فعيلا من معن يمعن فهو معين من الماء ومنه قول عبيد بن الابرص

واهية أو معين ممعن * أو هضبة دونها الهوب ٧

القول في تأويل قوله تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم) يقول تعالى ذكره وقلنا لعيسى يا أيها الرسل كلوا من الحلال الذي طيبته الله لكم دون الحرام واعملوا صالحا فتقول في الكلام للرجل الواحد أيها القوم كفوا عنا اذا كم وكما قال الذين قال لهم الناس وهو رجل واحد ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني ابن عبد الاعلى بن واصل قال ثني عبيد بن اسحق الضبي العطار عن حفص بن عمر الغزاري عن أبي اسحق السبيعي عن عمرو بن شرحبيل يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا قال كان عيسى ابن مريم يأكل من غزل أمه وقوله اني بما تعملون عليم يقول اني بأعمالكم ذو علم لا يخفى علي منها شئ وأنا مجازيكم بجميعها وموفيكم أجوركم وثوابكم عليها فخذوا في صالحات الاعمال واجتهدوا

القول في تأويل قوله تعالى (وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) اختلفت القراء في قراءة قوله وان هذه أمتكم أمة واحدة فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وان بالفتح بمعنى اني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة فعلى هذا التأويل ان في موضع خفض عطف بها على ما من قوله بما تعملون وقد يحتمل أن يكون في موضع نصب اذا قرئ ذلك كذلك ويكون معنى الكلام حينئذ واعلموا أن هذه ويكون نصبها بفعل مضمر وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بالكسر وان هذه على الاستئناف والكسر في ذلك عندي على الابتداء هو الصواب لان الخبر من الله عن قيله لعيسى

من شاة لي ثم رده وقال من أين هذه الشاة فقالت اشتريتها بمالي فأخذه ثم انها جاءته وقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ردد نه فقال صلى الله عليه وسلم بذلك أمرت الرسل ان لا تأكل الا طيبا ولا تعمل الا صالحا وانبها هو قول محمد بن جرير ان المراد به عيسى وقد خاطب الواحد خطاب الجمع لشرفه وكقوله الذين قال لهم الناس المراد نعيم بن مسعود ووقع هذا الاعلام عند ابواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية أي أو بناهما وقلنا لهما هذا أي أعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقنا كلوا واعملا صالحا اقتداء بالرسل وبالنهاهو الاظهر عندي ان المراد نبينا صلى الله عليه (٢٠) وسلم لانه ذكر ذلك بعد انقضاء أخبار الرسل ووجه اتصال الكلام بما بعده ظاهر كما تقرره ووجه اتصاله بما قبله هو انتهاء الكلام الى ذكر المستلذ وبالحقيقة المراد به الامة كقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء والطيب ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه أو هو الحلال وقيل طيبات الرزق حلال لا يعصى الله فيه وصاف لا ينسى الله فيه وقوام يمسك النفس ويحفظ العقل وفي تقديم الاكل من الطيبات على الامر بالعمل الصالح دليل على ان العمل الصالح لا بد ان يكون مسبوقا باكل الحلال وفي قوله اني بما تعملون عليم تحذير من مخالفة هذا الامر وقال في سورة سبا انى بما تعملون بصير وكلاهما من أسمائه تعالى الا انه ورد ههنا على الاصل لان العلم أعم وهناك راعى الفاصلة أو خصص لان الخطاب مخصوص بآل داود ومن قرأ وان بالكسر فعلى الاستئناف ومن قرأ بالفتح مخففا ومشددا فعلى حذف لام التعليل والمعلل فاتقون ثم من قال الخطاب لجميع الرسل فالمشار اليه بهذه هو أصول الاديان والشرائع التي لا خلاف فيها بين الرسل وجملتها تقوى الله كما ختم به الآية والضمير في تقطعوا راجع الى أممهم قال الكلبي ومقاتل والضحاك يعني مشركي مكة والمجوس واليهود والنصارى ومن قال الخطاب لعيسى فهذه اشارة الى ملته في وقتها وعلى القول

يا أيها الرسل مبتدأ فقوله وان هذه مردود عليه عطفا به عليه فكان معنى الكلام وقلنا لعيسى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقلنا وان هذه أمتكم أمة واحدة وقيل ان الامة في هذا الموضع الدين والملة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله وان هذه أمتكم أمة واحدة قال الملة والدين وقوله وأنا ربكم فاتقون يقول وأنا ولاكم فاتقون بما عنى تامنوا عقابي ونصبت أمة واحدة على الحال وذكر عن بعضهم انه قرأ ذلك رفعا وكان بعض نحوي البصرة يقول رفع ذلك اذا رفع على الخبر ويجعل أمتكم نصبا على البدل من هذه وأما نحوي الكوفة فيأبون ذلك الا في ضرورة شعر وقالوا لا يقال مررت بهذا غلامكم لان هذا لا تتبعه الا الالف واللام والاجناس لان هذا اشارة الى عدد فالحاجة في ذلك الى تبين المراد من المشار اليه أي الاجناس هو وقالوا واذا قيل هذه أمتكم أمة واحدة والامة غائبة وهذه حاضرة قالوا فغير جائز أن يتبين عن الحاضر بالغائب قالوا فاذلك لم يجز أن هذا زيد قائم من أجل أن هذا يحتاج الى الجنس لا الى المعرفة ❁ القول في تأويل قوله تعالى (فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) اختلفت القراء في قراءة قوله زبرا فقرأته عامة قراء المدينة والعراق زبرا بمعنى جمع الزبور فتأويل الكلام على قراءة هؤلاء فتفرق القوم الذين أمرهم الله من أمة الرسول عيسى بالاجتماع على الدين الواحد والملة الواحدة دينهم الذي أمرهم الله بلزومه زبرا كتبا فدان كل فريق منهم بكتاب غير الكتاب الذي دان به الفريق الآخر كالهود الذين زعموا أنهم دانوا بحكم التوراة وكذبوا بحكم الانجيل والقرآن وكالنصارى الذين دانوا بالانجيل بزعمهم وكذبوا بحكم الفرقان ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة زبرا قال كتبا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بينهم زبرا قال كتب الله فرقوها قطعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا قال مجاهد كتبهم فرقوها قطعا وقال آخرون من أهل هذه القراءة انما معنى الكلام فتغرقوا دينهم بينهم كتبا أحدثوها يحفون فيها مذاهبهم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون قال هذا ما اختلفوا فيه من الاديان والكتب كل معجبون برأيهم ليس أهل هواء الا وهم معجبون برأيهم وهواهم وصاحبهم الذي اخترق ذلك لهم وقرأ ذلك عامة قراء الشام فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا بضم الزاي وفتح الباء بمعنى فتغرقوا أمرهم بينهم قطعا كزبر الحديد وذلك القطع منها واحدتها زبرة من قول الله آتوني زبر الحديد فصار بعضهم يهودا وبعضهم نصارى * والقراءة التي نختارها في ذلك قراءة من قرأه بضم الزاي والباء لاجماع أهل التأويل في تأويل ذلك على انه مراد به الكتب فذلك يبين عن صحة ما اخترنا في ذلك لان الزبر هي الكتب يقال

منه

الاظهر بل على جميع الاقوال المشار اليه ملة الاسلام كما مر مثله في آخر سورة الانبياء كانه أمر هناك بالعبادة التي هي أعم ثم أمر بالتقوى التي هي أخص ولهذا قال فتقطعوا بالفاء ليتوجه الذم أتم فان المأتي به كلما كان أبعد من المأمور به كان سبب الذم أقوى فلا يكون ترتب التقطع على التقوى كترتبه على العبادة ولهذا أكد التقطع بقوله زبرا بضم الباء جمع زبور أي حاب كونه كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم أديانا ومذاهب شتى ومن قرأ بفتح الباء فمعناه قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد ثم أكد الذم بقوله كل حزب بما أي كل فريق منهم

مغبوط بما اتخذه دينا لنفسه معجب به يرى انه الحق الرابع وغيره المبطل الخاسر ثم بالغ في الذم والتهديد بقوله فذرهم في غمرتهم وهذا الامر مما يدل على ان المخاطب بقوله يا أيها الرسل هو نبينا صلى الله عليه وسلم وقد يطلق لفظ الجماعة على الواحد تعظيما وتفخيما كقوله ان ابراهيم كان أمة والغمرة الماء الذي يغمر القامة قال جار الله ضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وغوايتهم أو شبهوا بالالاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قلت وأنت اذا تاملت فيما أسلفنا لك في المقدمة التاسعة من مقدمات الكتاب عرفت الفرق بين الوجهين قال في الكشاف الى حين أي الى ان يقتلوا أو يموتوا والتحقيق انه الحالة التي يظهر (٢١) عندها الحسرة والندامة وذلك اذا عرفهم الله

منه زبرت الكتب اذا كتبته فتأويل الكلام فتفرق الذين أمرهم الله بلزوم دينه من الامم دينهم بينهم كتبا كما بينا قبل وقوله كل حزب بما لديهم فرحون يقول كل فريق من تلك الامم بما اختاروه لانفسهم من الدين والكتب فرحون معجبون به لا يرون أن الحق سواه كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كل حزب بما لديهم فرحون قطعة هؤلاء أهل الكتاب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد كل حزب قطعة أهل الكتاب ۞ القول في تاويل قوله تعالى (فذرهم في غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) *قال أبو جعفر يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فدع يا محمد هؤلاء الذين تقطعوا أمرهم بينهم زبرا في غمرتهم في ضلالتهم وغيهم حتى حين يعني الى أجل سيأتيهم عند مجيئه عذابي وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فذرهم في غمرتهم حتى حين قال في ضلالهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فذرهم في غمرتهم حتى حين قال الغمرة الغمر وقوله أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين يقول تعالى ذكره أيحسب هؤلاء الاحزاب الذين فرقوا دينهم زبرا ان الذي نعطيهم في عاجل الدنيا من مال وبنين نسارع لهم يقول نسابق لهم في خيرات الآخرة ونبادر لهم فيها وما من قوله انما نمدهم به نصب لانها بمعنى الذي بل لا يشعرون يقول تعالى ذكره بل هم لا يعلمون أن امدادي اياهم بما أمدهم به من ذلك انما هو املاء واستدراج لهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انما نمدهم قال نعطيهم نسارع لهم قال نزيدهم في الخير نجلي لهم قال هذا القريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمر بن علي قال ثني أشعث بن عبد الله قال ثنا شعبة عن خالد الحذاء قال قلت لعبد الرحمن بن أبي بكرة وجه بقراءته ذلك كذا الى أن تأويله نسارع لهم امدادنا اياهم بالمال والبنين في الخيرات ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون) يعني تعالى ذكره بقوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ان الذين هم من خشيتهم وخوفهم من عذاب الله مشفقون فهم من خشيتهم من ذلك دائبون في طاعته جادون في طلب مرضاته والذين هم بآيات ربهم يؤمنون يقول والذين هم بآيات كتابه وحججه مصدقون والذين هم بربهم لا يشركون يقول والذين يخلصون لربهم عبادتهم فلا يجعلون له فيها لغيره شركا لوثن ولا لصنم ولا يراؤن بها أحدا من خلقه ولكنهم يجعلون

بطلان ما كانوا عليه وعرفهم سوء منقلبهم فيشمل الموت والقبر والمحاسبة والنار وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي عن الجزع من تاخير عقابهم ثم ان القوم كانوا أصحاب نعمة ورفاهية فبين الله تعالى ان ذلك الذي جعله مددا لهم وهو المال والبنون سبب لاستدراجهم الى زيادة الاثم نظيره في آل عمران انما نملي لهم ليزدادوا اثما وما في انما موصولة والرابط محذوف أي نسارع لهم فيه وفي قوله بل لا يشعرون انهم أشباه البهائم لا فطنة لهم ولا شعور حتى يتفكروا فيعلموا استدراج أم مسارعة في الخير وفيه أنه سبحانه أعطاهم هذه النعم ليكونوا متمكنين بها من الاشتغال بطلب الحق وحين أعرضوا عن الحق كان لزوم الحجة عليهم أقوى *التاويل يا كل مما كانوا لم يعلموا أنهم يا كلون مما كانوا يكونون ولكنهم لا يا كلون كما كانوا كلون المؤمن يا كل في معا واحد والكافر يا كل في سبعة امعاء والذين كفروا يتمتعون و يا كلون كما تا كل الانعام وأهل الله يا كلون و يشربون من مقام أبيت عند ربي يطعمني و يسقيني وقومهما لنا عابدون أي في حال الطفولية كانت صفات الروح والقالب عون النفس

وتربيتها وتربية صفاتها لاستكمال القالب الى حد البلوغ والاستعداد لتحمل اعباء تكاليف الشرع وآونة هما يعني ضرم النفس وعيسى القلب الى بروة القالب الذي فيه قرارهما و يجري فيه ماء معين الحكمة من القلب على اللسان يا أيها الرسل أي القوى المرسلة الى القالب (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجارون لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون قد كانت

آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم (٢٤) وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون وهو الذي

أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون) القراآت تهجرون بضم التاء وكسر الجيم نافع الآخرون بفتح التاء وضم الجيم خرجا فخراج بغير الالف فيهما ابن عامر كلاهما بالالف حمزة وعلي وخلف الباقون بحذف الالف من الاول واثباتها في الثاني فتحنا بالتشديد يزيد سيقولون لله الثانية والثالثة أبو عمرو وسهل ويعقوب الآخرون باللام فيهما كالاول جلا على المعنى لان قولك من رب هذا ولمن هذا في معنى واحد * الوقوف مشفقون ○ لا يؤمنون ○ لا يشركون ○ لا راجعون ○ لا لان الكل معطوفات على اسم ان وجلة والخبر أولئك الجلة سابقون ○ لا يظلمون ○ عالمون ○ تجأرون ○ لا لحق القول لا ينصرون ○ تنكصون ○ لا لان ما بعده حال مستكبرين ○ قد قيل على جعل الجار والجرور مفعول سامرا أو مفعول تهجرون ○ الاولين ○ منكرون ○ لصورة الاستفهام وهو العطف جنة ط كارهون ○ فهن معرضون ○ ط لان الاستفهام انكاري خبرز وقد قيل بناء على ان الواو للابتداء والجلة أوجه الرازقين ○ مستقيم ○ لناكبون ○ يعمهون ○ يتضرعون ○ مبلسون ○ والافئدة ط يشكرون ○ تحشرون ○

أعمالهم لوجهه خالصا واياه يقصدون بالطاعة والعبادة دون كل شئ سواه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والذين يؤتون ما آتوا وجلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) يعني تعالى ذكره بقوله والذين يؤتون ما آتوا والذين يعطون أهل سهمان الصدقة ما فرض الله لهم في أموالهم ما آتوا يعني ما أعطوهم اياه من صدقة ويؤدون حقوق الله عليهم في أموالهم الى أهلها وقلوبهم وجلة يقول خائفة من أنهم الى ربهم راجعون فلا يدري بهم ما فعلوا من ذلك من عذاب الله فهم خائفون من المرجع الى الله لذلك كما قال الحسن ان المؤمن من جمع احسانا وشفقة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبجر عن رجل عن ابن عمر يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال الزكاة حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد وقلوبهم وجلة قال المؤمن ينفق ماله وقلبه وجل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي الاشهب عن الحسن قال يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعملون ما عملوا من أعمال البر وهم يخافون ان لا يتجهم ذلك من عذاب ربهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال المؤمن ينفق ماله ويتصدق وقلبه وجل انه الى ربه راجع حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن انه كان يقول ان المؤمن جمع احسانا وشفقة وان المنافق جمع اساءة وأمنا ثم تلا الحسن ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون الى وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون وقال المنافق انما أوتيته على علم عندي حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة يؤتون ما آتوا قال يعطون ما أعطوا وقلوبهم وجلة يقول خائفة حدثنا خلاد بن أسلم قال ثنا النضر بن شميل قال أخبرنا اسرائيل قال أخبرنا سالم الافطس عن سعيد بن جبير في قوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يفعلون ما يفعلون وهم يعلمون أنهم صائرون الى الموت وهي من المبشرات حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعطون ما أعطوا ويعملون ما عملوا من خير وقلوبهم وجلة خائفة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا علي قال ثني معاوية عن ابن عباس قوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة يقول يعملون خائفين قال حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعطون ما أعطوا فرقا من الله وجلا من الله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يؤتون ما آتوا ينفقون ما أنفقوا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعطون ما أعطوا وينفقون ما أنفقوا ويتصدقون بما تصدقوا وقلوبهم

والنهار ط يعقلون ۝ الاولون ۝ لمبعوثون ۝ الاولين ويعلمون ۝ لله ط تذكرون ۝ العظيم ۝ لله ط يتقون ۝ يعلمون ۝ لله ط تسحرون ۝ لكاذبون ۝ * التفسير انه سبحانه لما نفى الخيرات الحقيقية عن الكفرة المتنعمين اتبعه ذكر من هو أهل للخيرات عاجلا وآجلا فوصفهم بصفات أربع الاولى الاشفاق من خشية ربهم وظاهره ينبئ عن تكرار لان الاشفاق يتضمن الخشية فنهم من قال جمع بينهما للتأكيد ومنهم من حمل الخشية على العذاب أي من عذاب ربهم مشفقون وهو قول الكلبي ومقاتل ومنهم من حمل الاشفاق على أثره وهو الدوام في الطاعة والمعنى الذين هم من خشيته دائمون على طاعته (٢٣) جادون في طلب مرضاته ومنهم من قال

وجلة اتقاء لسخط الله والنار وعلى هذه القراءة أعني على والذين يؤتون ما أتوا قراءة الامصار وبه رسوم مصاحفهم وبه نقرأ لاجماع الحجة من القراء عليه ووفاقة خط مصاحف المسلمين وروي عن عائشة رضي الله عنها في ذلك ما **حدثناه** أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا علي بن ثابت عن طلحة بن عمرو عن أبي خلف قال دخلت مع عبيد بن عمير على عائشة فسألها عبيد كيف نقرأ هذا الحرف والذين يؤتون ما أتوا فقالت يأتون ما أتوا وكأنها تأولت في ذلك يفعلون ما يفعلون من الخيرات وهم وجلون من الله كالذي **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قالت عائشة يا رسول الله والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة هو الذي يذنب الذنب وهو وجل منه فقال لا ولكن من يصوم ويصلي ويتصدق وهو وجل **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب ان عائشة قالت قلت يا رسول الله الذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أهم الذين يذنبون وهم مشفقون ويصومون وهم مشفقون **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال ثنا ليث عن مغيث عن رجل من أهل مكة عن عائشة قالت قلت يا رسول الله الذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة قال فذكر مثل هذا **حدثنا** سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد عن عائشة أنها قالت يا رسول الله الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر قال لا يا ابنة أبي بكر أو يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني جرير عن ليث بن أبي سليم وهشيم عن العوام بن حوشب جميعا عن عائشة انها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابنة أبي بكر أو يا ابنة الصديق هم الذين يصلون ويفرقون أن لا يتقبل منهم وان من قوله أنهم الى ربهم راجعون في موضع نصب لان معنى الكلام وقلوبهم وجلة من أنهم فلما حذفت من اتصال الكلام قبلها نصبت وكان بعضهم يقول هي في موضع خفض وان لم يكن الخافض ظاهرا وقوله أولئك يسارعون في الخيرات يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين هذه الصفات صفاتهم يبادرون في الاعمال الصالحة ويطلبون الزلفة عند الله بطاعته كما **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أولئك يسارعون في الخيرات قال والخيرات المخافة والوجل والايمان والكف عن الشرك بالله فذلك المسابقة الى هذه الخيرات وقوله وهم لها سابقون كان بعضهم يقول معناه سبقت لهم من الله السعادة فذلك سبوقهم الخيرات التي يعملونها ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وهم لها سابقون يقول سبقت لهم السعادة **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وهم لها سابقون فتلك الخيرات وكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى وهم اليها سابقون وتأوله آخرون وهم من أجلها سابقون * وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله ابن

الاشفاق كمال الخوف أي هم من سخط الله عاجلا ومن عقابه آجلا في نهاية الخوف ويلزم ذلك ان يكونوا في غاية الاحتراز عن المعاصي وفيه انهم اذا كانوا خائفين من الخشية فلان يخافوا من عدم الخشية أولى الثانية قوله والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والظاهر انها القرآن وقيل هي المخلوقات الدالة على وجود الصانع وليس المراد التصديق بوجودها فقط فان ذلك معلوم بالضرورة فلا يوجب المدح بل التصديق بكونها دلائل موصلة الى العرفان ويتبعه الاقرار اللساني ظاهرا الثالثة التبري عما سوى الله ظاهرا وباطنا بان لا يشرك به طرفة عين الرابعة قوله والذين يؤتون ما أتوا أي يعطون ما أعطوا وقلوبهم وجلة خائفة في شأن ذلك الاعطاء ثم علل ذلك الوجل بقوله انهم أي لانهم الى ربهم راجعون فان من اعتقد الرجوع الى الجزاء والمساءلة ونشر الصحف وتتبع الاعمال وعلم ان المجازي هو الذي لا يخفى عليه الضمائر والسرائر لم يخل عمله من حسن النية وخلوص الطوية بحيث يكون أبعد عن الرياء وأدخل في الاخلاص والظاهر ان هذا الاتيان مختص بالزكاة والتصدق ويحتمل ان يراد اعطاء كل فعل أو خصلة أي اتيانها بيده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ ويؤتون ما أتوا أي يفعلون ما فعلوا وعن عائشة أنها قالت قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا بنت الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله ان لا يقبل منه وفي قوله يسارعون في الخيرات معنيان أحدهما يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها والثاني انهم يتجاوزون في الدنيا وجوه المنافع والاكرام لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها قال جار الله وهذا الوجه أحسن طباقا للآية المتقدمة لان فيها اثبات ما نفى عن الكفار للمؤمنين وقال في قوله وهم لها

سابقون انه مفعول أو منويه أى فاعلين السبق لاجلها أو سابقون الناس لاجلها والمراد بها ما يعنون كقولك هو زيد ضارب بمعنى هو زيد اضارب جئت بالاسم لضعف عمل اسم الفاعل ولا سيما في قبله والمعنى انهم ينالون الخيرات قبل الاخرى حيث عجلت لهم في الدنيا وجوزان يكون لها سابقون خبرين أحدهما بعد الآخر كقولك هذا هو لهذا الامر أى صالح له وحين انجر الكلام الى ذكر أعمال المكلفين ذكر حكمين لها الاول قوله ولا نكلف نفسا الا وسعها وفي الوسع قولان أحدهما انه الطاقة والآخر انه دون الطاقة وهو قول المعتزلة ومقاتل والضحاك والكلبي لانه (٢٤) اتسع فيه على المكلف ولم يضيق مثاله ان لم يستطع ان يصلي قائما فليصل قاعدا

والاظهر الاول وفيه ان هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج من وسعهم الثاني قوله ولدينا كتاب ينطق والمراد بنطقه اثبات كل عمل فيه وهو اللوح أو صحيفة الاعمال لا يقرؤن منها يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل والبحث بين الاشاعرة والمعتزلة في مثل هذا المقام معلوم أما قوله بل قلوبهم في غمرة من هذا ففيه طريقان أحدهما راجع الى الكفار والمعنى بل قلوب الكفار في غفلة عامرة لهم من هذا الذي بيناه في القرآن أو من هذا الذي ينطق بالحق أو الذي عليه هؤلاء المؤمنون ولهم أعمال متجاوزة لذلك الذي وصف به المؤمنون كمتابعة الهوى وطلب الدنيا والاعراض عن المولى هم لها عاملون في الحال على سبيل الاعتياد لا يقطعون عنها حتى يأخذهم العذاب أو في الاستقبال لانها مبينة في علم الله مكتوبة في اللوح عليهم أن يعملوا بها بحكم الشقاء الازلي وتانيهما وهو اختيار أبي مسلم ان هذه الآيات من صفات المشفقين كأنه سبحانه قال بعد وصفهم ولا نكلف نفسا الا وسعها ومع ما يتسم ما أتى به هؤلاء ولدينا كتاب يحفظ أعمالهم بل قلوبهم في غمرة من هذا الذي وصفناهم به أهو مقبول عند الله أم مردود ولهم أعمال من دون ذلك الذي وصفهم لها عاملون وهي النوافل السرية والاعمال القلبية ثم انه رجع الى وصف الكفار بقوله حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب وهو عذاب الآخرة أو قتلهم يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحرقة والقددوا ولادوا الجؤار الصراخ باستغاثة ثم أخبر أنه يقال لهم حينئذ على جهة التبكيت لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون لا تغاثون من جهتنا أو لا تمنعون منا ثم عدد عليهم التوبيخ بقبائحهم ومعنى النكوص على العقبين التباعد عن الحق

عباس من انه سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم في الخيرات ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها وانما قلت ذلك أولى التأويلين بالكلام لان ذلك أظهر معنييه وانه لا حاجة بنا اذا وجهنا تاويل الكلام الى ذلك الى تحويل معنى اللام التي في قوله وهم لها الى غير معناها الا غلب عليها ﴿ القول في تاويل قوله تعالى (ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون) يقول تعالى ذكره ولا نكلف نفسا الا ما يسعها ويصلح لها من العبادة ولذلك كلفناها ما كلفناها من معرفة وحدانية الله وشرعنا لها ما شرعنا من الشرائع ولدينا كتاب ينطق بالحق يقول وعندنا كتاب أعمال الخلق بما عملوا من عمل في الدنيا لا زيادة عليه ولا نقصان ونحن موفو جميعهم اجورهم المحسن منهم باحسانه والمسيء باساءته وهم لا يظلمون بان يزاد على سيآت المسيء منهم ما لم يعمله فيعاقب على غير جرمه وينقص المحسن مما عمل من احسانه فينقص عمله من الثواب ﴿ القول في تاويل قوله تعالى (بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون) يقول تعالى ذكره ما الامر كما يحسب هؤلاء المشركون من أن امدادنا اياهم بما نمدهم به من مال وبنين نخير نسوقه بذلك اليهم ولرضى منا عنهم ولكن قلوبهم في غمرة عن هذا القرآن وعنى بالغمرة ما غمر قلوبهم فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج وعنى بقوله من هذا من القرآن وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله في غمرة من هذا قال في عمى من هذا القرآن **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله في غمرة من هذا قال من القرآن وقوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون يقول تعالى ذكره ولهؤلاء الكفار أعمال لا يرضاها الله من المعاصي من دون ذلك يقول من دون أعمال أهل الايمان بالله وأهل التقوى والخشية له وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال الخطايا **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولهم أعمال من دون ذلك قال الحق قال **حدثنا** حجاج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله ولهم أعمال من دون ذلك الآية قال أعمال دون الحق **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال ذكر الله الذين هم من خشيته ربهم مشفقون والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة ثم قال للكفار بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال من دون الاعمال التي منها قوله من خشية ربهم مشفقون والذين **حدثني** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد قال أعمال لا بد لهم من أن يعملوها

والحاق صفة لكن (بجمع على ورائه وقد مر في الانعام وفي مرجع الضمير فيه أقوال أحدها انه للبيت العتيق أو للحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت والتفاخر بولاية وسدانته والقيام به وكانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لانا أهل الحرم وثانيها مستكبرين بهذا التراجع والتباعد وثالثها مستكبرين بالقرآن على تضمين الاستكبار معنى التكذيب أو على ان الباء للسببية لان سماع القرآن كان يحدثهم استكبارا وعتوا ورابعها أنه يتعلق بسامرا أو بتهجرون والهجر بالضم الفحش وبالفتح الهذيان والهجر في منطقه اذا أفحش والضمير للقرآن أو للنبي أي لتهجرون بذكر القرآن وبالطعن فيه أو في (٢٥) النبي وكانت غامة سمرهم حول البيت بذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع ثم بين ان سبب اقدامهم على الكفر أحد أمور أربعة الاول عدم التدبر في القرآن لانهم ان تدبروه تأملوا مبانيه ومعانيه ظهر لهم صدقه واعجازه فيصدقوا به وبمن جاء به الثاني قوله أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين والمراد أمر الرسالة ثم المقصود تقرير انه لم يأت آباءهم الاقربين رسول كقوله لينذروا ما أنذر آباؤهم فلذلك أنكروه واستبعدوه أو تقرير انه أتى آباءهم الاقدمين رسل وذلك انهم عرفوا بالتواتر ان رسل الله فيهم كثيرة وكانت الامم بين مصدق ناج وبين مكذب هالك بعذاب الاستئصال فاداهم ذلك الى تصديق هذا الرسول وآباؤهم اجمعيل واعقابه من عدنان وقحطان وقيل أراد أفلم يدبروا القرآن فيخافوا عند تدبر آياته وأقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين أم جاءهم من الامر ما لم يأت آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا تبعا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا أسد بن خزيمة ولا تميم بن مرة فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شئ فلا تشككوا في ان تبعا كان مسلما الثالث قوله أم لم يعرفوا نبيه بذلك على انهم عرفوه وعرفوا صحة نسبته وأمانته فكيف كذبوه بعد ان اتفقت كلمتهم على انه أمين الرابع نسبتهم اياه الى الجنون وكانوا يعلمون انه أوجههم عقلا ولكنه جاء بما يخالف هواهم فتشككوا في أمره أو شككوا العوام ابقاء على مناصبهم ورياستهم ثم اضرب عن أقوالهم منبها على مصدوقية أمر النبي فقال بل جاءهم متلبسا بالحق أو الباء للتعدية والحق الدين القويم والصراط المستقيم وأكثرهم للحق كارهون وأظلم كانوا

**حدثنا** علي بن سهل قال ثنا زيد بن أبي الزرقاء عن حماد بن سلمة عن حميد قال سألت الحسن عن قول الله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال أعمال لم يعملوها سيعملونها **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال لم يكن له بد من أن يستوفي بقية عمله ويصلي به **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد في قوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال أعمال لا بد لهم من أن يعملوها **حدثنا** عمر وقال ثنا مروان بن معاوية عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى ولهم أعمال من دون ذلك قال أعمال لا بد لهم من أن يعملوها

القول في تأويل قوله تعالى (حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون) يقول تعالى ذكره ولهؤلاء الكفار من قريش أعمال من دون ذلك هم لها عاملون الى أن يؤخذ أهل النعمة والبطر منهم بالعذاب كما **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب قال المترفون العظماء اذا هم يجأرون يقول فاذا أخذناهم به جأروا ويقول ضجوا واستغاثوا مما حل بهم من عذابنا ولعل الجؤار رفع الصوت كما يجار الثور ومنه قول الاعشى

برواح من صلوات الملائك * طورا سجودا وطورا جؤارا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس اذا هم يجأرون يقول يستغيثون **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قال ثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن مجاهد في قوله حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون قال بالسيوف يوم بدر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس في قوله اذا هم يجأرون قال يجزعون قال **حدثني** حجاج عن ابن جريج حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب قال عذاب يوم بدر اذا هم يجأرون قال الذين بمكة **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب يعني أهل بدر أخذهم الله بالعذاب يوم بدر **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله اذا هم يجأرون قال يجزعون وقوله لا تجأروا اليوم يقول لا تضجوا واستغيثوا اليوم وقد نزل بكم العذاب الذي لا يدفع عن الذين ظلموا أنفسهم فان ضجيجكم غير نافعكم ولا دافع عنكم شيأ مما قد نزل بكم من سخط الله انكم منا لا تنصرون يقول انكم من عذابنا الذي قد حل بكم لا تستنقذون ولا يخلصكم منه شئ وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس لا تجأروا اليوم لا تجزعوا اليوم **حدثني** يونس قال أخبرنا الربيع بن أنس لا تجأروا اليوم لا تجزعوا الآن حين نزل بكم العذاب انه لا ينفعكم فلو كان هذا الجزع قبل نفعكم

القول في تأويل قوله تعالى (قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون) يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش لا تضجوا اليوم وقد نزل بكم

لا يكرهونه وان لم يظهروا الايمان به خوفا من قالة الاعداء كما يحكى عن أبي طالب ولهذا جاء الخلاف في صحة اسلامه ثم بين ان الالهية تنتفي الاستقلال في الاوامر والنواهي وان الحق والصواب بحصر فيما قدره الله العالمين وقدره فقال ولو اتبع الحق أهواءهم نظيره سامر في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل الحق الاسلام والمراد لو انقاب الاسلام شرا كما تقتضيه أهواؤهم لجاء الله بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخروعن قتادة الحق هو الله والمعنى لو كان الله أمرا بالشرك والمعاصي على وفق آرائهم لما كان الها ولكن شيطانا فلا قدرة على امساك السموات والارض وحينئذ يختل نظام العالم (٣٦) ثم ذكر ان نزول القرآن عليهم من جملة الحق فقال بل أتيناهم بذكرهم ان

كانت الباء للتعدية فظاهر وان كانت للمصاحبة فعلى حذف مضاف أي أتاهم رسولنا متلبسا بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو صيتهم وفخرهم أو الاضافة بدل اللام العهدي أي بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين ثم بين ان دعوته ليست مشوبة بالطامع الموجب للنفرة فقال أم تسألهم خرجا أي جعلا وكذا الخراج وقد مر في آخر الكهف وقيل الخرج أقل والخراج أكثر الا كثرون خراجا فخراج بمعنى أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير وحين أثبت لرسوله مواجب قبول قوله ونفى عنه اضدادها صرح بمضمون أمره ومكنون سره فقال وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم هو دين الاسلام لا تدعوهم الى غيره من الطرق المنحرفة عن جادة الصواب وأشار الى هذه الطرق بقوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة هم المذكورون فيما تقدم أو كل من لا يؤمن بالآخرة عن الصراط المستقيم المذكور لنا كبون والتركيب يدور على العدول عن القصد ومنه المنكب لجمع عظم العضد والكتف والنكباء للريح التي تعدل عن مهاب الرياح للقوم ثم بين اصرارهم على الكفر بقوله ولو رحمناهم الآية يروى انه لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فادع الله ان يكشف عنا الضر فانزل الله الآية والمعنى لو كشف الله برحمته هذا الهزال والجوع عنهم لاصروا على ما هم فيه من الطغيان ثم استشهد على ذلك بقوله ولقد أخذناهم أي قبل ذلك بالعذاب يعني ما جرى عليهم يوم بدر فما استكانوا لربهم أي ما خضعوا له وقد مر

---

مخط الله وعذابه بما كسبت أيديكم واستوجبوه بكفركم بآياتي بكم قد كانت آياتي تتلى عليكم يعني آيات كتاب الله يقول كانت آيات كتابي تقرأ عليكم فتكذبون بها وترجعون مولين عنها اذا سمعتموها كراهية منكم لسماعها وكذلك يقال لكل من رجع من حيث جاء نكص فلان على عقبه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فكنتم على أعقابكم تنكصون قال تستأخرون حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فكنتم على أعقابكم تنكصون يقول تدبرون حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم يعني أهل مكة حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تنكصون قال تستأخرون وقوله مستكبرين به يقول مستكبرين بحرم الله يقولون لا يظهر علينا فيه أحد لانا أهل الحرم وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله مستكبرين به يقول مستكبرين بحرم البيت انه لا يظهر علينا فيه أحد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله مستكبرين به قال بمكة بالبلد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن مستكبرين به قال مستكبرين بحرمي حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير في قوله مستكبرين به بالحرم حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مستكبرين قال مستكبرين بالحرم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله مستكبرين به قال بالحرم وقوله سامرا يقول تسمرون بالليل ووحد قوله سامرا وهو بمعنى السمار لانه وضع موضع الوقت ومعنى الكلام تهجرون ليلا فوضع السامر موضع الليل فوحد لذلك وقد كان بعض البصريين يقول وحد ومعناه الجمع كما قيل طفل في موضع أطفال ومما يبين عن صحة ما قلنا في انه وضع موضع الوقت فوحد لذلك قول الشاعر

من دونهم ان جئتهم سمرا * عزف القيان ومجلس غمر

فقال سمرا لأن معناه ان جئتهم ليلا وهم يسمرون وكذلك قوله سامرا و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله سامرا يقول يسمرون حول البيت حدثني محمد بن عمرو قال ثنا

ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سامرا تهجرون قال مجلسا بالليل حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد سامرا قال مجالس حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير سامرا قال تسمرون بالليل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله سامرا قال كانوا يسمرون ليلتهم ويلعبون يتكامون بالشعر والكهانة وبما لا يدرون حد ثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله سامرا قال يعني سمر الليل وقال بعضهم في ذلك ما حدثنا به ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة سامرا يقول ساهرا من أهل الحرم آمنا لا يخاف كانوا يقولون نحن أهل الحرم لا يخافون حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة سامرا يقول سامرا من أهل مكة آمنا لا يخاف قال كانوا يقولون نحن أهل الحرم لا نخاف وقوله تهجرون اختلفت القراء في قراءته فقرأته عامة قراء الامصار تهجرون بفتح التاء وضم الجيم ولقراءة من قرأ ذلك كذلك وجهان من المعنى أحدهما أن يكون عنى أنه وصفهم بالاعراض عن القرآن أو البيت أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفضه والآخر أن يكون عنى أنهم يقولون شيا من القول كما يهجر الرجل في منامه وذلك اذا هذا فكأنه وصفهم بانهم يقولون في القرآن ما لا معنى له من القول وذلك أن يقولوا فيه باطلا من القول الذي لا يضره ورة دجاء بكلا القولين التاويل من أهل التاويل ذكر من قال كانوا يعرضون عن ذكر الله والحق ويهجرونه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله تهجرون يقول قال يهجرون ذكر الله والحق حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن السدي عن أبي صالح في قوله سامرا تهجرون قال السب * ذكر من قال كانوا يقولون الباطل والسيئ من القول في القرآن حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير تهجرون قال يهجرون في الباطل قال حدثنا يحيى عن سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير سامرا تهجرون قال يسمرون بالليل يخوضون في الباطل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يهجرون قال بالقول السيئ في القرآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تهجرون قال الهذيان الذي يتكلم بما لا يريد ولا يعقل كالمريض الذي يتكلم بما لا يدري قال وكان أبي يقرؤها سامرا تهجرون وقرأ ذلك آخرون سامرا تهجرون بضم التاء وكسر الجيم ومن قرأ ذلك كذلك من قراء الامصار نافع بن أبي نعيم يعني يفحشون في المنطق ويقولون الخنا من قولهم أهجر الرجل اذا أفحش في القول وذكر أنهم كانوا يسبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك

للتوكيد دليل على ان المقر أقل من الجاحد وعن أبي مسلم أنه قال أراد بالقلة العدم وفي الآية ثلاثة معان أحدها اظهار النعمة وثانيها مطالبة العباد بالشكر عليها فشكر السمع ان لا يسمع الا بالله وبالله ومن الله وشكر البصران ينظر بنظر العبرة لله وبالله والى الله وشكر الفؤاد تصفيته عن رين الاخلاق الذميمة وقطع تعلقه عن الكونين لشهوده بالله وبالنها الشكاية ان الشاكر قليل ثم بين دلائل أخر على الوحدانية فقال وهو الذي ذرأكم أي خلقكم وبثكم في الارض للتناسل والى حيث لا مالك سواه تحشرون بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وفيه مع تذكر نعمة الحياة بيان أن المقصود منها الانتقال الى دار الثواب وله اختلاف الليل والنهار أي هو مختص بتصريفهما وانهما بشهادات الموت والحياة وفي قوله أفلا تعقلون توبيخ وتهديد ثم نبه بقوله بل قالوا الآيات على انه لا شبهة لهم في انكار البعث الا التشبث بحبل التقليد والاستبعاد قال علماء المعاني قوله لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا وارد على الاصل لان التاكيد مذكور عقيب المؤكد وبعده المفعول الثاني

وأما في سورة النمل فسبب تقديم المفعول الثاني على الضمير وعلى المعطوف هو انه اقتصر هناك على قوله ترابا وأئنا لمخرجون فقدم العظام ليدل على مزيد الاعتناء به في شأن الاستنكار ثم رد على منكري الاعادة أو على عبدة الاوثان بقوله قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون أي ان كان عندكم علم فاجيبوني وفيه استهانة بهم وتجهيل لهم بامر الديانات حتى جوزان يشتبه عليهم مثل هذا المكشوف الجلي وفي قوله أفلا تذكرون ترغيب في التدبر وبعث على التامل في أمر التوحيد والبعث فان من قدر على اختراع الارض ومن فيها كان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه وكان قادرا على اعادة ما أفناه وفي قوله أفلا تتقون مثل هذا الترغيب مع التخويف وكان أولى بالآية الثانية

لاجل التدريج والتعظيم السموات والعرش ولان تذكر واجب الوجود مقدم على التفاته مخالفته قال سبحانه الله أحرت فلانا على فلان اذا أغلبته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحدا منه أحدا ان كنتم تعلمون بهذه الصفة غيره فاجيبوني به ومعنى تسحرون تخدعون والخادع هو الشيطان والهوى ثم بين بقوله بل أتيناهم بالحق انه قد بالغ في الحجاج عليهم بهذه الآيات حتى استبان بما هو الحق والصدق وانهم مع ذلك لكاذبون حيث يدعون له الولد والشريك وينسبون اليه العجز عن الاعادة * التأويل من خشية ربهم مشفقون اشارة الى استيلاء سلطان الهيبة في الحضور (٢٨) والغيبة بآيات ربهم يؤمنون هي ما يكاشف لهم من شواهد الحق في السر والعلانية

ربهم لا يشركون هو ترك الملاحظة في رد الناس وقبولهم ومدحهم وذمهم وانقطاع النظر في الضار والضار عن الوسائط والاسباب يسارعون في الخيرات يتوجهون الى الله وينقطعون عما سواه وهم لها سابقون على قدر سبق العناية ولا تكلف نفسا الا وسعها كلفهم ان يقولوا لا اله الا الله وهم قادرون على ذلك وأمرهم بقبول دعوة الانبياء وما هم بعد بعاجز عنه وقد كتب في اللوح انهم يقدرون على هذه التكاليف وهم لا يظلمون فلا يكلفون ما ليس في وسعهم واستعدادهم حتى اذا أخذنا أكابر مجرميها بمجرميهم بعذاب فساد الاستعداد لفسدت سموات أرواحهم وأرض نفوسهم ومن فيهن من القلب والسر وهو خير الرازقين فيه ان العلماء بالله عليهم ان لا يدنسوا وجوه قلوبهم الناضرة بدنس الاطماع الفارغة ولقد أخذناهم أولا بعذاب الغين حتى اذا فتحنا عليهم باب عذاب اليمين يحيي بنوره قلوب بعض عباده ويميت نفوسهم عن صفاتها الذميمة أو يحيي بعض النفوس باتباع شهواتها ويميت بعض القلوب باستيلاء ظلمات الطبيعة عليها وله اختلاف ليل البشرية ونهار الروحانية أو طول ليل الفراق وقصر نهار الوصال قالوا أئذا متنا فيه ان اليأس من الوصول والوصال ومن

ليس من شيم أهل الكمال فقد تقوم قيامة العشق فيبعث القلب الميت أو من كان ميتا فاحييناه ملكوت كل شئ هي جهة روحانيته وهو يجير الاشياء بقيوميته عن الهلاك ولا مانع له ممن أراد به أن لا يجيره (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن

حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس تهجرون قال تقولون هجرا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن عن أبي نهيك عن عكرمة أنه قرأ سامرا تهجرون أي تسبون حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عون عن الحسن في قوله سامرا تهجرون رسولي حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال قال الحسن تهجرون رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن تهجرون كتاب الله ورسوله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله تهجرون يقول يقولون المنكر والخنا من القول كذلك هجرا القول * وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا التي عليها قراء الامصار وهي فتح التاء وضم الجيم لاجماع الحجة من القراء ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون) يقول تعالى ذكره أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه فيعلموا ما فيه من العبر ويعرفوا حجج الله التي احتج بها عليهم فيه أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين يقول أم جاءهم أمر ما لم يأت من قبلهم من أسلافهم فاستكبروا ذلك وأعرضوا فقد جاءت الرسل من قبلهم وأنزلت معهم الكتب وقد يحتمل أن تكون أم في هذا الموضع بمعنى بل فيكون تأويل الكلام أفلم يدبروا القول بل جاءهم ما لم يأت اباءهم الاولين فتركوا لذلك التدبر وأعرضوا عنه اذ لم يكن فيمن سلف من آبائهم ذلك - وقد ذكر عن ابن عباس في ذلك نحو هذا القول حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة عن ابن عباس في قوله أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين قال لعمري لقد جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين ولكن أولم يأتهم ما لم يأت آباءهم الاولين ٧ وقوله أم لم يعرفوا رسولهم يقول تعالى ذكره أم لم يعرف هؤلاء المكذبون محمدا وانه من أهل الصدق والامانة فهم له منكرون يقول فينكر واقوله أولم يعرفوه بالصدق ويحتجوا بأنهم لا يعرفونه يقول جل ثناؤه فكيف يكذبون وهم يعرفونه فيهم بالصدق والامانة أم يقولون به جنة يقول أيقولون بمحمد جنون فهو يتكلم بما لا معنى له ولا يفهم ولا يدري ما يقول بل جاءهم بالحق يقول تعالى ذكره فان يقولوا ذلك فكذبهم في قيلهم ذلك واضح بين وذلك أن المجنون يهذي فيأتي من الكلام بما لا معنى له ولا يعقل ولا يفهم والذي جاءهم به محمد هو الحكمة التي لا أحكم منها والحق الذي لا تخفى صحته على ذي فطرة صحيحة فكيف يجوز أن يقال هو كلام مجنون وقوله وأكثرهم للحق كارهون يقول تعالى ذكره ما بهؤلاء الكفرة انهم لم يعرفوا محمدا بالصدق ولا أن محمدا عندهم مجنون بل قد عاوده صادقا صحيحا فيما يقول وفيما يدعوهم اليه ولكن أكثرهم للاذعان للحق كارهون ولاتباع محمد ساخطون حسدا منهم له وبغيا عليه واستكبارا في الارض ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض

يحضرون حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون (٢٦) اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين)

القراآت عالم بالرفع أبو جعفر ونافع وحمزة وعلي وعاصم غير حفص الا الخزاز وقمر أدبس بالخفض اذا وصل أو بالرفع اذا ابتدأ الآخرون بالخفض العجلي أعمل بسكون الياء عاصم وحمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وابن مجاهد عن ابن ذكوان شقاوتنا حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون شقوتنا بكسر الشين وسكون القاف في غير ألف سخريا بضم السين وكذلك في صاد أبو جعفر ونافع وحمزة وعلي وخلف والمفضل والخزاز عن هبيرة الآخرون بكسرها انهم بالكسر حمزة وعلي والخزاز عن هبيرة قل كم قل ان لبثتم على الامر فيهما حمزة وعلي وابن مجاهد وأبو عون عن قنبل ووافق ابن كثير في الاول لا ترجعون على البناء للفاعل يعقوب وحمزة وعلي وخلف * الوقوف ومن خفت ط لن قرأ بالرفع الى هو عالم ومن خفض لم يقف لانه بدل أو وصف يشركون ه ما يوعدون ه لا لان قوله فلا جواب الشرط وهو اما واو النداء عارض الظالمين ه لا لقادرون ه السيئة ط يصفون ه الشياطين ه لا يحضرون ه ارجعون ه لا لتعلق لعل كلا ط لانها للردع عما قبلها أي لا ترجع وقيل مبتدأ بها بمعنى حقا والاول أحسن قائلها ط يبعثون ه ولا يتساءلون ه المفلحون ه خالدون ه كالحون ه مكذبون ه ضالين ه ظالمون ه ولا تكلمون ه الراحمين ج ه للآية والوصل أجوز لشدة اتصال المعنى والغاء يضحكون ه صبروا ط

ومن فيهن بل آتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون) يقول تعالى ذكره ولو عمل الرب تعالى ذكره بما يهوى هؤلاء المشركون وأجرى التدبير على مشيئتهم وإرادتهم وترك الحق الذي هم له كارهون لفسدت السموات والارض ومن فيهن وذلك أنهم لا يسرفون عواقب الامور والصحيح من التدبير والفاسد فلو كانت الامور جارية على مشيئتهم وأهوائهم مع إيثار أكثرهم الباطل على الحق لم تقم السموات والارض ومن فيهن من خلق الله لان ذلك قام بالحق وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا السدي عن أبي صالح ولو اتبع الحق أهواءهم قال الله قال حدثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح ولو اتبع الحق أهواءهم قال الحق هو الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ولو اتبع الحق أهواءهم قال الحق الله وقوله بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون اختلف أهل التأويل في تأويل الذكر في هذا الموضع فقال بعضهم هو بيان الحق لهم بما أنزل على رجل منهم من هذا القرآن ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله بل أتيناهم بذكرهم يقول ببيانهم وقال آخرون بل معنى ذلك بل أتيناهم بشرفهم وذلك ان هذا القرآن كان شرفا لهم لانه نزل على رجل منهم فاعرضوا عنه وكفروا به وقالوا ذلك نظير قوله وانه لذكر لك ولقومك وهذان القولان متقاربا المعنى وذلك ان الله جل ثناؤه أنزل هذا القرآن بيانا بين فيه ما خلقه اليه الحاجة من أمر دينهم وهو مع ذلك ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم وقومه وشرف لهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أم تسئلهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) يقول تعالى ذكره أم تسأل هؤلاء المشركين يا محمد من قومك خراجا يعني أجرا على ما جئتهم به من عند الله من النصيحة والحق فخراج ربك خير فاجر ربك على نفاذك لامره وابتغاء مرضاته خير لك من ذلك ولم يسألهم صلى الله عليه وسلم على ما أتاهم به من عند الله أجرا قال الله لهم كما قال الله وأمره بقيله لهم قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى وانما معنى الكلام أم تسئلهم على ما جئتهم به أجرا فتكسوا على أعقابهم اذا تلوته عليهم مستكبرين بالحرم فخراج ربك خير وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير قال أجرا حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن مثله واصل الخراج والخرج مصدران لا يجتمعان وقوله وهو خير الرازقين يقول والله خير من أعطى عوضا على عمل ورزق رزقا وقوله وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم يقول تعالى ذكره وانك يا محمد لتدعوهم هؤلاء المشركين من قومك الى دين الاسلام وهو الطريق القاصد والصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم

لمن قرأ أنهم بالكسر لفا ئزون ٥ سنين ٥ العادين ٥ يعلمون ٥ لا يرجعون ٥ الحق ٥ لا الان ما بعده يصلح مستثنا منقطعا أى تعالى متوحدا غير مشارك الاهو لان قوله رب العرش يصلح بدلا من هو وخبر مبتدأ محذوف الكريم ط آخر لان الجملة بعده صفة ربه لا لان ما بعده جواب عند ربه ط الكافرون ٥ الراحمين ٥ * التفسير لما أثبت لنفسه الالهية بالدلائل الالزامية فى الآيات المتقدمة نفى عن نفسه الانداد والاضداد بقوله ما اتخذ الله من ولد بقوله وما كان معه من اله وفيه رد على القائلين بان الملائكة بنات الله وابطال لاقوال اليهود والنصارى والثنوية ثم ذكر (٣٠) شبه دليل التمانع بقوله اذا لذهب وهو جواب لمن معه المحاجة من أهل الشرك وجواب الشرط محذوف دل عليه الكلام السابق تقديره ولو كان معه آلهة لذهب كل اله بما خلق لانفرد كل واحد منهم بالخلق الذى خلقه واستبد به لان اجتماعهم على خلق واحد لا يتصور فان ذلك يكون مقتضى عجز الواحد عن ذلك الخلق وحينئذ يكون ملك كل واحد منهم متميزا عن ملك الآخرين ولعلا بعضهم على بعض أى لغلب بعضهم على بعض كما ترون حال ملوك الدنيا من تمايز الممالك ومن التغالب وعدم اللازم يدل على عدم الملزوم فلذلك ختم الآية بقوله سبحان الله عما يصفون الى قوله عما يشركون ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق ومحاسن العادات قائلا قل رب اما تريني أى ان كان لا بد من أن تريني ما تعدهم من العذاب فى الدنيا أو فى الآخرة فلا تجعلنى قريبا لهم وقد يجوز ان يستبعد العبد بالله مما علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية واستكانة له ويؤيده تكرار رب مرتين وكانوا ينكرون العذاب ويسخرون منه فاكدوقوعه بقوله وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون قيل فيه دليل على ان القدرة تصح على المعدوم لانه أخبر أنه قادر على تعجيل عقوبتهم ثم لم يفعل ذلك ثم أمره بالصفح عن سيئاتهم ومقابلتها بما يمكن من الاحسان حتى اذا اجتمع مبلسون)

يعمهون) يقول تعالى ذكره والذين لا يصدقون بالبعث بعد الممات وقيام الساعة ومجازاة الله عباده فى الدار الآخرة عن الصراط لناكبون يقول عن محجة الطريق وقصد السبيل وذلك دين الله الذى ارتضاه لعباده اعادلون يقال منه قد نكب فلان عن كذا اذا عدل عنه وانكب عنه أى اعدل عنه ونحو قولنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله عن الصراط لناكبون قال لعادلون حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون يقول عن الحق عادلون وقوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يقول تعالى ذكره ولو رحمنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ودفعنا عنهم ما بهم من القحط والجدب وضر الجوع والهزال للجوا فى طغيانهم يعنى فى عتوهم وجرأتهم على ربهم يعمهون يعنى يترددون كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر قال الجوع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) يقول تعالى ذكره ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعذابنا وأنزلنا بهم بأسنا وسخطنا وضيقنا عليهم معايشهم وأجدبنا بلادهم وقتلنا سراتهم بالسيف فما استكانوا لربهم يقول فما خضعوا لربهم فينقادوا للامره ونهيه وينيبوا الى طاعته وما يتضرعون يقول وما يتذللون له وذكر ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخذ الله قريشا بسنى الجدب اذ دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الخبر بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة عن الحسن عن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس قال جاء أبو سفيان الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز يعنى الوبر والدم فانزل الله ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن عن على بن أجر عن عكرمة عن ابن عباس ان ابن آثال الحنفى لما أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو أسير خلى سبيله فلحق بمكة فقال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز فجاء أبو سفيان الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ألست تزعم بانك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فانزل الله ولقد أخذناهم بالعذاب الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال أخبرنا عمرو قال قال الحسن اذ أصاب الناس من قبيل الشيطان بلاء فانما هى نقمة فلا تستقبلوا نقمة الله بالحية ولكن استقبلوها بالاستغفار وتضرعوا الى الله وقرأ هذه الآية ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ولقد أخذناهم بالعذاب قال الجوع والجدب فما استكانوا لربهم فصبروا وما استكانوا لربهم وما يتضرعون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه

بالله من همزات الشياطين والهمز النخس ومنه مهماز الرائض وذلك انهم يحثون الناس على المعاصي بانواع الوساوس كما يحث الرائض الدابة على المشي بالمهماز وهي حديدة تكون في مؤخر خفه عن الحسن أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد استفتاح الصلاة اللهم اني أعوذ بك من همزات الشياطين همزه ونفخه ونفثه فهمزه الجنون ونفثه الشعر ونفخه الكبر ثم أمره بالتعوذ من ان يحضروه أصلا كما يقال أعوذ بالله من خصومتك بل أعوذ بالله من لقائك وعن ابن عباس أراد الحضور عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع والاولى العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد اشتكى اليه رجل أرقابه اذا أردت النوم فقل أعوذ (٣١) بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون قوله حتى اذا جاء قيل متعلق بقوله وانهم لكاذبون وقيل يصفون أي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت وما بينهما اعتراض وتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يسترله عن الحلم والمراد بمجيء الموت أماراته التي تحقق عندها الموت وصارت المعرفة ضرورية فحينئذ يسأل الرجعة ولا ينافي هذا السؤال الرجعة عند معاينة النار كقوله ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد والا كثرون على انهم الكفار وروى الضحاك عن ابن عباس انها تشمل من لم يزك ولم يحج لقوله وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني وأما وجه الجمع في قوله ارجعون مع وحدة المنادي فقيل ان الجمعية راجعة الى الفعل كأنه قال ارجع مرات ونظيره القيا في جهنم أي القى القى وقيل رب للقسم والخطاب للملائكة القابضين للارواح أي بحق الله ارجعون والاقرب ان الجمع للتعظيم كقول الشاعر

ألا فارجوني يا له محمد * وقوله فان شئت حرمت النساء سواكم *

عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا

مبلسون) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه حتى اذا فتحنا عليهم باب القتال فقتلوا يوم بدر ذكر من قال ذلك **حدثني** اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود ابن أبي هند عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله حتى اذا فتحنا عليهم باباذا عذاب شديد قال يوم بدر **حدثنا** ابن المثنى قال ثني عبد الاعلى قال ثنا داود عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج حتى اذا فتحنا عليهم باباذا عذاب شديد قال يوم بدر وقال آخرون معناه حتى اذا فتحنا عليهم باب المجاعة والضر وهو الباب ذو العذاب الشديد ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله حتى اذا فتحنا عليهم باباذا عذاب شديد قال لكفار قريش الجوع وما قبلها من القصة لهم أيضا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا انه قال وما قبلها أيضا وهذا القول الذي قاله مجاهد أولى بتأويل الآية لصحة الخبر الذي ذكرناه قبل عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة المجاعة التي أصابت قريشا بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وأمر ثمامة بن أثال وذلك لاشك انه كان بعد وقعة بدر وقوله اذا هم فيه مبلسون يقول اذا هؤلاء المشركون فيما فتحنا عليهم من العذاب حزنى نادمون على ما سلف منهم في تكذيبهم بآيات الله في حين لا ينفعهم الندم والحزن ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون) يقول تعالى ذكره والله الذي أحدث لكم أيها المكذبون بالبعث بعد الممات السمع الذي تسمعون به والابصار التي تبصرون بها والافئدة التي تفقهون بها فكيف يتعذر على من أنشأ ذلك ابتداء اعادته بعد عدمه وفقده وهو الذي يوجد ذلك كله اذا شاء وبنبه اذا أراد قليلا ما تشكرون يقول تشكرون أيها المكذبون خبر الله من عطائكم السمع والابصار والافئدة قليلا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون) يقول تعالى ذكره وهو الذي خلقكم في الارض واليه تحشرون من بعد ما تكم ثم تبعثون من قبورك كم الى موقف الحساب ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون) يقول تعالى ذكره والله الذي يحيي خلقه يقول يجعلهم أحياء بعد ان كانوا نطفا أمواتا بنفخ الروح فيها بعد النارات التي تأتي عليها ويميت يقول ويميتهم بعد أن أحياهم وله اختلاف الليل والنهار يقول وهو الذي جعل الليل والنهار مختلفين كما يقال في الكلام لك المن والفضل بمعنى لك تمن وتفضل وقوله أفلا تعقلون يقول أفلا تعقلون أيها الناس ان الذي فعل هذه الافعال ابتداء من غير أصل لا يمتنع عليه احياء الاموات بعد فنائهم وانشاء ما شاء اعدامه بعد انشائه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) يقول تعالى ذكره ما اعتبر هؤلاء

عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله وأما الكافر فيقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت قال جار الله أي لعلي آتي بما تركته من الايمان وأعمل فيه صالحا كما تقول لعلي أبني على أس تريد أؤسس أساسا أبني عليه وقيل أي فيما خلفت من المال والاولى العموم فيدخل فيه العبادات البدنية والمالية والحقوق كأنهم تمنوا الرجعة ليصلحوا ما أفسدوه ويطيعوا فيما عصوا وقيل كيف سألوا الرجعة وقد علموا صحة الدين بالضرورة ومن الدين ان لا رجعة والجواب بعد تسليم انهم عرفوا كل الدين ان الانسان قد يتمنى شيأ مع علمه بتعذره كقول القائل ليت الشباب يعود والاستغاثة بجنس هذه المسألة قد يحسن وقولهم لعلي ليس

المراد به الشك وانما هو كقول المقدر ممكنوني لعلي أتدارك مع كونه جازما بانه سيتدارك ويحمل انهم وان كانوا يلازمون ذلك الا ان أمر المستقبل مبني على الظن والتخمين دون اليقين فلذلك أوردوا الكلام بصورة الترجي ثم ردعهم بقوله كلا أي ليس الامر على ما توهموه من امكان الرجعة انها كلمة والمراد بها طائفة من الكلام منتظم بعضها مع بعض وهي قوله ارجعون لعلي أعمل صالحا وهو قائلها لا محالة لا يخلها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والحيرة عليه وهو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه ومن ورائهم الضمير لكل المكلفين أي أمامهم برزخ حائل بينهم وبين الجنة (٣٢) أو النار وبين الجزاء التام الى يوم يبعثون وذلك البرزخ هو مدة ما بين الموت الى البعث ولعل بعض الحجب من الاخلاق الذميمة يندفع في هذه المدة وقال في الكشاف حال بينهم وبين الرجعة ومعناه الاقناط الكلي لما علم انه لا رجعة يوم الايوم الآخرة ثم وصف يوم البعث بقوله فاذا نفخ في الصور قد مر معناه في أواخر طه وقوله فلا انساب بينهم ليس المراد به نفي النسب لان ذلك ثابت بالحقيقة فاذن المراد حكمه وما يتفرع عليه من التعاطف والتراحم والتواصل فقد يكون أحد القريبين في الجنة والآخر في النار ويكون بكل مكلف من اشتغال نفسه ما يمنعه من الالتفات الى أحوال نسبه عن قتادة لا شئ أبغض الى الانسان من ان يرى من يعرفه مخافة ان يثبت له عليه شئ وأما الجمع بين قوله ولا يتساءلون وبين قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فظاهر لان هذا في صفة أهل الموقف وذاك في صفة أهل الجنة ولو سلم ان كليهما في وصف أهل الموقف فلن نسلم اتحاد المواطن والأزمنة وغيرها من الاعتبارات التي يقع فيها التساؤل كحقوق النسب ونحوها عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة مواطن تذهل فيها كل نفس حين يرمى الى كل انسان كتابه وعند الموازين وعلى جسر جهنم وقد مر مثل آية الموازين في أول الاعراف فلم يرجع فاجابوا الى هنالك وقوله في جهنم خالدون بدل من خسروا أنفسهم ولا محل له كالبدل فان الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لاولئك أو خبر مبتدأ محذوف ومعنى خسران أنفسهم امتناع انتفاعهم بها وقال ابن عباس خسروها بان صارت منازلهم للمؤمنين ومعنى تلفح تسفع أي تضرب وتاكل لحومهم وجلودهم النار قاله ابن عباس وعن الزجاج ان اللفح والنفح واحد الا ان اللفح أشد تأثيرا والكلوح ان تتقلص الشفتان عن الاسنان كالرؤس المشوية روي ان عتبة الغلام مر في السوق برأس أخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة أيام وليالي وعن

المشركون بآيات الله ولا تدبر وا ما احتج عليهم من الحجج والدلالة على قدرته على فعل كل ما يشاء ولكن قالوا مثل ما قال أسلافهم من الامم المكذبة رسلها قبلهم قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما يقول أئذا متنا وعدنا ترابا قد لبثنا أجسامنا وبرأت عظامنا من لحومنا أئنا لمبعوثون يقول أئنا لمبعوثون من قبورنا أحياء كهيئتنا قبل الممات ان هذا لشئ غير كائن ۞ القول في تاويل قوله تعالى (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين) يقول تعالى ذكره قالوا لقد وعدنا هذا الوعد الذي تعدنا يا محمد وعد آباءنا من قبلنا قوم ذكروا أنهم لله رسل من قبلك فلم نره حقيقة ان هذا يقول ما هذا الذي تعدنا من البعث بعد الممات الا أساطير الاولين يقول ما سطره الاولون في كتبهم من الاحاديث والاخبار التي لا صحة لها ولا حقيقة ۞ القول في تاويل قوله تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالآخرة من قومك لمن ملك الارض ومن فيها من الخلق ان كنتم تعلمون من مالكها ثم أعلمه أنهم سيقرون بانها لله ملكا دون سائر الاشياء غيره قل أفلا تذكرون يقول فقل لهم اذا أجابوك بذلك كذلك أفلا تذكرون فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو قادر على احيائهم بعد مماتهم واعادتهم خلقا سويا بعد فنائهم ۞ القول في تاويل قوله تعالى (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد من رب السموات السبع ورب العرش المحيط بذلك سيقولون ذلك كله لله وهو ربه فقل لهم أفلا تتقون عقابه على كفركم به وتكذيبكم خبره وخبر رسوله وقد اختلفت القراء في قراءة قوله سيقولون لله فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق والشام سيقولون لله سوى أبي عمرو فانه خالفهم فقرأه سيقولون لله في هذا الموضع وفي الآخر الذي بعده اتباعا لخط المصحف فان ذلك كذلك في مصاحف الامصار الا في مصحف أهل البصرة فانه في الموضعين بالالف فقرؤا بالالف كلها اتباعا لخط مصحفهم فاما الذين قرؤه بالالف فلا مؤنة في قراءتهم ذلك كذلك لانهم أجروا الجواب على الابتداء وردوا مرفوعا على مرفوع وذلك أن معنى الكلام على قراءتهم من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون رب ذلك الله فلا مؤنة في قراءة ذلك كذلك وأما الذين قرؤا ذلك في هذا والذي يليه بغير ألف فانهم قالوا معنى قوله قل من رب السموات لمن السموات لمن ملك ذلك فجعل الجواب على المعنى فقيل لله لان المسئلة عن ملك ذلك لمن هو قالوا وذلك نظير قول قائل لرجل من مولاك فيجيب المجيب عن معنى ما سئل فيقول انا لفلان لانه مفهوم بذلك من الجواب ما هو مفهوم بقوله مولاي فلان وكان بعضهم يذكر أن بعض بني عامر أنشده

وأعلم أنني سأكون رمسا * اذا سار النواعج لا يسير
فقال السائلون لمن حفرتم * فقال المخبرون لهم وزير

فاجاب المخفوض بمرفوع لان معنى الكلام فقال السائلون من الميت فقال المخبرون الميت وزير

النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقال الجوهري الكلوح تكشير في عبوسهم ثم بين سبحانه انه يقال لهم حينئذ تقريعا وتوبيخا ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالت المعتزلة لو كان فعل التكذيب بخلق الله تعالى لم يكن لهذا التقريع وجه وعورض بالعلم والداعي وفسرت المعتزلة الشقاوة بسوء العاقبة التي علم الله انهم يستحقونها لسوء أعمالهم وتفسيرها الاشاعرة بما كتب الله عليهم في الازل من الكفر وسائر المعاصي ان يعملوها حتى يؤول حالهم الى النار ومعنى غلبة الشقاوة على هذا التفسير ظاهر وأما على تفسير المعتزلة (٣٣) فقد قال جار الله معناه ملكتنا وأخرت منا وقال الجبائي أراد طينتنا اللذات المحرمة وحرصنا على العمل القبيح ساقنا الى هذه الشقاوة فاطلق اسم المسبب على السبب وليس هذا باعتذار منهم لعلمهم بان لا عذر لهم فيه ولكنه اعتراف بقيام حجة الله تعالى عليهم في سوء صنيعهم وأجيب بان طلب تلك اللذات لا بد ان ينتهي الى داعية يخلقها الله فيه بدليل قوله وكنا قوما ضالين أي في علم الله وسابق تقديره وحمله المعتزلة على الاعتراف بانهم اختاروا الضلال قالوا ولو كان الكفر بخلق الله لكانوا بان يجعلوا ذلك عذرا لهم أولى وأجيب بان فحوى الكلام يؤل الى هذا كما قررنا عن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون ألف ارنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم فينادون ألفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون ألف ارنا أخرنا الى أجل قريب فيجابون أولم تكونوا أقسمتم من قبل فينادون ألف ارنا أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فينادون ألف ارنا أخرجنا منها فيجابون اخسؤا فيها وهو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب أي لا يفهمون ولا يفهمون ولهذا قال ولا تكلمون أي في رفع العذاب وليس نهيا عن الكلام فانها ليست دار تكليف ولكنه تنبيه على ان العذاب لا يرفع ولا يخفف ومعنى اخسؤا انزجروا صاغرين كما تنزجر الكلاب اذا طردت يقال خسأ الكلب وخسأ نفسه يتعدى ولا يتعدى وهو المراد في الآية ثم عدد عليهم بعض قبائحهم في الدنيا بقوله انه كان فريق من عبادي هم الصحابة وقيل أهل الصفة خاصة عن الخليل وسيبويه ان السخري بالضم والكسر مصدر سخر الا ان في باء النسب زيادة تأكيد وعن الكسائي والفراء ان المكسور

---

فاجابوا عن المعنى دون اللفظ والصواب من القراءة في ذلك انهما قراءتان قد قرأ بهما علماء من القراء متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أني مع ذلك اخترت قراءة جميع ذلك بغير ألف لاجماع خطوط مصاحف الامصار على ذلك سوى خط مصحف أهل البصرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد من بيده خزائن كل شئ كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ملكوت كل شئ قال خزائن كل شئ ثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قول الله قل من بيده ملكوت كل شئ قال خزائن كل شئ وقوله وهو يجير من أراد ممن قصده بسوء ولا يجار عليه يقول ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء فيدفع عنه عذابه وعقابه ان كنتم تعلمون من ذلك صفته فانهم يقولون ان ملكوت كل شئ والقدرة على الاشياء كلها لله فقل لهم يا محمد فانى تسحرون يقول فمن أي وجه تصرفون عن التصديق بآيات الله والاقرار باخباره واخبار رسوله والايمان بان الله القادر على كل ما يشاء وعلى بعثكم أحياء بعد مماتكم مع علمكم بما تقولون من عظيم سلطانه وقدرته وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقول في معنى قوله تسحرون ما حدثني به علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فانى تسحرون يقول تكذبون وقد بينت فيما مضى السحر وانه تخييل الشئ الى الناظر انه على خلاف ما هو به من هيئته فذلك معنى قوله فانى تسحرون انما معناه فمن أي وجه يخيل اليكم الكذب حقا والفاسد صحيحا فتصرفون عن الاقرار بالحق الذي يدعوكم اليه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) يقول ما الامر كما تزعم هؤلاء المشركون بالله من ان الملائكة بنات الله وان الآلهة والاصنام لهم آلهة دون الله بل أتيناهم بالحق اليقين وهو الدين الذي ابتعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وذلك الاسلام ولا يعبد شئ سوى الله لا اله غيره وانهم لكاذبون يقول وان المشركين لكاذبون فيما يضيفون الى الله ويحلونه من الولد والشريك وقوله ما اتخذ الله من ولد يقول تعالى ذكره ما الله من ولد ولا كان معه في القديم ولا حين ابتدع الاشياء من تصلح عبادته ولو كان معه في القديم أو عند خلقه الاشياء من تصلح عبادته من اله اذا لذهب يقول اذا لانفرد كل اله منهم بما خلق من شئ فانفرد به ولتغالبوا فلعلا بعضهم على بعض وغلب القوي منهم الضعيف لان القوي لا يرضى أن يعلوه ضعيف والضعيف لا يصلح أن يكون الها فسبحان الله ما أبلغها من حجة وأوجزها من عقل وتدبر وقوله اذا لذهب جواب لمحذوف وهو لو كان معه اله اذا لذهب كل اله بما خلق اجتزئ بدلالة ما ذكر عليه عنه وقوله سبحان الله عما يصفون

---

من الهزء والمضموم من التسخير والاستبعاد والمعنى اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى أنسوكم بشاغلكم لهم على ذلك الصفة ذكرى فلم تذكروني حتى تخافوني ثم ذكر من حال المؤمنين ما أوجب الحسرة والندامة للساخرين فمن قرأ انهم بالكسر على الاستئناف فمعناه ظاهر أي قد فاز واحسن صبرهم وأومن قرأ بالفتح فعلى أنه مفعول جزيتهم أي جزيتهم فوزهم ومن قرأ قال فالضمير لله أو لمن أمر بسؤالهم من الملائكة ومن قرأ قل فالخطاب للملك أو لبعض رؤساء أهل النار والغرض من هذا السؤال التوبيخ والتبكيت فقد كانوا لا يقدرون اللبث الا في الدنيا ويظنون ان (٣٤) الفناء يدوم بعد الموت ولا اعادة فلما حصلوا في النار وأيقنوا انهم فيها خالدون سئلوا كم لبثتم تنبيها لهم على ان ما ظنوه دائما طويلا فهو يسير بالاضافة الى ما أنكروه اذ لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي ولا سيما اذا كان الاول أيام سرور والثاني أيام غم وحزن واختلفوا في الارض فقيل وجه الارض حين ما كانوا احياء فانهم زعموا ان لا احياء سواها فلما أحياهم الله تعالى وعذبوا في النار سئلوا عن ذلك توبيخا وقال آخرون المراد جوف الارض وهو القبر لظاهر لفظة في ولقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة وقوله عدد سنين بدل من مميز كم وقيل تمييز اختج بعض من انكر عذاب القبر بان قوله في الارض يتناول زمان كونهم احياء فوق الارض وزمان كونهم أمواتا في بطن الارض فلو كانوا معذبين في القبر لعلموا ان مدة مكثهم في الارض طويلة فما كانوا يقولون لبثنا يوما أو بعض يوم وأجيب بان الجواب لابد ان يكون على حسب السؤال وانما سئلوا عن موت لاحياء بعده الا في الآخرة وذلك لا يكون الا بعد عذاب القبر ويحتمل ان يكونوا سئلوا عن قدر اللبث الذي اجتمعوا فيه فلا يدخل في ذلك تقدم موت بعضهم على البعض فصح ان يكون جوابهم لبثنا يوما أو بعض يوم لعدم أنفسنا وليس هذا من قبيل الكذب اذ لعلهم نسوا ذلك لكثرة ما هم فيه من الاهوال فقالوا لا نعرف من عدد السنين الا ما نستقله ونحسبه يوما أو بعض يوم وقد اعترفوا بهذا النسيان حيث قالوا فاسأل العادين أي ليس من شأننا ان نعدها لما نحن فيه من العذاب فاسأل من يقدر ان يلتفت اليه فكره أو اسأل الملائكة الذين يعدون أعمار العباد ويحصون أعمالهم وعن ابن عباس أنساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين وقيل أرادوا بقولهم لبثنا يوما أو بعض يوم تصغير لبثهم وتحقيره بالاضافة الى ما وعدوا فيه وعرفوه من دوام العذاب وقد صدقهم الله في ذلك حيث قال ان لبثتم الا قليلا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها بقوله أفحسبتم

يقول تعالى ذكره تنزيها لله عما يصفه به هؤلاء المشركون من ان له ولدا وعما قالوه من ان له شريكا وان معه في القدم الها بعد تبارك وتعالى وقوله عالم الغيب والشهادة يقول تعالى ذكره هو عالم ما غاب عن خلقه من الاشياء فلم يروه ولم يشاهدوه وما رأوه وشاهدوه وانما هذا من الله خبر عن هؤلاء الذين قالوا من المشركين اتخذ الله ولدا وعبدوا من دونه آلهة انهم فيما يقولون ويفعلون مبطلون مخطئون فانهم يقولون ما يقولون من قول في ذلك عن غير علم بل عن جهل منهم به وان العالم بقديم الامور وبحديثها وشاهدها وغائبها عنهم الله الذي لا يخفى عليه شيء تخفيه هو والخلق دون خبرهم وقال عالم الغيب فرفع عالم على الابتداء بمعنى هو عالم الغيب ولذلك دخلت الفاء في قوله فتعالى كما يقال مررت باخيك المحسن فأحسنت اليه فترفع المحسن اذا جعلت فأحسنت اليه بالفاء لان معنى الكلام اذا كان كذلك مررت باخيك هو المحسن فاحسنت اليه ولو جعل الكلام بالواو وقيل وأحسنت اليه لم يكن وجه الكلام في المحسن الا الخفض على النعت للاخ ولذلك لو جاء فتعالى بالواو كان وجه الكلام في عالم الغيب الخفض على الاتباع لاعراب اسم الله وكان يكون معنى الكلام سبحان الله عالم الغيب والشهادة وتعالى فيكون قوله وتعالى حينئذ معطوفا على سبحان الله وقد يجوز الخفض مع الفاء لان العرب قد تبتدئ الكلام بالفاء كما تبتدئها بالواو وبالخفض كان يقرأ عالم الغيب في هذا الموضع أبو عمرو وعلى خلافه في ذلك قراءة الامصار والصواب من القراءة في ذلك عندنا الرفع لعلتين أحدهما اجماع الحجة من القراء عليه والثاني صحته في العربية وقوله فتعالى عما يشركون يقول تعالى ذكره فارتفع الله وعلا عن شرك هؤلاء المشركين ووصفهم اياه بما يصفون ۞ القول في تاويل قوله تعالى (قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد رب ان تريني في هؤلاء المشركين ما تعدهم من عذابك فلا تهلكني بما تهلكهم به ونجني من عذابك وسخطك فلا تجعلني في القوم المشركين ولكن اجعلني ممن رضيت عنه من أوليائك وقوله فلا تجعلني جواب لقوله اما تريني اعترض بينهما بالنداء ولولم يكن قبله جزاء لم يجز ذلك في الكلام لا يقال يا زيد فقم ولا يا رب فاغفر لان النداء مستأنف وكذلك الامر بعده مستأنف لا تدخله الفاء والواو الا أن يكون جوابا لكلام قبله وقوله وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون يقول تعالى ذكره وانا يا محمد على أن نريك في هؤلاء المشركين ما نعدهم من تعجيل العذاب لهم لقادرون فلا يحزننك تكذيبهم اياك بما نعدهم به وانما نؤخر ذلك ليبلغ الكتاب أجله ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) يقول تعالى ذكره لنبيه ادفع يا محمد بالخلة التي هي أحسن وذلك الاغضاء والصفح عن جهلة المشركين والصبر على اذاهم وذلك أمره اياه قبل أمره بحربهم وعنى بالسيئة اذى المشركين اياه وتكذيبهم له فيما أتاهم به من عند الله يقول له تعالى ذكره اصبر على ما تلقى منهم في ذات الله ونحو الذي قلنا

تعلمون أحاطوا علمكم البعث والنشر لما كنتم تعدونه طويلا ثم زاد في التوبيخ بقوله أفحسبتم انما خلقناكم عبثا أي عابثين أو لاجل العبث وهو الفعل الذي لا غاية له صحيحة وجوز ان يكون قوله وانكم الينا لا ترجعون معطوفا على عبثا أي للعبث ولتركيكم غير مرجوعين وفيه دلالة على وجوب وقوع القيامة فلولا هالم يتميز المطيع من العاصي والمحسن من المسيء ثم نزه ذاته عن كل عيب وعبث قائلا فتعالى الا آية ووصف العرش بالكريم لنزول الرحمة أو الخير منه أو باعتبار من استوى عليه كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع وهو ظاهر ثم زيف طريقة المقلدة من أهل الشرك وقوله لا برهان (٣٥) له به كقوله مالم ينزل به سلطانا وهو صفة جيء بها للتاكيد لا أن بعض الآلهة قد يقوم على وجوده برهان وجوز جار الله ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقول القائل من أحسن الي زيدا أحق بالاحسان اليه منه فالله مثيبه ومعنى حسابه عند ربه انه يبلغ عقابه الى حيث لا يقدر أحد على حسابه الا الله وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة أي حسابه عدم فلاحه فوضع الكافرون موضع الضمير جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وأورد في خواتيمها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفريقين وحين أثنى على المؤمنين في اثناء الكلام بانهم يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحنا وأنت خير الراحمين نبه في آخر السورة على انه قول ينبغي ان يواظب المكلف عليه ففيه الانقطاع الى الله والاعراض عمن سواه والله المستعان * التاويل فاذا نفخ في الصور فيه ان نفخة العناية الازلية اذا نفخت في صور القلب قامت القيامة وانقطعت الاسباب فلا يلتفت الى أحد من الانساب لا الى أهل ولا الى ولد لاشتغاله في طلب الحق واستغراقه في بحر المحبة فلا يقع بينهم التساؤل عما تركوا من أسباب الدنيا ولا عن

في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله ادفع بالتي هي أحسن السيئة قال أعرض عن اذاهم ايالك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن مجاهد ادفع بالتي هي أحسن السيئة قال هو السلام تسلم عليه اذا لقيته حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله ادفع بالتي هي أحسن السيئة قال والله لا يصيبها صاحبها حتى يكظم غيظا ويصفح عما يكره وقوله نحن أعلم بما يصفون يقول تعالى ذكره نحن أعلم بما يصفون الله به ويحلونه من الاكاذيب والفرية عليه وبما يقولون فيك من السوء ونحن مجازوهم على جميع ذلك فلا يحزنك ما تسمع منهم من قبيح القول وقوله وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد رب أستجير بك من خنق الشياطين وهمزاتها والهمز هو الغمز ومن ذلك قيل للهمز في الكلام همز والهمزات جمع همز ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرني ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين خنقهم الناس فذلك همزاتهم وقوله وأعوذ بك رب أن يحضرون يقول وقل أستجير بك رب أن يحضرون في أموري كالذي حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأعوذ بك رب أن يحضرون في شيء من أمري ۞ القول في تاويل قوله تعالى (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) يقول تعالى ذكره حتى اذا جاء أحد هؤلاء المشركين الموت وعاين نزول أمر الله به قال لعظيم ما يعاين مما يقدم عليه من عذاب الله تندما على ما فات وتلهفا على ما فرط فيه قبل ذلك من طاعة الله ومسئلته للملائكة رب ارجعون الى الدنيا مرة وفي الهاء في العمل أعمل صالحا يقول كي أعمل صالحا فيما تركت قبل اليوم من العمل فضيعته وفرطت فيه ونحو الذي قلنا فيه قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي معشر قال كان محمد بن كعب القرظي يقرأ علينا حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون قال محمد الى أي شيء يريد الى أي شيء يرغب أجمع المال أو غرس الغراس أو بنى بنيان أو شق أنهارا ثم يقول لعلي أعمل صالحا فيما تركت يقول الجبار كلا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله رب ارجعون قال هذه في الحياة الدنيا ألا تراه يقول حتى اذا جاء أحدهم الموت قال حين تنقطع الدنيا ويعاين الآخرة قبل أن يذوق الموت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدمني الى الله وأما الكافر فيقال نرجعك فيقول ارجعوني لعلي أعمل صالحا فيما تركت الآية حدثت عن الحسين قال سمعت

أحوال أهاليهم وأحدامهم وأوطانهم اذا فارقوها لكل امرئ منهم يومئذ في طلب الحق شان يغنيه عن طلب الغير فاولئك الذين خسروا أنفسهم لانهم اذا خفت موازينهم عن طلب الحق وانقطع عليه الطريق بنوع من التعلقات ووجوع القهقرى بطل استعداده في الطلب فان الانسان كالبيضة المستعدة لقبول تصرف دجاجة الولاية فيه وخروج الفرخ فيها فما لم تتصرف فيها الدجاجة يكون استعداده باقيا فاذا تصرف الدجاجة فيها وانقطع تصرفها عنها بافساد البيضة فلا ينفعها التصوف بعد ذلك لفساد الاستعداد ولهذا قالت المشايخ مرتد الطريقة شر من مرتد الشريعة ولهذا قال في جهنم خالدون وأيسوا اشقوه اخسؤا فيها ولا تكلمون لانه ليس من سنتنا اصلاح الاستعداد بعد افساده

انه كان فريق من عبادي هم العلماء بالله النصحاء لاجله فاتخذتموهم سخريا فضربتم أنفسكم على سيوف همتهم العلية حتى أشوكم بهمهم وبيد الردى كرى وكنتم منهم تضحكون لان قاو بكم قد ماتت وكثرة الضحك تميت القلب جزيتهم اليوم بما صبروا فيه ان أهل السعادة كما ينتفعون لعاملاتهم الصالحة مع الله ينتفعون بانكار منكريهم ومثله حال أهل الشقاء في الجانب الآخر وهو الاستضرار لا بر هان له به أي لا يظهر عليه برهان العبادة وهو النور والضياء والبهاء والصفاء وان تقرب الى ذلك الذي عبده من دون الله بانواع القربات *(سورة النور ومدنية حروفها ٥٣٣٠ كلمها ١٣١٦ (٣٦) آياتها ٦٤)* (بسم الله الرحمن الرحيم) (سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم)

* القراآت فرضناها بالتشديد ابن كثير وأبو عمرو ورأفة بفتح الهمزة ابن كثير عن ابن فليح ورفعه الباقون بالاسكان وكلاهما مصدر وكذلك روى الخزاعي عن أصحابه وروى ابن شنبوذ عن البزي ههنا وفي الحديد بفتح الهمزة وعن قنبل ههنا بالفتح وفي الحديد بالسكون ابن وقرأ أبو عمرو وغير شجاع ويزيد والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف بغير همز أربع شهادات بالرفع حمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد الآخرون بالنصب على اعمال المصدر فيما في حكم المصدر والتقدير فواجب شهادة أحدهم شهادات أربعا ان مخففة لعنة الله بالرفع نافع وسهل ويعقوب والمفضل الباقون بالتشديد والنصب والخامسة الثانية بالنصب حفص على معنى وتشهد الشهادة الخامسة ان مخففا غضب فعلا ماضيا الله بالرفع نافع والمفضل ان بالتخفيف غضب الله بالرفع سهل ويعقوب الباقون ان غضب الله بالتشديد والنصب

أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون فابتدأ الكلام بخطاب الله تعالى ثم قيل ارجعون نصارا الى خطاب الجماعة والله تعالى ذكره واحدا وانما فعل ذلك كذلك لان مسألة القوم الرد الى الدنيا انما كانت منهم للملائكة الذين يقبضون روحهم كما ذكر ابن جريج أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله وانما ابتدئ الكلام بخطاب الله جل ثناؤه لانهم استغاثوا به ثم رجعوا الى مسألة الملائكة الرجوع والرد الى الدنيا وكان بعض نحوي الكوفة يقول قيل ذلك كذلك لانه مما جرى على وصف الله نفسه من قوله وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ في غير مكان من القرآن فجرى هذا على ذلك ٧ وقوله كلا يقول تعالى ذكره ليس الامر على ما قال هذا المشرك لن يرجع الى الدنيا ولن يعاد اليها انها كلمة هو قائلها يقول هذه الكلمة وهو قوله رب ارجعون كلمة هو قائلها يقول هذا المشرك هو قائلها كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كلا انها كلمة هو قائلها لا بد له أن يقولها ومن ورائهم برزخ يقول ومن امامهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع يعني الى يوم يبعثون من قبورهم وذلك يوم القيامة والبرزخ الحاجز والمهلة ٧ متقاربات المعنى وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون يقول أجل الى حين حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد في قوله ومن ورائهم برزخ قال ما بعد الموت حدثني أبو حميد الحمصي أحمد بن المغيرة قال ثنا أبو حيوة شريح بن يزيد قال ثنا أرطاة عن أبي يوسف قال خرجت مع أبي أمامة في جنازة فلما وضعت في لحدها قال أبو أمامة هذا برزخ الى يوم يبعثون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا مطر عن مجاهد قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال ما بين الموت الى البعث حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله برزخ الى يوم يبعثون قال حجاب بين الميت والرجوع الى الدنيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال برزخ بقية الدنيا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال البرزخ ما بين الموت الى البعث حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول البرزخ ما بين الدنيا والآخرة

القول في تأويل قوله تعالى (فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله فاذا نفخ في الصور من النفختين أيتهما عنى بها فقال بعضهم عنى بها النفخة الاولى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سالم قال ثنا عمرو بن مطرف عن المنهال

ابن عمرو عن سعيد بن جبير أن رجلا أتى ابن عباس فقال سمعت الله يقول فلا أنساب بينهم يومئذ الآية وقال في آية أخرى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال أما قوله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فذلك في النفخة الاولى فلا ينقى على الارض شئ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وأما قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فانه لما دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن السدي في قوله فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون قال في النفخة الاولى **حدثنا** معلى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فذلك حين ينفخ في الصور فلا حي يبقى الا الله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فذلك اذا بعثوا في النفخة الثانية * قال أبو جعفر فعنى ذلك على هذا التأويل فاذا نفخ في الصور نفخة من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فلا أنساب بينهم يومئذ يتواصلون بها ولا يتساءلون ولا يتزاورون فيتساءلون عن أحوالهم وأنسابهم وقال آخرون بل عنى بذلك النفخة الثانية ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن هرون بن أبي وكيع قال سمعت زذان يقول أتيت ابن مسعود وقد اجتمع الناس اليه في داره فلم أقدر على مجلس فقلت يا أبا عبد الرحمن من أجل أني رجل من العجم تحقرني قال ادن ادن قال فدنوت فلم يكن بيني و بينه جليس فقال يؤخذ بيد العبد أو الامة يوم القيامة على رؤس الاولين والآخرين قال و ينادي مناد ألا ان هذا فلان بن فلان فمن كان له حق قبله فليأت الى حقه قال فتفرح المرأة يومئذ أن يكون لها حق على ابنها أو على أبيها أو على أخيها أو على زوجها فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى ابن يونس عن هرون بن عنترة عن زاذان قال سمعت ابن مسعود يقول يؤخذ العبد أو الامة يوم القيامة فينصب على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادي مناد ثم ذكر نحوه وزاد فيه فيقول الرب تبارك وتعالى للعبد أعط هؤلاء حقوقهم فيقول أي رب فنيت الدنيا فمن أين أعطيهم فيقول للملائكة خذوا من أعماله الصالحة وأعطوا لكل انسان بقدر طلبته فان كان له فضل مثقال حبة من خردل ضاعفها الله له حتى يدخله بها الجنة ثم تلا ابن مسعود ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة ربنا فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول خذوا من أعمالهم السيئة فاضيفوها الى سيئاته وصكوا له صكا الى النار قال **حدثنا** الحسين قال ثني حجاج فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون قال لا يسأل أحد يومئذ بنسب شيأ ولا يتساءلون ولا عت اليه برحم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني محمد بن كثير عن حفص بن المغيرة عن قتادة قال ليس شئ أبغض الى الانسان يوم القيامة من أن يرى من يعرفه مخافة أن يثوب له عليه شئ ثم قرأ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته و بنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه قال **حدثنا** الحسين قال ثنا الحكم بن سنان عن

دونك سورة أو اتل سورة أو على شريطة التفسير ٧ وعلى هذا لا يكون لقوله أنزلناها محل من الاعراب لانها ليست بصفة وانما هي مفسرة للمضمر فكانت في حكمه ومعنى انزال الوحي قد سلف في أول البقرة والفرض القطع والتقدير ولا بد من تقدير مضاف لان السورة قد دخلت في الوجود فلا معنى لفرضها فالمراد فرضنا أحكامها التي فيها ومن شدد فللمبالغة أو للتكثير في أحكام هذه السورة كثرة ويجوز أن يرجع معنى الكثرة الى المفروض عليهم فانهم كل المكلفين من السلف والخلف وأما الآيات البينات فانها دلائل التوحيد التي ذكرها الله تعالى بعد الاحكام والحدود ويؤيده قوله لعلكم تذكرون فان الاحكام والشرائع ما كانت معلومة لهم ليؤمروا بتذكرها بخلاف دلائل التوحيد فانها كالمعلومة لظهورها فيكفي فيها التذكير وقال أبو مسلم هي الحدود والاحكام أيضا ولا بعد في تسميتها آيات كقول زكريا رب اجعل لي آية سأل ربه ان يفرض عليه عملا وقال القاضي أراد بالآيات المباحثة المذكورة في السورة بينها الله تعالى لاجل التذكر فمن جملة الاحكام حكم الزنا قال الخليل وسيبويه رفعهما على الابتداء والخبر محذوف ولا بد من تقدير مضاف فيما فرض عليكم جلد الزانية والزاني أو فيما يتلى عليكم حكم الزانية والزاني وقال آخرون الخبر فاجلدوا ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط فان الالف واللام بمعنى الموصول تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوا وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من نصب سورة أنزلناها لاجل الامر فان الطالب من مظان الفعل والجلد ضرب الجلد كما يقال رأسه أي ضرب رأسه وكذلك في سائر الاعضاء بعد ثبوت السماع وفيه اشارة ان اقامة هذا الحد ينبغي ان يكون على الاعتدال بحيث لا يتجاوز الالم من الجلد الى اللحم فعلى الامام ان ينصب الحدود رجلا عالما بصيرا بعقل كيف

يضرب فان جلد قائما على تجرده ليس عليه ازاره ضرب بوسيطا لا بين بين ولا هينا على الاعضاء كلها الا الوجه والفرج والمراد بجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابهم الا الحشو والفرو والصحيح ان الزنا من الكبائر ولهذا قرنه الله تعالى بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون وقد روى فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه الرجم الذي هو أشنع أنواع القتل ونهى المؤمنين عن الرأفة بهما وأمر بشهود طائفة للتشهير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فاما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر (٣٨) وأما اللاتي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار

واعلم ان البحث في هذه الآية يقع عن أمور أحدها عن ماهية الزنا وثانيها عن احكام الزنا وثالثها في الشرائط المعتبرة في كون الزنا موجبا للثلاث الاحكام ورابعها في الطريق الذي به يعرف حصول الزنا وخامسها عن كيفية اقامة هذا الحد الاول قد حده علماء الشافعية بانه عبارة عن ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم شرعا قالوا فيدخل فيه اللواط لانها مثل الزنا صورة وذلك ظاهر لحصول معنى الانفراج في الدبر أيضا ومعنى لانها يشتركان في المعاني المتعلقة بالشهوة من الحرارة واللين وضيق المدخل ولذلك لا يفرق أهل الطبائع بين المحلين والاكثرون على ان اللواط لا يدخل تحت الزنا للعرف ولهذا لو حلف لا يزني فلاط أو بالعكس لم يحنث ولان الصحابة اختلفوا في حكم اللواط مع كونهم عالمين باللغة وما روي عن أبي موسى الاشعري انه صلى الله عليه وسلم قال اذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان محمول على اشتراكهما في الاثم بدليل قوله أيضا اذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان وقوله اليدان تزنيان والعينان تزنيان والقياس المذكور بعيد لانه لا يلزم من تسمية القبل فرجا الا بفراجه ان يسمى كل منفرج كالفم والعين فرجا واعلم ان للشافعي في اللائط قولين أصحهما ان عليه حد الزنا ان كان محصنا أي فيرجم وان لم يكن محصنا فيجلد ويغرب والثاني قتل الفاعل والمفعول والقتل اما بحز الرقبة كالمرتد أو بالرجم وهو قول مالك وأحد واسحق أو بالهدم عليه ويروى عن أبي أو بالرمي من شاهق ويروى عن علي رضي الله عنه وذلك ان قوم لوط عذبوا بكل هذه الوجوه قال عز من قائل فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل وأما المفعول فان كان صغيرا أو مجنونا أو مكرها فلا حد عليه ولا مهر لان وضع الرجل لا يتقوم وان كان مكلفا طائعا فهو كالفاعل في الاقوال وان أتى امرأة في دبرها ولا ملك ولا نكاح فالاظهر انه لواط وحكمه ما مر وقيل زنا لانه



سدوس صاحب السائري عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادا من أهل العرش يا أهل النظالم ندار كوا مظالمكم وادخلوا الجنة ﴿ القول في تاويل قوله تعالى (فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون) يقول تعالى ذكره فمن ثقلت موازينه موازين حسناته وخفت موازين سيئاته فاولئك هم المفلحون يعني الخالدون في جنات النعيم ومن خفت موازينه يقول ومن خفت موازين حسناته فرجحت بها موازين سيئاته فاولئك الذين خسروا أنفسهم يقول غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله في جهنم خالدون يقول هم في نار جهنم وقوله تلفح وجوههم النار يقول تسفع وجوههم النار كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس تلفح وجوههم النار فلا تنفخ وهم فيها كالحون والكلوح أن تتقلص الشفتان عن الاسنان حتى تبدو الاسنان كما قال الاعشى

ولم المقدم لا مثل له * ساعة الشدق عن الناب كالح

فتأويل الكلام يسفع وجوههم لهب النار فتحرقها وهم فيها منقلصو الشفاه عن الاسنان من احراق النار وجوههم ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثني عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله وهم فيها كالحون يقول عابسون حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا حدثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله في قوله وهم فيها كالحون قال ألم تر الى الرأس المشيط قد بدت أسنانه وقلصت شفتاه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله قرأ هذه الآية تلفح وجوههم النار الآية قال ألم تر الى الرأس المشيط بالنار وقد قلصت شفتاه وبدت أسنانه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وهم فيها كالحون قال ألم تر الى الغنم اذا مست النار وجوهها كيف هي ﴿ القول في تاويل قوله تعالى (ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) يقول تعالى ذكره يقال لهم ألم تكن آياتي تتلى عليكم يعني آيات القرآن تتلى عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون وترك ذكر من يقال له الكلام عليه قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة غلبت علينا شقوتنا بكسر الشين وبغير ألف وقرأته عامة قراء أهل الكوفة شقاوتنا بفتح الشين والالف والصواب من القول في ذلك انهما قراءتان مشهورتان وقرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتاويل الكلام قالوا ربنا غلبت علينا ما سبق لنا في سابق علمك وخط لنا في أم الكتاب ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن

وطء أنثى فاشبه الوطء فى القبل واذا لاط بعبده فهو كالاجنبى على الاصح ولو أتى امرأته وجاريته فى الدبر فالاصح القطع بمنع الحد لانها محل استمتاعه وبالجملة جميع ذلك مما ذهب اليه الشافعى وقال أبو حنيفة ان اللائط لا يحد بل يعزر حجة الشافعى خبر أبى موسى الاشعرى فانه يدل على اشتراك اللواط والزنا فى الاسم والحقيقة لا أقل من اشتراكهما فى اللوازم وأيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل منهما والمفعول وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث زنا بعد احصان وكفر بعد ايمان وقتل نفس بغير حق وليس اللواط من قبيل الثانى والثالث فهو من الاول وأيضا قاس اللواط على الزنا (٣٩) بجامع كون الطبع داعيا اليه فيناسب الزاجر وفرق بان الزنا أكثر وقوعا وكان الاحتياج فيه الى الزاجر أشد وبان الزنا يقتضى فساد الانساب دون اللواط والى الفرق بوطء المجوز الشوهاء حجة أبى حنيفة انه وطء لا يتعلق به المهر فلا يتعلق به الحد وضعف بفقد الجامع قال انه لا يساوى الزنا فى الحاجة الى شرع الحد لان اللواط لا يرغب فيه المفعول طبعا ولانه ليس فيه اضاعة النسب وأجيب بان الانسان حريص على ما منع فلو لم يشرع الحد شاع اللواط وأدى الى اضاعة النسب بل الى افناء الاشخاص وانقطاع طريق التوالد والتناسل وللشافعى فى اتيان البهيمة أقوال أحدها انه كالزنا فى أحكامه وثانيها القتل مطلقا لما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه فقيل لابن عباس ما شان البهيمة قال لانه كره ان يؤكل لحمها وأصحها وهو قول مالك وأبى حنيفة وأحمد والثورى ان عليه التعزير لانه غير مشتهى طبعا والحديث ضعيف الاسناد ويتقدير صحته معارض بما روى انه صلى الله عليه وسلم نهى عن ذبح الحيوان الا لاكله ولا خلاف فى ان السحق واتيان الميتة والاستمناء باليد لا يشرع فيهما الا التعزير والبحث الثانى قد مر فى أول سورة النساء ان حكم الزانى فى أوائل الاسلام كان الحبس فى البيوت فى حق الثيب والايذاء بالقول فى حق البكر ثم نسخ بآية الزنا وبقوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والخوارج أنكروا الرجم لانه لا يتنصف وقد قال تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ولانه تعالى أطنب فى أحكام الزنا بما لم يطنب فى غيره فلو كان الرجم مشروعا لكان أولى بالذكر ولان قوله الزانية والزانى يقتضى وجوب الجلد على كل الزناة وايجاب الرجم على البعض يقتضى تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وجمهور المجتهدين خالفوهم فى ذلك فاجابوا عن الاول بان الرجم حيث لم يتنصف لم يشرع

أبى بزة عن مجاهد قوله غلبت علينا سقوتنا قال التى كتبت علينا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله غلبت علينا شقوتنا التى كتبت علينا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال قال ابن جريج بلغنا أن أهل النار نادوا خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فلم يجيبوهم ماشاء الله فلما أجابوهم بعد حين قالوا ادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال قال ثم نادوا يا مالك ليقض علينا ربك فسكت عنهم مالكا خازن جهنم أربعين سنة ثم أجابهم فقال انكم ماكثون ثم نادى الاشقياء ربهم فقالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فسكت عنهم مثل مقدار الدنيا ثم أجابهم بعد ذلك تبارك وتعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون قال **حدثنى** حجاج عن أبى بكر بن عبد الله قال ينادى أهل النار أهل الجنة فلا يجيبوهم ماشاء الله ثم يقال أجيبوهم وقد قطع الرحم والرحمة فيقول أهل الجنة يا أهل النار عليكم غضب الله يا أهل النار عليكم لعنة الله يا أهل النار لا لبيكم ولا سعديكم ماذا تقولون فيقولون ألم نك فى الدنيا آباءكم وأبناءكم وأخوانكم وعشيرتكم فيقولون بلى فيقولون أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين قال **حدثنى** حجاج عن أبى معشر عن محمد بن كعب القرظى قال و **حدثنى** عبدة المروزى عن عبد الله بن المبارك عن عمرو بن أبى ليلى قال سمعت محمد بن كعب زاد أحدهما على صاحبه قال محمد بن كعب بلغنى أو ذكر لى أن أهل النار استغاثوا بالخزنة ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردوا عليهم ماقال الله فلما أيسوا نادوا يا مالك وهو على باب جسر فى وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها فقالوا يا مالك ليقض علينا ربك سألوا الموت فمكث لا يجيبهم ثمانين ألف سنة من سنى الآخرة أو كما قال ثم انحط اليهم فقال انكم ماكثون فلما سمعوا ذلك قالوا فاصبروا فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله قال فصبروا فطال صبرهم فنادوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص أى منجى فقام ابليس عند ذلك فخطبهم فقال ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم قال فنودوا لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا الآية قال فيجيبهم الله فيها ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير قال فيقولون ما أيسنا بعد قال ثم دعوا مرة أخرى فيقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون قال فيقول الرب تبارك وتعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها يقول الرب لو شئت لهديت الناس جميعا فلم يختلف منهم أحد ولكن حق القول منى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا يقول بما تركتم أن تعملوا ليومكم هذا انا نسيناكم كما تركتمونا كذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون قال فيقولون ما أيسنا بعد قال فيدعون مرة أخرى

قُ حق العبد فخص العذاب بغير الرجم الدليل العقلي وعن الثاني ان الاحكام الشرعية كانت تنزل بحسب تجدد المصالح فلما نزل المحلقة التي اقتضت وجوب الرجم حدثت بعد نزول هذه الآيات وعن الثالث ان تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد جائز عندنا لان القرآن وان كان قاطعا في متنه لان العام غير قاطع الدلالة فامكن تخصيصه بالدليل المظنون سلمنا لان الرجم ثبت بالتواتر رواه أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم وجابر والخدري وأبو هريرة وبريدة الاسلمي وزيد بن خالد في آخرين من الصحابة ونقل عن علي انه جمع بين الجلد والرجم وهو اختيار أحمد واسحق وداود ويحمل على مثل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جلد ثم أخبر النبي أنه كان محصنا فامر به فرجم وقوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة متروك العمل بما روي في قصة العسيف انه قال يا أنيس أغد على امرأة هذا فان اعترفت فارجمها ولو وجب الجلد اذا لذكره وان قصة ماعز رويت من جهات مختلفة وليس فيها ذكر الجلد مع الرجم وكذا قصة الغامدية وروى الزهري باسناده عن ابن عباس أن عمر قال قد خشيت ان يطول بالناس زمان حتى يقول قائل لا نجد الرجم في كتاب الله تعالى فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى وقد قرأنا الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما ألبتة فرجم النبي صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخبر ان الذي فرضه الله تعالى هذا الرجم ولو كان الجلد واجبا مع الرجم لذكره قال الشافعي يجمع بين الجلد والتغريب في حد البكر وقال أبو حنيفة يجلد وأما التغريب فمفوض الى رأي الامام وقوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وكذا ما يروى عن الصحابة انهم جلدوا ونفوا منسوخ أو يحمل على وجه التغرير والتاديب من غير وجوب وقال مالك يجلد الرجل ويغرب ويجلد المرأة بلا تغريب بحديث عبادة البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وقد ورد مثله في قصة العسيف حجة أبي حنيفة ان ايجاب التغريب يقتضي نسخ القرآن بخبر الواحد بيانه ان ايجاب الجلد مرتب على الزنا بالفاء التي هي للجزاء ومعنى الجزاء كونه كافيا في ذلك الباب منه قوله صلى الله عليه وسلم يجزيك ولا يجزي أحدا بعدك وايجاب شيء آخر غير الجلد يقتضي نسخ كونه كافيا ولو كان النفي مشروعا لوجب على النبي صلى الله عليه وسلم توقيف الصحابة

---

ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل قال فيقال لهم أولم تكونوا قسمتم من قبل مالكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم الآية قال فيقولون ما أيسنا بعد ثم قالوا مرة أخرى ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل قال فيقول أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير الى نصير ثم مكث عنهم ما شاء الله ثم نادا هم ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون فلما سمعوا ذلك قالوا الآن يرحمنا فقالوا عند ذلك ربنا غلبت علينا شقوتنا أي الكتاب الذي كتب علينا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها الآية فقال عند ذلك اخسؤا فيها ولا تكلمون قال ولا تكلمون فيها أبدا فانقطع عند ذلك الدعاء والرجاء منهم وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض فاطبقت عليهم قال عبد الله بن المبارك في حديثه فحدثني الآن هوان أبي الازهر انه قال فذلك قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله انه قال فوالذي أنزل القرآن على محمد والتوراة على موسى والانجيل على عيسى ما تكلم أهل النار كلمة بعدها الا الشهيق والزعيق في الحال أبدا ليس له نفاد قال ثني حجاج عن أبي معشر قال كنا في جنازة ومعنا أبو جعفر القارئ فلسنا نتحى أبو جعفر فبكى فقيل له ما يبكيك يا أبا جعفر قال أخبرني زيد بن أسلم ان أهل النار لا ينتفسون وقوله وكنا قوما ضالين يقول كنا قوما ضللنا عن سبيل الرشاد وقصد الحق ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذين خفت موازين صالح أعمالهم يوم القيامة في جهنم ربنا أخرجنا من النار فان عدنا الى ما كرهت منا من عمل فانا ظالمون وقوله قال اخسؤا فيها يقول تعالى ذكره قال الرب لهم جل ثناؤه مجيبا اخسؤا فيها أي اقعدوا في النار يقال منه خسأت فلانا اخسؤه خسأ وخسأ هو يخسأ وما كان خاسئا ولقد رخسا ولا تكلمون فعند ذلك أيس المساكين من الفرج ولقد كانوا طامعين فيه كما **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثني أبو الزهراء عن عبد الله في قصة ذكرها في الشفاعة قال فاذا أراد الله أن لا يخرج منها يعني من النار أحدا غير وجوههم وألوانهم فيجيء الرجل من المؤمنين فيشفع فيه فيقول يا رب فيقول من عرف أحدا فليخرجه قال فيجيء الرجل فينظر فلا يعرف أحدا فيقول يا فلان يا فلان ٧ فيقول ما أعرفك فعند ذلك يقولون ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيقول اخسؤا فيها ولا تكلمون فاذا قالوا ذلك انطبقت عليهم جهنم فلا يخرج منها بشر **حدثنا** تميم بن المنتصر قال أخبرنا اسحق عن شريك عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن شهر بن حوشب عن معدي كرب عن أبي الدرداء قال يرسل أو يصب على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع فلا يغني ذلك عنهم شيأ فيستغيثون فيغاثوا بطعام ذي غصة فاذا أكلوه نشبت في حلوقهم فيذكرون انهم كانوا في الدنيا يجدرون الغصة بالماء فيستغيثون فيرفع اليهم الحميم

عليه عند تلاوة هذه الآية ولو فعل لاشتهر وقد روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الأمة إذا زنت فاجلدوها فإن زنت فبعوها والاستدلال به انه لم يذكر النفي مع الجلد ونظيره ما روى ان شيخا وجد على بطن جارية فأتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اجلدوه مائة فقالوا انه أضعف من ذلك فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها وخلوا سبيله لا يقال انه انما ينفيه لانه كان عاجزا عن الحركة لانا نقول كان ينبغي ان يأمر له بدابة يركبها ولا يقال لعله كان ضعيفا عن الركوب أيضا لانا نقول القادر على الجماع كيف لا يقدر على الاستمساك وأيضا الامر بالنفي لو كان مشروعا لازم في حق العبد الاضرار بسيده في مدة (٤١) غيبته وفي حق المرأة الاضرار بزوجها وكذا لمن يؤمر ان يكون معها من محارمها أو من النسوة الثقاة مع انفتاح باب الزنا عليها في الغربة لهذا روى عن علي رضي الله عنه أنه قال في البكر ان اذا زنيا يجلدان ولا ينفيان فان نفيهما من الفتنة وعن ابن عمر أن امرأة زنت فجلدها ولم ينفها وأيضا النفي نظير القتل لقوله تعالى اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم فاذا لم يشرع القتل في حد البكر وجب أن لا يشرع نظيره وهو التغريب وأجيب بان ايجاب الجلد مفهوم مشترك بين ايجاب الجلد مع نفي التغريب وبين ايجابه مع نفي التغريب فلا اشعار في الآية باحد القسمين الا ان عدم التغريب موافق للبراءة الاصلية فايجابه يخبر الواحد لا يزيل الا محض البراءة فلا يلزم نسخ القرآن به وهو قول الاباضية ان الجزاء سمي جزاء لانه كاف في الشرط لا يصلح حجة في الاحكام ولا استبعاد في عدم اشتهار بعض الاحكام كاكثر الخصصات والاخبار الواردة في نفي التغريب معارضة بما روى أبو علي في جامعه أنه صلى الله عليه وسلم جلد وغرب ولا بعد في أن يكون القادر على الزنا عاجزا عن الاستمساك على الدابة والاضرار بالسيد قد يجوز للضرورة كالعبد المرتد يقتل وعلى هذا يغرب نصف سنة على الاصح لانه يقبل التنصيف وقيل سنة كاملة لان التغريب لا يحاش وهذا معنى يرجع الى الطبع فيستوي فيه الحر والعبد كعدة الايلاء والعنة وأما المرأة فلا تغرب وحدها لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل لامرأة ان تسافر الا ومعها ذو محرم فان تبرع المحرم أو نسوة ثقاة فذاك والا أعطى أجرتهم من مالها أو من بيت المال فيه قولان وتتقى التهمة حيث ذمع ان أكثر الزنا انما يقع بالالف والمؤانسة وفراغ القلب وفي التغريب الاغلب هو الوحشة والتعب وأما أن النفي يشبه القتل فسلم من بعض الوجوه لا من كلها واعلم ان قولنا الزانية والزاني اما مطلق دال على الجنسين المنافيين لجنس العفيفة والعفيف أو عام يشمل

الحميم في كلاليب الحديد فاذا انتهى الى وجوههم شوى وجوههم فاذا شربوا قطع أمعاءهم قال فينادون مالكا ليقض علينا ربك قال فيتركهم ألف سنة ثم يجيبهم انكم ماكثون قال فينادون خزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال فيقولون ما نجد أحدا خيرا لنا من ربنا فينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيقول اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير فيدعون بالويل والشهيق والثبور **حدثني** محمد بن عمارة الاسدي قال ثنا عاصم ابن يوسف اليربوعي قال ثنا قطبة بن عبد العزيز السعدي عن الاعمش عن شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع ثم ذكر نحو امنه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن هرون بن عنترة عن عمرو بن مرة قال يرى أهل النار في كل سبعين عاما سافا مالك خازن النار فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك فيجيبهم بكامة ثم لا يرونه سبعين عاما فيستغيثون بالخزنة فيقولون لهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيجيبونهم ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات الآية فيقولون ادعوا ربكم فليس أحد أرحم من ربكم فيقولون ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فعند ذلك يئسوا من كل خير وياخذون في الشهيق والويل والثبور **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة اخسؤا فيها ولا تكلمون قال بلغني انهم ينادون مالكا فيقولون ليقض علينا ربك فسكت عنهم قدر أربعين سنة ثم يقول انكم ماكثون قال ثم ينادون ربهم فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يقول اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فيأس القوم فلا يتكلمون بعدها كلمة وكان انما هو الزفير والشهيق قال قتادة صوت الكافر في النار مثل صوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثنا** الحسن قال ثنا عبد الله بن عيسى قال أخبرني زياد الخراساني قال أسنده الى بعض أهل العلم فنسيته في قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فيسكتون قال فلا يسمع فيها حس الا كطنين الطست **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون هذا قول الرحمن عز وجل حين انقطع كلامهم ۞ القول في تاويل قوله تعالى (انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) يقول تعالى ذكره انه وهذه الهاء في قوله انه هي الهاء التي تسميها أهل العربية المجهولة وقد بينت معناها فيما مضى قبل ومعنى دخولها في الكلام بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع كان فريق من عبادي يقول كانت جماعة من عبادي وهم أهل الايمان بالله يقولون في الدنيا ربنا آمنا بك وبرسلك وما جاؤا به من عندك فاغفر لنا ذنوبنا وارحمنا وأنت خير من رحم أهل البلاء فلا تعذبنا بعذابك ۞ القول في تاويل قوله تعالى (فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم

كل من اتصف بهذه الفعلة الشنعاء فلا بد من تقييد أو تخصيص وهو الحث الثالث فنقول أجمعت الامة على انه لا بد فيمن العقل والبلوغ فلا حد على مجنون ولا على صبي لانهما ليسا من أهل التكليف هذا في غير الرجم وأما في الرجم فلا بد من شروط أخر منها الحرية بالاجماع ولا فرق بين القن والمدبر والمكاتب والمستولدة وحد البعض والسبب ان الحرية توسع طريق الحلال لان الرقيق يحتاج في النكاح الى اذن السيد ولا يجوز له ان ينكح الا امرأتين وجناية من اوتكب الحرام مع اتساع طريق الحلال أغلظ ومنها الاصابة في نكاح صحيح وقد يعبر عن هذا الشرط (٤٢) بشرطين أحدهما التزويج بنكاح صحيح والآخر الدخول وكيفما كان فوجه الاعتبار انه قضى الشهوة واستوفى اللذة فقد ان يمتنع من الحرام ويكفي في الاصابة تغييب الحشفة بلا انزال ولا يقدح وقوعها في حالة الحيض والاحرام وعدة الوطء بالشبهة ولا يحصل الاحصان بالاصابة في ملك اليمين كما لا يحصل التحليل وفي الاصابة بالشبهة وفي النكاح الفاسد قولان أحدهما انه يفيد الاحصان لان الفاسد كالصحيح في العدة والنسب وأصحهما المنع لان الفاسد لا أثر له في ازالة طريق الحلال وهل يشترط ان تكون الاصابة في النكاح بعد التكليف والحرية الاصح عند امام الحرمين لافائه وطء يحصل به التحليل فكذا الاحصان والارجح عند معظم الاصحاب نعم لان شرط الاصابة ان تحصل بأكمل الجهات وهو النكاح الصحيح فيعتبر حصولها من كامل وعلى هذا فهل يشترط كمال الواطئين جميعا قال أبو حنيفة نعم وهو أحد قولي الشافعي فلو كان أحدهما كاملا دون الآخر لم يصر الكامل محصنا أيضا وقال الشافعي في أصح قوليه لا بل لكل منهما حكم نفسه ومنها الاسلام عند أبي حنيفة لقوله صلى الله عليه وسلم من أشرك بالله فليس بمحصن دون الشافعي لقوله صلى الله عليه وسلم اذا قبلوا الجزية فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ولحديث مالك عن نافع

معناه

عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا فلو حكم بشرعه فظاهر ولو حكم بشريعة من قبله فقد صار شريعة لنا ولان زنا الكافر مثل زنا المسلم في الحاجة الى الزاجر ولهذا قلنا اذا أقر الذمي بالزنا أقيم عليه الحد جبرا بخلاف الشرب فانه لا يعتقد تحريمه ومما احتج لابي حنيفة ان النعمة في حق المسلم أعظم فكانت جنايته أغلظ كقوله يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وعورض بان الاسلام من كسب العبد وزيادة الحرمة ان لم تكن سببا للعذر فلا أقل من أن لا تكون سببا لزيادة العقوبة قالوا الاحصان القذف يعتبر

تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون) يقول تعالى ذكره فاتخذتم أيها القائلون لربهم ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين في الدنيا القائلين فيها ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين سخريا والهاء والميم في قوله فاتخذتموهم من ذكر الفريق واختلفت القراء في قراءة قوله سخريا فقرأه بعض قراء الحجاز وبعض أهل البصرة والكوفة فاتخذتموهم سخريا بكسر السين ويتأولون في كسرها ان معنى ذلك الهزؤ ويقولون انها اذا ضمت فمعنى الكلمة السخرة والاستعباد فمعنى الكلام على مذهب هؤلاء فاتخذتم أهل الايمان بي هزوا ولعبا تهزؤن بهم حتى أنسوكم ذكري وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة فاتخذتموهم سخريا بضم السين وقالوا معنى الكلمة في الضم والكسر واحد وحكي بعضهم عن العرب سماعا لحى ولحي ودرى ودرى منسوب الى الدر وكذلك كرسي وكرسي وقالوا ذلك من قيلهم كذلك نظير قولهم في جمع العصا العصي بكسر العين والعصي بضمها قالوا وانما اخترنا الضم في السخري لانه أفصح اللغتين والصواب من القول في ذلك انهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ ذلك فصيب وليس بفرق من فرق بين معنى ذلك اذا كسرت السين واذا ضمت لما ذكرت من الرواية عمن سمع من العرب ما حكيت عنه ذكر الرواية به عن بعض من فرق في ذلك بين معناه مكسورة سينه ومضمومة **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فاتخذتموهم سخريا قال هما مختلفتان سخريا وسخريا يقول الله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا قال هذا سخريا يتسخرونهم والآخرون الذين يستهزؤن بهم هم سخريا فذلك سخريا يسخرونهم عندك فسخر لك فرفعك فوقه والآخرون استهزؤا باهل الاسلام هي سخريا يسخرون منهم فهما مختلفان وقرأ قول الله كما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون وقال يسخرون منهم كما سخر قوم نوح بنوح اتخذوهم سخريا اتخذوهم هزؤا لم يزالوا يستهزؤن بهم وقوله حتى أنسوكم ذكري يقول لم يزل استهزاؤكم بهم أنساكم ذلك من فعلكم بهم ذكري فانهاكم عنه وكنتم منهم تضحكون كما **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله حتى أنسوكم ذكري قال أنسى هؤلاء الله استهزاؤهم بهم وضحكهم بهم وقرأ ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون حتى بلغ ان هؤلاء لضالون وقوله اني جزيتهم اليوم بما صبروا يقول تعالى ذكره اني أيها المشركون بالله المخلدون في النار جزيت الذين اتخذتموهم في الدنيا سخريا من أهل الايمان بي وكنتم منهم تضحكون اليوم بما صبروا على ما كانوا يلقون بينكم من أذى سخريتكم وضحككم منهم في الدنيا انهم هم الفائزون اختلفت القراء في قراءة انهم فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة انهم بفتح الالف من انهم بمعنى جزيتهم هذا فان في قراءة هؤلاء في موضع نصب بوقوع قوله جزيتهم عليها الان معنى الكلام عندهم اني جزيتهم اليوم الفوز بالجنة وقد يحتمل النصب من وجه آخر وهو أن يكون موجها

فيه الاسلام بالاجماع فكذا حصان الرجم والجامع كمال النعمة وأجيب بان حد القذف لرفع العار كرامة للمقذوف والكافر لا يكون محلا للكرامة وصيانة للعرض والجواب عن الحديث بانا لا نسلم أن الذمي مشرك سلمنا لكن الاحصان قد يراد به التزويج كقوله فاذا أحصن والذمي الثيب محصن بهذا التفسير فوجب وجه لقوله صلى الله عليه وسلم وزنى بعد الحصان ولقوله عليهم ما على المسلمين قال بعض أهل الظاهر عموم قوله الزانية والزاني يقتضي وجوب المائة على العبد والامة الا أنه ورد النص بالتنصيف في حق الامة فلو قسنا العبد عليه لزم تخصيص عموم الكتاب بالقياس ومنهم من قال الامة اذا تزوجت فعليها خمسون لقوله فاذا أحصن (٤٣) أي تزوجن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات فاذا لم تتزوج فعليها المائة لعموم قوله الزانية واتفاق الجمهور على حذف هذين وقال الشافعي وأبو حنيفة الذمي يجلد للعموم ولانه صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين فالجلد أولى وقال مالك لا يجلد بناء على ان الكفار ليسوا مخاطبين بالفروع

البحث الرابع في طريق معرفة الزنا وانه ثلاثة الاول ان يراه الامام بنفسه فيجيء الخلاف في ان القاضي هل له ان يقضي بعلمه أم لا رجح كلام مرجحون وجه القضاء انه يقضي بالظن وذلك عند شهادة شاهدين فلان يقضي بالعلم أولى ووجه عدم القضاء ان فيه تهمة والتهمة تمنع القضاء ولهذا لا يقضي القاضي لولده ووالده وهذا الوجه في حدود الله تعالى أرجح لان الحاكم فيه مامور بالستر ولهذا قال في قضية الملاعن لو كنت راجما بغير بينة لرجمتها ولا فرق على القولين أن يحصل العلم للقاضي في زمان ولايته ومكانها أو في غيرهما وعن أبي حنيفة انه ان حصل له العلم فيما قضى بعلمه والا فلا

الطريق الثاني الاقرار ويكفي عند الشافعي مرة واحدة وقال أبو حنيفة لا بد من أربع مرات في أربع مجالس وجوز أحمد

---

معناه الى الذي جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون بما صبروا في الدنيا على ما لقوا في ذات الله وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة انى بكسر الالف منها بمعنى الابتداء وقالوا ذلك ابتداء من الله مدحهم * وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر الالف لان قوله جزيتهم قد عمل في الهاء والميم والجزاء انما يعمل في منصوبين واذا عملت في الهاء والميم لم يكن له العمل في أن فيصير عاملا في ثلاثة الا أن ينوى به التكرير فيكون نصب ان حينئذ بفعل مضمر لا بقوله جزيتهم وان هي نصبت باضمار لام لم يكن له أيضا كبير معنى لان جزاء الله عباده المؤمنين بالجنة انما هو على ما سلف من صالح أعمالهم في الدنيا وجزاؤهم اياهم وذلك في الآخرة هو الفوز فلا معنى لان يشرط لهم الفوز بالاعمال ثم يخبرانهم انما فازوا لانهم هم الفائزون فتأويل الكلام اذ كان الصواب من القراءة ما ذكرنا انى جزيتهم اليوم الجنة بما صبروا في الدنيا على أذا كهم في انهم اليوم هم الفائزون بالنعيم الدائم والكرامة الباقية أبدا بما عملوا من صالحات الاعمال في الدنيا ولقوا في طلب رضاى من المكاره فيها

القول في تاويل قوله تعالى (قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين) اختلفت القراء في قراءة قوله كم لبثتم في الارض عدد سنين وفي قوله لبثنا يوما أو بعض يوم فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة على وجه الخبر قال كم لبثتم وكذلك قوله قال ان لبثتم وجه هؤلاء تاويل الكلام الى ان الله قال لهؤلاء الاشقياء من أهل النار وهم في النار كم لبثتم في الارض عدد سنين وانهم أجابوا الله فقالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فنسى الاشقياء لعظيم ما هم فيه من البلاء والعذاب مدة مكثهم التي كانت في الدنيا وقصر عندهم أمد مكثهم الذي كان فيها لما حل بهم من نقمة الله حتى حسبوا انهم لم يكونوا مكثوا فيها الا يوما أو بعض يوم ولعل بعضهم كان قد مكث فيها الزمان الطويل والسنين الكثيرة وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة على وجه الامر لهم بالقول كانه قال لهم قولوا كم لبثتم في الارض وأخرج الكلام مخرج الامر للواحد والمعني به الجماعة اذ كان مفهوما معناه وانما اختار هذه القراءة من اختارها من أهل الكوفة لان ذلك في مصاحفهم قل بغير ألف وهو في مصاحفهم بالالف * وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ ذلك قال كم لبثتم على وجه الخبر لان وجه الكلام لو كان ذلك أمرا أن يكون قولوا على وجه الخطاب للجمع لان الخطاب فيما قبل ذلك وبعده جرى لجماعة أهل النار فالذي هو أولى أن يكون كذلك قوله قولوا لو كان الكلام جاء على وجه الامر وان كان الآخر جائزا الا ترى التوحيد لما بينت من العلة لقارئ ذلك كذلك وجاء الكلام بالتوحيد في قراءة جميع القراء كان معلوما ان قراءة ذلك على وجه الخبر عن الواحد أشبه اذ كان ذلك هو الفصيح المعروف من كلام العرب فاذ كان ذلك كذلك فتاويل الكلام قال الله كم لبثتم في الدنيا من عدد سنين قالوا مجيبين له لبثنا فيها يوما أو بعض يوم فاسأل العادين لا نالا ندري قد نسينا ذلك واختلف أهل التاويل في المعني بالعادين فقال بعضهم هم الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحصون عليهم ساعاتهم

---

ان يكون المجلس واحدا حجة الشافعي قصة العسيف فان اعترفت فارجمها والقياس على الاقرار بالقتل والردة مع ان الصارف عن الاقرار بالزنا قوي وهو العار في الحال والقتل أو الالم الشديد في المآل فلا قدام على الاقرار مع هذا الصارف لا يكون الا عن صدق ويقين حجة أبي حنيفة قصة ماعز واعراضه صلى الله عليه وسلم مرات حتى قال أبو بكر له بعد ما أقر ثلاث مرات لو أقررت الرابعة لرجمك رسول الله صلى الله عليه وسلم والقياس على الشهادة وأجيب بانه لا منافاة بين القضيتين فان الاولى محمولة على أقل المراتب والثانية على كمالها وبالفرق فان المقذوف لو أقر بالزنا مرة سقط الحد عن القاذف ولو شهد اثنان بزناه لم يسقط الطريق الثالث الشهادة وأجمعوا على انه لا بد من شهود أربعة من الرجال لقوله

تعالى فاستشهدوا عليهن أربعة منكم وقوله ثم لم يأتوا بأربعة شهداء والشهادة على الاقرار بالزنا كالشهادة على الزنا فلا بد من شهود أربعة وفي قول يكفي فيه اثنان لان الفعل مما يعسر الاطلاع عليه فلزم الاحتياط فيه باشتراط الاربعة والاقرار أمر ظاهر فيكفي فيه رجلان البحث الخامس أجمعت الامة على ان المخاطب بقوله فاجلدوا هو الامام حتى احتجوا به على وجوب نصب الامام فان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقال الشافعي السيد يملك اقامة الحد على مملوكه وهو قول ابن مسعود وابن عمر وفاطمة وعائشة وقال أبو حنيفة وأصحابه لا يملك



حجة الشافعي أنه صلى الله عليه وسلم قال أقيموا الحدود على ما ملكت أيمانكم وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا زنت أمة أحدكم فليجلدها وحمل الاول على رفع القضية الى الامام حتى يقيموا عليهم الحدود وحمل الثاني على التعزير بخلاف الظاهر وأيضا ان ولاية السيد على العبد فوق الولاية بالبيعة فكان أولى وأيضا الاجماع على ان السيد يملك التعزير مع انه في محل الاجتهاد فلان يملك الحد مع التنصيص عليه أولى حجة أبي حنيفة في قوله فاجلدوا الخطاب للائمة بالاتفاق ولم يذكر فرق بين الاحرار المحدودين وبين العبيد وأيضا لو جاز للمولى ان يسمع شهادة الشهود على عبده بالسرقة فيقطعه فلو رجعوا عن شهادتهم وجب ان يتمكن من تضمين الشهود وليس له ذلك بالاتفاق لانه ليس لاحد ان يحكم لنفسه وأيضا المالك في محل التهمة لانه قد يشفق على ملكه فلا يستوفي الحد أجاب الشافعية بان عدم ذكر الفرق لا يدل على عدم الفرق مع ان الكلام في جواز اقامة السيد الحد لا في وجوبه فالامام يملك حد العبد في الجملة وذلك كاف في بقاء الآية على عمومها وعن الثاني بان للشافعي في القطع والقتل قولين أحدهما يجوز لما روي ان ابن عمر قطع عبدا له سرق وثانيهما لا وهو قول مالك ان القطع للامام بخلاف الجلد لان المولى يملك جنس الجلد وهو التعزير وفي سماع المولى الشهادة أيضا وجهان فاذا فقد الامام فليس لآحاد الناس اقامة

ابو

هذه الحدود بل ينبغي ان يعينوا واحدا من الصلحاء ليقوم بها وفي الخارجي المتغلب خلاف البحث السادس في كيفية اقامة الحد أنه سبحانه قد أشار الى أن هذا الحد يجب أن لا يكون في غاية العنف بلفظ الجلد كما مر والى أنه يجب أن لا يكون في غاية الرفق بقوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وذلك اما بان يترك الحد رأسا أو ينقص شيء منه أو يخفف بحيث لا يحس الزاني بالالم وفي معناه ان يفرق على الايام كأن يضرب كل يوم سوطا أو سوطين وان ضرب كل يوم عشرين مثلا كان محسوبا بالحصول التكليف والاولى أن لا يفرق وأكد هذا المعنى بقوله ان كنتم

---

ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمر وقال ثنا ابن عاصم قال ثنا عيسى و **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فاسألوا العادين قال الملائكة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال آخرون بل هم الحساب ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فاسألوا العادين قال فاسألوا الحساب **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فاسألوا العادين قال فاسألوا أهل الحساب * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فاسألوا العادين وهم الذين يعدون عدد الشهور والسنين وغير ذلك وجائز أن تكون الملائكة وجائز أن يكونوا بني آدم وغيرهم ولا حجة بأي ذلك من أي ثبتت صحتها فغير جائز توجيه معنى ذلك الى بعض العادين دون بعض ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون) اختلف القراء في قراءة قوله قال ان لبثتم الا قليلا اختلافا فهم في قراءة قوله قال كم لبثتم والقول عندنا في ذلك في هذا الموضع نحو القول الذي بيناه قبل في قوله كم لبثتم وتأويل الكلام على قراءة من قال الله لهم ما لبثتم في الارض الا قليلا يسيرا والأنكم كنتم تعلمون قدر لبثكم فيها وقوله أفحسبتم انما خلقناكم عبثا يقول تعالى ذكره أفحسبتم أيها الاشقيا انا انما خلقناكم اذ خلقناكم لعبا وباطلا وانكم الينا بعد مماتكم لا تصيرون أحياء فتجزون بما كنتم في الدنيا تعملون وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة والكوفة لا ترجعون بضم التاء لا ترددون وقالوا انما هو من مرجع الآخرة لا من رجوع الى الدنيا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة لا ترجعون وقالوا سواء في ذلك مرجع الآخرة والرجوع الى الدنيا * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال انهما قراءتان متقاربتا المعنى لان من رده الله الى الآخرة من الدنيا بعد فنائه فقد رجع اليها وان من رجع اليها فبرد الله اياه اليها رجع وهما مع ذلك قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علما من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فصيب وبنحو الذي قلنا في معنى قوله أفحسبتم انما خلقناكم عبثا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أفحسبتم انما خلقناكم عبثا قال باطلا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم) يقول تعالى ذكره فتعالى الله الملك الحق عما يصفه به هؤلاء المشركون من أن له شريكا وعما يضيفون اليه من اتخاذ البنات لا اله الا هو يقول لا معبود تنبغي له العبودة الا الله الملك الحق رب العرش الكريم والرب مرفوع بالرد على الحق ومعنى الكلام فتعالى الله الملك الحق رب العرش الكريم لا اله الا هو ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) يقول تعالى ذكره ومن يدع مع المعبود الذي لا تصلح العبادة الا له معبودا آخر لا حجة له بما يقول ويعمل من ذلك ولا بينة كما **حدثني** محمد بن عمر وقال ثنا

تؤمنون بالله واليوم الآخر قال الجبائي فيه دلالة على ان الاشتغال باداء الواجبات من الايمان لان التقدير ان كنتم مؤمنين فلا تتركوا اقامة الحدود وأجيب بان الرأفة لا تحصل الا اذا حكم الانسان بطبعه وان ذلك يوجب ترك اقامة الحد وحينئذ يكون منكرا للدين فلهذا يخرج من الايمان وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقال له لم فعلت ذلك فيقول رحمة لعبادك فيقول له أنت أرحم بهم مني فيؤمر به الى النار وروى أبو عثمان النهدي قال أتى عمر برجل في حد ثم جيء بسوط فيه شدة فقال له أريد ألين من هذا فاتي بسوط فيه لين فقال أريد أشد من هذا فاتي بسوط بين السوطين وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أتى برجل في حد فذهب الرجل (٤٥) ينزع قميصه وقال ما ينبغي لجسد هذا المذنب ان يضرب وعليه قميص فقال أبو عبيدة لا تدعوه ينزع قميصه وضربه عليه ولا خلاف في أن المرأة لا يجوز تجريدها بل يربط عليها ثيابها حتى لا تنكشف ويلي ذلك منها امرأة ويجوز الشافعي الضرب على الرأس لما روى أن أبا بكر قال اضرب على الرأس فان الشيطان فيه وقال أبو حنيفة حكم الرأس حكم الوجه لان الموضحة وسائر الشجاج حكمها في الرأس وفي الوجه واحد وأما في سائر البدن فلا يجب الا الحكومة وأيضا ان ضرب الرأس يوجب في الاغلب ظلمة البصر ونزول الماء واختلاط العقل كالوجه فانه أيضا عرضة الآفات وفيه الاعضاء الشريفة اللطيفة وللشافعي ان يقول انما يحترم الوجه لما جاء في الحديث ان الله تعالى خلق آدم على صورته وهذا المعنى مفقود في الرأس ولتكن اقامة الحد في وقت اعتدال الهواء الا اذا كان رجما فان المقصود وهو قتله لا يتفاوت بذلك ولهذا يرجم المريض ايضا في مرضه وقيل ان كان مرضا يرجى برؤه يؤخر كما في الجلد لانه ربما رجع عن اقراره في حال الرجم وقد أثر الرجم في بدنه فتعين شدة الحر والبرد مع المرض على اهلاكه وهذا بخلاف ما ثبت بالبينة لانه لا تسقط وفي الجلد ان كان المرض مما لا يرجى زواله كالسل والزمانة فلا يؤخر سواء زنى في حال الصحة أو في حال المرض ولكن لا يضرب بالسياط عند الشافعي لان المقصود ليس موته بل يضرب بعثكال عليه مائة شمراخ كما روي ان معقدا أصاب امرأة فامر النبي صلى الله عليه وسلم فاخذوا مائة شمراخ فضربوها ضربة واحدة والاثكال والعثكال الغصن الذي عليه فروع خفيفة من النخل أو من غيره وعند أبي حنيفة يضرب بالسياط ثم ان ثبت الزنا باقراره فمتى رجع ترك وقع به بعض الحد أو لم يقع وبه قال أبو حنيفة والشافعي والثوري وأحمد واسحق لان ماعز لما مسته الحجارة هرب فقال صلى الله عليه وسلم هلا تركتموه وعن الحسن وابن أبي ليلى وداود أنه

---

أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لا برهان له به قال بينة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لا برهان له به قال حجة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن ابي بزة عن مجاهد في قوله لا برهان له به قال لا حجة وقوله فانما حسابه عند ربه يقول فانما حساب عمله السيء عند ربه وهو موفيه جزاءه اذا قدم عليه انه لا يفلح الكافرون يقول انه لا ينجو أهل الكفر بالله عنده ولا يدركون الخلود والبقاء في النعيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد رب استر علي ذنوبي بعفوك عنها وارحمني بقبول توبتك وتركك عقابي على ما اجترمت وأنت خير الراحمين يقول وقل وأنت يا رب خير من رحم ذا ذنب فقبل توبته ولم يعاقبه على ذنبه آخر تفسير سورة المؤمنين

*(تفسير سورة النور)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

۞ القول في تأويل قوله تعالى (سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون) قال أبو جعفر يعني بقوله تعالى ذكره سورة أنزلناها وهذه السورة أنزلناها وانما قلنا معنى ذلك كذلك لان العرب لا تكاد تبتدئ بالنكرات قبل أخبارها اذا لم تكن جوابا لأنها توصل كما يوصل الذي ثم يخبر عنها بخبر سوى الصلة فيستقبح الابتداء بها قبل الخبر اذا لم تكن موصولة اذ كان يصير خبرها اذا ابتدئ بها كالصلة لها ويصير السامع خبرها كالمتوقع خبرها بعد اذ كان الخبر عنها بعدها كالصلة لها واذا ابتدئ بالخبر عنها قبلها لم يدخل الشك على سامع الكلام في مراد المتكلم وقد بينا فيما مضى قبل ان السورة وصف لما ارتفع بشواهده فاغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله وفرضناها فان القراء اختلفت في قراءته فقرأته بعض قراء الحجاز والبصرة وفرضناها ويتأولونه وفصلناها وأنزلناها فرائض مختلفة وكذلك كان مجاهد يقرؤه ويتأوله **حدثني** أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا ابن مهدي عن عبد الوارث بن سعيد عن جميد عن مجاهد انه كان يقرؤها وفرضناها يعني بالتشديد **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وفرضناها قال الامر بالحلال والنهي عن الحرام **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقد يحتمل ذلك اذا قرئ بالتشديد وجها غير الذي ذكرنا عن مجاهد وهو ان يوجه الى ان معناه وفرضناها عليكم وعلى من بعدكم من الناس الى قيام الساعة وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة والشام وفرضناها بتخفيف الا بمعنى أوجبناها فيهما من الاحكام عليكم وألزمناكموه وبيناه ذلك لكم * والصواب من القول في ذلك انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل

لا يقبل رجوعه ويحفر للمرأة الى صدرها حتى لا تنكشف وترمى الباقى ولا يحفر للرجل كما فى حق ماعز اذا كان فى الحفر لم يمكنه الهرب
وما روى أبو سعيد الخدرى فى قصته فما أوثقناه ولا حفرنا له واذا مات الزانى فى الحد يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين
ومن تغليظات حد الزنا قوله سبحانه وليشهد ظاهره أمر للوجوب الا أن الفقهاء أجمعوا على ان حضور الجمع مستحب والمقصود اعلان
اقامة الحد لما فيه من مزيد الردع ولما فيه من دفع التهمة عمن يجلد وفى لفظ العذاب دليل على انه عقوبة لا استصلاح الا أن يراد بالعذاب ما يمنع
من المعاودة كالنكال وقد مر فى أول (٤٦) البقرة فى قوله ولهم عذاب عظيم ومعنى الطائفة قد مر فى التوبة فقال النخعى ومجاهد

هى فى الآية واحد وعن عطاء وعكرمة اثنان وعن الزهرى وقتادة ثلاثة وقال ابن عباس والشافعى أربعة بعدد شهود الزنا وعن الحسن عشرة لانها أول عقد وجوز ابن عباس الى أربعين رجلا من المصدقين بالله وحضور الامام والشهود ليس بلازم عند الشافعى ومالك لانه صلى الله عليه وسلم لم يحضر رجم ماعز والغامدية وقال أبو حنيفة ان ثبت بالبينة وجب على الشهود ان يبدؤا بالرجم ثم الامام ثم الناس وان ثبت باقراره بدأ الامام ثم الناس ثم ذكر شيأ من خواص الزناة فقال الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة وهو خبر فى معنى النهى كقراءة عمر وابن عبد لا ينكح بالجزم ويجوز أن يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية بذلك وفى الآية أسئلة الاول كيف قدمت الزانية على الزانى فى الآية المتقدمة وعكس الترتيب فى هذه والجواب ان تلك الآية مسوقة لبيان عقوبتهما على جنايتهما وكانت المرأة أصلا فيها لانها هى التى أطمعت الرجل فى ذلك وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل هو الاصل فى الرغبة والخطبة والثانى ما الفرق بين الجملتين فى الآية والجواب معنى الاولى صفة الزانى بكونه غير راغب فى العفائف ولكن فى الفواحر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير المغيرة مرغوب فيها الاعفاء ولكن الزناة وهما معنيان مختلفان لانه لا يلزم عقلا من كون الزانى كذلك أن يكون حال الزانية منحصرة فى ذلك فاخبره الله تعالى بالجملة الثانية عن هذا الانحصار الثالث انا نرى الزانى قد ينكح المؤمنة العفيفة والزانية قد ينكحها المؤمن العفيف وأيضا المؤمن قد يحل له التزوج بالمرأة الزانية الجواب المفسرين فيه وجوه أحدها وهو الاحسن قول الفقال ان اللفظ وان كان عاما الا أن المراد منه الاعم الاغلب وذلك أن الفاسق الخبيث الذى من شأنه الزنا والتقحب لا يرغب غالبا فى نكاح الصالحة من النساء وانما يرغب فى فاسقة جيئة من

واحدة منهما علما من القراء فايتهما قرأ القارئ فصيب وذلك ان الله قد فصلها وأنزل فيها ضروبا من الاحكام وأمر فيها ونهى وفرض على عباده فيها فرائض ففيها المعنيان كلاهما التغريض والفرض فلذلك قلنا بأية القراءتين قرأ القارئ فصيب الصواب ذكر من تأول ذلك بمعنى الفرض والبيان من أهل التأويل **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وفرضناها يقول بيناها **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سورة أنزلناها وفرضناها قال فرضناها لهذا الذى يتلوها مما فرض فيها وقرأ فيها آيات بينات لعلكم تذكرون وقوله وأنزلنا فيها آيات بينات يقول تعالى ذكره وأنزلنا فى هذه السورة علامات ودلالات على الحق بينات يعنى واضحات لمن تأملها وفكر فيها بعقل انها من عند الله فانها الحق المبين وانها تهدى الى الصراط المستقيم كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وأنزلنا فيها آيات بينات قال ابن جريج الحلال والحرام والحدود لعلكم تذكرون يقول لتتذكروا بهذه الآيات البينات التى أنزلناها ﴿القول فى تأويل قوله تعالى (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) يقول تعالى ذكره من زنى من الرجال أو زنت من النساء وهو حر بكر غير محصن بزوج فاجلدوه ضربا مائة جلدة عقوبة لما صنع وأتى من معصية الله ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله يقول تعالى ذكره لا تأخذكم بالزانى والزانية أيها المؤمنون رأفة وهى رقة الرحمة فى دين الله يعنى فى طاعة الله فيما أمركم به من اقامة الحد عليهما على ما ألزمكم به واختلف أهل التأويل فى المنهى عنه المؤمنون من أخذ الرأفة بهما فقال بعضهم هو ترك اقامة حد الله عليهما فاما اذا أقيم عليهما الحد فلم تأخذهم بهما رأفة فى دين الله ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو هاشم قال ثنا يحيى بن أبى زائدة عن نافع عن عمر عن ابن أبى مليكة عن عبد الله بن عبد الله قال جلد ابن عمر جارية له أحدثت فجلدها قال نافع وحسبت أنه قال وطهرها فقلت ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله فقال وأخذنى بهما رأفة ان الله لم يأمرنى أن أقتلها **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن جريج قال سمعت عبد الله بن أبى مليكة يقول ثنى عبد الله بن عبد الله أن عبد الله بن عمر جلد جارية له فقال للجالد وأشار الى وجلها والى أسفلها قلت فأين قول الله ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله قال أفاقتلها **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله قال ان تقيم الحد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج بهما رأفة فى دين الله قال لا تضيعوا حدود الله قال ابن جريج وقال مجاهد لا تأخذكم بهما رأفة لا تضيعوا الحدود فى أن تقيموها وقالها عطاء بن أبى رباح ثنا أبو هاشم قال ثنا عبد الملك وحجاج عن عطاء ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله قال يقام حد الله ولا يعطل وليس بالقتل **حدثنا** ابن المثنى قال ثنى محمد بن فضيل عن داود عن سعيد بن جبير قال الجلد ثنى عبيد بن اسمعيل الهبارى قال ثنا محمد بن فضيل عن

شكله أو في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة لا يرغب في نكاحها الصلحاء في الاغلب وانما يرغب فيها أشكالها من الفسقة أو المشركين نظير هذا الكلام قول القائل لا يفعل الخير الا الرجل التقي وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقي وأما المحرم على المؤمنين فصرف الرغبة بالكلية الى الزواني وترك الرغبة في الصالحات لانخراطهم بسبب هذا الحصر في سلك الفسقة المتسمين بالزنا الوجه الثاني أن الالف واللام في قوله الزاني وفي قوله المؤمنين للعهد روى مجاهد وعطاء بن أبي رباح وقتادة أنه قدم المهاجرون المدينة وليست لهم أموال ولا عشائر وبها نساء يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة فكل واحدة منهن علامة على بابها يتعرف بها وكان لا يدخل عليها الا زان أو مشرك فرغب فيهن ناس من فقراء المسلمين وقالوا نتزوج بهن الى أن يغنينا الله عنهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية والتقدير أولئك الزواني لا ينكحون الا تلك الزانيات وتلك الزانيات لا ينكحها الا أولئك الزواني وحرم نكاحهن باعيانهن على المؤمنين الوجه الثالث ان هذا خبر في معنى النهي كأنه قيل وهكذا كان الحكم في ابتداء الاسلام ثم قيل ان ذلك الحكم باق الى الآن حتى يحرم على الزاني والزانية التزوج بالعفيفة والعفيف وبالعكس ويقال هذا مذهب أبي بكر وعمر وعلي وابن مسعود وعائشة ثم في هؤلاء من يسوي بين الابتداء والدوام فيقول كما لا يحل للمؤمن ان يتزوج بالزانية فكذلك اذا زنت تحته لا يحل له ان يقيم عليها ومنهم من يفصل لان في جملة ما منع من التزوج ما لا يمنع من دوام النكاح كالاحرام والعدة وقيل انه صار منسوخا اما بالاجماع وهو قول سعيد بن المسيب وزيف بان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به واما بعموم قوله وأنكحوا الايامى فانكحوا ما طاب لكم وهو قول الجبائي وضعف بان ذلك العام مشروط بعدم الموانع السببية والنسبية وليكن هذا المانع أيضا من جملتها وسئل ابن عباس عن ذلك فاجازه وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال الوجه الرابع قول أبي مسلم ان النكاح محمول على الوطء وذلك اشارة الى الزنا أي وحرم الزنا على المؤمنين قال الزجاج هذا التأويل فاسد من جهة أن النكاح في كتاب الله لم يرد الا بمعنى التزويج ومن جهة انه يخرج الكلام عن الفائدة اذ لا معنى لقول القائل الزاني لا يطأ الا الزانية حتى يكون وطؤه زنى ولو أريد حين التزويج فالاشكال عائد لان الزاني قد يطأ العفيفة حين يتزوج بها الحكم الثاني من أحكام السورة حد القذف والزنى قد يكون بالزنا وبغيره كالكفر والسرقة

---

المغيرة عن ابراهيم في قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال الضرب **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت عمران قال قلت لابي مجلز الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما الى قوله واليوم الآخر انا نرحم أن يجلد الرجل حدا أو تقطع يده قال انما ذاك انه ليس للسلطان اذا رفعوا اليه أن يدعهم رحمة لهم حتى يقيم الحد **ثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال لا تقام الحدود **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تأخذكم بهما رأفة فتدعوهما من حدود الله التي أمر بها وافترضها عليهما قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران انه سأل سليمان بن يسار عن قول الله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله أي في الحدود أو في العقوبة قال ذلك فيهما جميعا **حدثنا** عمرو بن عبد الحميد الاملي قال ثنا يحيى بن زكريا عن عبد الملك ابن أبي سليمان عن عطاء في قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال أن يقام حد الله ولا يعطل وليس بالقتل **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عامر في قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال الضرب الشديد وقال آخرون بل معنى ذلك ولا تأخذكم بهما رأفة فتخففوا الضرب عنهما ولكن أوجعوهما ضربا ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا يحيى بن أبي بكر قال ثنا أبو جعفر عن قتادة عن الحسن وسعيد بن المسيب ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال الجلد الشديد قال **حدثنا** محمد بن جعفر عن شعبة عن حماد قال يجد القاذف والشارب وعليهما ثيابهما وأما الزاني فتخلع ثيابه وتلا هذه الآية ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله فقلت للحكم أهذا في الحكم قال في الحكم والحد **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري قال يجتهد في حد الزاني والفرية ويخفف في حد الشرب وقال قتادة يخفف في الشراب ويجتهد في الزاني *وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك ولا تأخذكم بهما رأفة في اقامة حد الله عليهما الذي افترض عليكم اقامته عليهما وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب لدلالة قول الله بعده في دين الله يعني في طاعة الله التي أمركم بها ومعلوم أن دين الله الذي أمر به في الزانيين اقامة الحد عليهما على ما أمر من جلد كل واحد منهما مائة جلدة مع أن الشدة في الضرب لا حد لها يوقف عليه وكل ضرب أوجع فهو شديد وليس للذي يوجع في الشدة حد لا زيادة فيه فيؤمر به وغير جائز وصفه جل ثناؤه بانه أمر بما لا سبيل للمأمور به الى معرفته واذا كان ذلك كذلك فالذي للمأمورين الى معرفته السبيل هو عدد الجلد على ما أمر به وذلك هو اقامة الحد على ما قلنا والعرب في الرأفة لغتان الرأفة بتسكين الهمزة والرآفة بمدها كالسآمة والسامة والكآبة والكابة وكان الرآفة المرة الواحدة والرآفة المصدر كما قيل ضؤل نآلة مثل فعل فعالة وقبح قباحة وقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر يقول ان كنتم تصدقون بالله ربكم وباليوم الآخر فيه مبعوثون لحشر القيامة وللثواب والعقاب فان من كان بذلك مصدقا فانه لا يخالف الله في أمره ونهيه خوف عقابه على معاصيه وقوله

وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين يقول تعالى ذكره وليحضر جلد الزانيين البكرين وحدهما اذا أقيم عليهما طائفة من المؤمنين والعرب تسمي الواحد فما زاد طائفة وقوله من المؤمنين يقول من أهل الايمان بالله ورسوله وقد اختلف أهل التأويل في مبلغ عدد الطائفة الذي امر الله بشهود عذاب الزانيين فقال بعضهم أقله واحد ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفين عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الطائفة رجل **حدثنا** علي بن سهل بن موسى بن اسحق الكناني وابن القواس قالا ثنا يحيى بن عيسى عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة رجل قال علي فما فوق ذلك وقال ابن القواس فاكثر من ذلك **حدثنا** علي قال ثنا زيد عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الطائفة رجل **حدثنا** يعقوب قال ثنا ابن علية قال قال ابن أبي نجيح وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال مجاهد أقله رجل **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن مجاهد في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة الواحد الى الالف **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن مجاهد في هذه الآية وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة واحد الى الالف وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما **حدثنا** ابن المثنى قال ثني وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن مجاهد قال الطائفة الرجل الواحد الى الالف قال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما انما كانا رجلين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال سمعت عيسى بن يونس يقول ثنا النعمان بن ثابت عن حماد وابراهيم قال الطائفة رجل ثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة رجل واحد فما فوقه وقال آخرون أقله في هذا الموضع رجلان ذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبي نجيح في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال قال عطاء أقله رجلان **حدثني** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عمرو بن عطاء عن عكرمة قال ليحضر رجلان فصاعدا وقال آخرون أقل ذلك ثلاثة فصاعدا ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن ابن أبي ذئب عن الزهري قال الطائفة الثلاثة فصاعدا **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال نفر من المسلمين **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثني** أبو السائب قال ثنا حفص بن غياث قال ثنا أشعث عن أبيه قال أتيت أبا برزة الاسلمي في حاجة وقد أخرج جارية الى باب الدار وقد زنت فدعا رجلا فقال اضربها خمسين فدعا جماعة ثم قرأ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين **حدثنا** أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى عن أشعث عن أبيه ان أبا برزة أمر ابنه أن يضرب جارية له ولدت من الزنا ضربا غير

ويشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ذكر من قال ذلك ذكر الرواية بما قلنا في ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفين عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الطائفة رجل **حدثنا** علي بن سهل بن موسى بن اسحق الكناني وابن القواس قالا ثنا يحيى بن عيسى عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة رجل قال علي فما فوق ذلك وقال ابن القواس فاكثر من ذلك **حدثنا** علي قال ثنا زيد عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الطائفة رجل **حدثنا** يعقوب قال ثنا ابن علية قال قال ابن أبي نجيح وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال مجاهد أقله رجل **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن مجاهد في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة الواحد الى الالف **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن مجاهد في هذه الآية وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة واحد الى الالف وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما **حدثنا** ابن المثنى قال ثني وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن مجاهد قال الطائفة الرجل الواحد الى الالف قال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما انما كانا رجلين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال سمعت عيسى بن يونس يقول ثنا النعمان بن ثابت عن حماد وابراهيم قال الطائفة رجل ثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة رجل واحد فما فوقه وقال آخرون أقله في هذا الموضع رجلان ذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبي نجيح في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال قال عطاء أقله رجلان **حدثني** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عمرو بن عطاء عن عكرمة قال ليحضر رجلان فصاعدا وقال آخرون أقل ذلك ثلاثة فصاعدا ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن ابن أبي ذئب عن الزهري قال الطائفة الثلاثة فصاعدا **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال نفر من المسلمين **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثني** أبو السائب قال ثنا حفص بن غياث قال ثنا أشعث عن أبيه قال أتيت أبا برزة الاسلمي في حاجة وقد أخرج جارية الى باب الدار وقد زنت فدعا رجلا فقال اضربها خمسين فدعا جماعة ثم قرأ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين **حدثنا** أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى عن أشعث عن أبيه ان أبا برزة أمر ابنه أن يضرب جارية له ولدت من الزنا ضربا غير

وشرب الخمر الآن العلماء أجمعوا على أن المراد به في الآية هو الرمي بالزنا بالقرائن منها تقدم ذكر الزنا ومنها ذكر المحصنات ومن المنافقين ومنها قوله لم يأتوا بأربعة شهداء أي على صحة ما رموها به ومعلوم ان هذا العدد من الشهود غير مشروط الا في الزنا والقذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان والفاظ القذف تنقسم الى صريح وكناية وتعريض فالصريح ان يقول يا زانية أو زنيت أو زنى قبلك أو دبرك والاصح ان قوله زنى بذنك صريح لان الفعل لكل البدن والفرج آلة والكناية ان يقول يا فاسقة يا فاجرة يا خبيثة يا بنت الحرام أو ما أشبه ذلك والتعريض ان يقول لست بزان ولا أمي بزانية وهذا قول الشافعي وأبي حنيفة وأصحابه وقال مالك يجب الحد فيه وقال أحمد وإسحق هو قذف في حال الغضب دون حال الرضا لنا ان الاصل براءة الذمة فلا يرجع عنه بالشك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات والايذاء الحاصل بالتصريح فوق الايذاء الحاصل بالتعريض بحجة المخالف ما روي ان رجلين استبا في زمن عمر بن الخطاب فقال أحدهما للآخر والله ما أبي بزان ولا أمي بزانية فاستشار عمر الناس في ذلك فقال قائل مدح أباه وأمه وقال آخرون قد كان لابيه وأمه مدح غير هذا فجلده عمر ثمانين واذا قذف شخصا واحدا مرارا فان أراد بكل زنية واحدة كما لو قال مرارا زنيت بعمرو لم يجب الا حد واحد ولو انشأ الثاني بعد ما حد للاول عزر للثاني وان أراد زنيات مختلفة كأن قال زنيت بزيد وزنيت بعمر وقلنا الاصح تداخل الحدود لانها حدان من جنس واحد فصار كما لو قذف زوجته مرارا يكتفي بلعان واحد واذا قذف جماعة بكلمات أو بكلمة واحدة كأن قال يا ابن الزانيين فعليه حدان لانه قذف لكل واحد من أبويه هذا هو الجديد من قولي الشافعي وعند أبي حنيفة لا يجب الا حد واحد لان قوله والذين يرمون المحصنات معناه كل من رمى جماعة من المحصنات فاجلدوه ثمانين ولانه صلى الله عليه وسلم قال لهلال بن أمية أو حد في ظهرك لم يوجب عليه الا حدا واحدا مع قذفه لامرأته ولشريك بن سحماء وللعباس على من زنى مرارا أو شرب أو سرق مرارا والجامع رفع مزيد الضرر وأجيب بان قوله والذين صيغة جمع وقوله المحصنات كذلك واذا قوبل الجمع بالجمع يقابل الفرد بالفرد فيصير المعنى كل من رمى محصنة فاجلدوه وفيه ان رمي المحصنة علة الجلد فحيث وجدت وجد ولا شك ان هذه العلة موجودة عند رمي كل واحدة

من المحصنات فيتعين عليها الجلد لا محالة وأما السنة فلانصاف ان دلالتها على المطلوب قوية وأما القياس فالفرق ان هذا حق الآدمي وذلك حقوق الله تعالى هذا كله هو البحث عن الرمي وأما البحث عن الرامي فنقول لا عبرة بقذف الصبي والمجنون الا في باب التعزير للتأديب ان كان لهما تمييز ولو لم يتفق اقامة التعزير على الصبي حتى بلغ قال القفال يسقط التعزير لانه كان للزجر والعقل زاجر قوي واشارة الاخرس وكتابته قذف ولعان عند الشافعي قياسا على سائر الاحكام ولانه كاف في لحوق العار وعند أبي حنيفة لا يصح قذفه ولعانه لضعف تأثيرهما واذا قذف العبد حرا فعليه أربعون جلدة قاله مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابه (٤٩) على قانون قوله فعليهن نصف ما على المحصنات

مبرح قال فالق عليها ثوبا وعنده قوم وقر أو ليشهد عذابهما الآية وقال آخرون بل أقل ذلك أربعة ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال فقال الطائفة التي يجب بها الحد أربعة * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال أقل ما ينبغي حضور ذلك من عدد من المسلمين الواحد فصاعدا وذلك ان الله عم بقوله وليشهد عذابهما طائفة والطائفة قد تقع عند العرب على الواحد فصاعدا فاذ كان ذلك كذلك ولم يكن الله تعالى ذكره وضع دلالة على أن مراده من ذلك خاص من العدد كان معلوما ان حضور ما وقع عليه أدنى اسم الطائفة ذلك المحصر مخرج مقيم الحد مما أمره الله به بقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين غير اني وان كان الامر على ما وصفت استحب أن لا يقصر بعدد من يحضر ذلك الموضع عن أربعة أنفس عدد من تقبل شهادته على الزنى لان ذلك اذا كان كذلك فلا خلاف بين الجميع انه قد أدى المقيم الحد ما عليه في ذلك وهم فيما دون ذلك مختلفون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم نزلت هذه الآية في بعض من استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح نسوة كن معروفات بالزنا من أهل الشرك وكن أصحاب رايات يكرين أنفسهن فانزل الله تحريمهن على المؤمنين فقال الزاني من المؤمنين لا يتزوج والزانية ٧ من أولئك البغايا الا زانية أو مشركة لانهن كذلك والزانية من أولئك البغايا لا ينكحها الا زان من المؤمنين أو المشركين أو مشرك مثلها لانهن كن مشركات وحرم ذلك على المؤمنين فحرم الله نكاحهن في قول أهل هذه المقالة بهذه الآية ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال ثني الحضرمي عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمر وان رجلا من المسلمين استأذن نبي الله في امرأة يقال لها ام مهزول كانت تسافح وتشترط له أن تنفق عليه وانه استأذن فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم وذكر له أمرها قال فقرأ نبي الله صلى الله عليه وسلم الزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك أو قال فانزلت الزانية **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن التيمي عن القاسم ابن محمد عن عبد الله بن عمر وقوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال كن نساء معلومات قال فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوج المرأة منهن لتنفق عليه فنهاهم عن ذلك قال أخبرنا سلمان التيمي عن سعيد بن المسيب قال كن نساء موارد بالمدينة **حدثنا** أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر قال سمعت أبي قال ثنا قتادة عن سعيد بن المسيب في هذه الآية الزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال نزلت في نساء موارد كن بالمدينة **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عمرو بن عاصم الكلابي قال ثنا معتمر عن أبيه عن قتادة عن سعيد بنحوه **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن رجل عن عمرو بن شعيب قال كان لمرثد صديقة في الجاهلية يقال لها عناق وكان رجلا

من العذاب وعند الشيعة ويروى عن علي رضي الله عنه أنه يجلد ثمانين أخذا بعموم الآية ولهذا اتفقوا على دخول الكافر فيه حتى لو قذف اليهودي مسلما جلد ثمانين ويستثنى من الرماة الاب أو الجد اذا قذف أولاده أو احفاده فانه لا يجب عليه الحد كما لا يجب عليه القصاص وأما البحث عن المرمى فالمحصنات العفائف لانهن منعن فرجهن الا من زوجهن وهي عامة الا أن الفقهاء اعتبروا لكونها محصنة شرائط خمسا الاسلام لقوله صلى الله عليه وسلم من أشرك بالله فليس بمحصن والعقل والبلوغ لان المجنون والصبي لا اهتمام لهما بدفع العار عن أنفسهما والحرية لمثل ما قلنا والعفة لان الحد شرع لتكذيب القاذف فاذا كان صادقا فلا معنى للحد حتى لو زنى مرة في عنفوان شبابه ثم تاب وحسنت حاله لم يحد قاذفه بخلاف ما لو زنى في حال صغره أو جنونه ثم بلغ أو أفاق فقذفه قاذف فانه يحد لان فعل الصبي والمجنون لا يكون زنا ولو زنى بعد القذف وقبل اقامة الحد على القاذف سقط الحد عن قاذفه قاله أبو حنيفة والشافعي لان ظهور الزنا منه خرش ظن الاحصان



به وقت القذف ودل على انه كان متصفا به قبله كما روي ان رجلا زنى في عهد عمر فقال والله ما زنيت الا هذه فقال عمر كذبت ان الله لا يفضح عبده في أول مرة وقال أحد والمزني وأبو ثور الزنا الطارئ لا يسقط الحد عن القاذف ولفظ المحصنات لا يتناول الرجال عند جمهور العلماء الا أنهم أجمعوا على انه لا فرق في هذا الباب بين المحصنين والمحصنات والقذف بغير الزنا كأن يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق وكذا قذف غير المحصنين بالزنا لا يوجب الا التعزير ولو كان المقذوف معروفا بما ذكره فلا تعزير أيضا واعلم أنه سبحانه حكم على القاذف اذا لم يات بار بعة شهداء ثلاثة أحكام جلد ثمانين وبطلان الشهادة

والحكم بفسقه الى أن يتوب فذهب جمع من الائمة كالشافعي والليث بن سعد الى أنه رتب على القذف مع عدم الاتيان بالشهداء الاربعة أمورا ثلاثة معطوفة بعضها على بعض بالواو وهو لا يفيد الترتيب فوجب أن لا يكون رد الشهادة مرتبا على اقامة الحد بل يجب ان يثبت رد الشهادة بالقذف مع عدم البينة سواء أقيم عليه الحد أم لا وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابه شهادته مقبولة مالم يحد فاذا استوفى لم تقبل شهادته وانما ذهب الى هذا نظرا الى ظاهر الترتيب مع موافقته للاصل وهو كونه مقبول الشهادة مالم يطرأ مانع ولقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محدودا (٥٠) في قذف أخبر ببقاء عدالته مالم يحد أما الاستثناء في قوله الا الذين تابوا فانه لا يرجع الى الجملة الاولى اتفاقا لانه اذا عجز عن البينة وهو الاتيان بأربعة شهداء وجب عليه الجلد ولم يكن للامام ولا للمقذوف ان يعفو عن القاذف لانه خالص حق الله عز وجل ولهذا لا يصح ان يصالح عنه بمال هذا قول أبي حنيفة وأصحابه وقال الشافعي اذا عجز عن البينة وجب على الامام وهو المخاطب بقوله فاجلدوهم ان يأمر بجلده وان تاب لان القذف حده حق الآدمي والمغلب فيه حقه فليس للامام ان يعفو عنه ولا خلاف في رجوع الاستثناء الى الجملة الاخيرة وان المراد انهم محكوم عليهم بالفسق الا ان تابوا بقي الخلاف في رجوع الاستثناء الى الجملة المتوسطة ومنشأ الخلاف مسئلة أصولية هي ان الاستثناء بعد جمل معطوف بعضها على بعض للجميع وهو مذهب الشافعية أو للاخيرة وهو مذهب الحنفية ويتفرع على مذهب الشافعي ان القاذف اذا تاب وحسنت حاله قبلت شهادته فيكون الابد مصروفا الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف ويتفرع على مذهب أبي حنيفة انه لم تقبل شهادته وان تاب والابد عنده مدة حياته وقوله وأولئك هم الفاسقون جملة مستأنفة عنده لا معطوفة لانها خبرية وما قبلها طلبية ولو سلم انها معطوفة فالاستثناء يرجع لا اليها فقط قال صاحب الكشاف حق المستثنى عند الشافعي ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند أبي حنيفة ان يكون منصوبا بالا نه عن موجب قلت حقه عند الامامين ان يكون منصوبا بالا ان الاستثناء يعود عند الشافعي الى الجملتين ولا يمكن ان يكون الاسم الواحد معربا باعرابين مختلفين في حالة واحدة لكنه يجب نصبه نظرا الى الاخيرة فتعين نصبه نظرا الى ما قبلها أيضا وان جاز البدل في غير هذه المادة هذا وقد احتجت الشافعية أيضا في قبول شهادة القاذف بعد التوبة بقوله صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له واذا كانت التوبة

شديدا وكان يقال له ودك وكان باقي مكة فيحمل ضعفة المسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى صديقته فدعته الى نفسها فقال ان الله قد حرم الزنا فقالت أفي تبرز فحشي ان تشيع عليه فرجع الى المدينة فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كانت لي صديقة في الجاهلية فهل ترى لي نكاحها قال فانزل الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك فانهن كن نساء معلومات يدعون القلبقيات **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن ابراهيم بن مهاجر قال سمعت مجاهدا يقول في هذه الآية الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قال كن بغايا في الجاهلية **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن عبد الملك عن أخبره عن مجاهد نحوا من حديث ابن المثنى الا انه قال كانت امرأة منهن يقال لها أم مهزول يعني في قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قال فكن نساء معلومات قال فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوج المرأة منهن لتنفق عليه فنهاهم الله عن ذلك هذا في حديث التيمي **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله الزاني لا ينكح الا زانية قال رجال كانوا يريدون الزنى بنساء زوان بغايا متعالمات كن في الجاهلية فقيل لهم هذا حرام فاراد وا نكاحهن فحرم الله عليهم انكاحهن **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا انه قال بغايا معلنات كن كذلك في الجاهلية **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن هشام بن عروة عن أبيه واسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي وابن أبي ذئب عن شعبة عن ابن عباس قال كن بغايا في الجاهلية على أبوابهن رايات مثل رايات البيطار يعرفن به **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن قيس ابن سعد عن عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس قال نساء بغايا متعالمات حرم الله نكاحهن لا ينكحهن الا زان من المؤمنين أو مشرك من المشركين **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قال كانت بيوت تسمى المواجير في الجاهلية وكانوا يؤاجرون فيها فتياتهن وكانت بيوتا معلومة للزنا لا يدخل عليهن ولا ياتهن الا زان من أهل القبلة أو مشرك من أهل الاوثان فحرم الله ذلك على المؤمنين **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن جريج عن عطاء في قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال بغايا متعالمات كن في الجاهلية بغي آل فلان وبغي آل فلان فانزل الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين فحكم الله بذلك من أمر الجاهلية على الاسلام فقال له سليمان بن موسى أبلغك ذلك عن ابن عباس فقال نعم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سمعت عطاء بن أبي رباح يقول في ذلك كن بغايا متعالمات بغي آل فلان وبغي آل فلان وكن زوانى مشركات فقال الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية

من الكفر والزنا والقتل مع خلطها مقبولة فلان تقبل من القذف أولى وأيضا ان أبا حنيفة يقبل شهادته قبل الحد فبعده وقد تاب وحسن حاله أولى وأيضا الكافر يقذف فيتوب من الكفر فتقبل شهادته بالاجماع فالقاذف المسلم اذا تاب من القذف كان أولى بان تقبل شهادته لان القذف مع الاسلام أهون حالا من القذف مع الكفر لا يقال المسلمون لا يعيبون بسبب الكفار لاشتهارهم بعداوتهم والطعن فيهم فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر عار حادث بخلاف ما لو قذفه مسلم وأيضا الايمان يجب ما قبله وبهذا يلزم الحد بعد التوبة من الكفر ويلزم بعد التوبة من القذف لانا نقول هذا الفرق ملغى فى أهل الذمة لقوله صلى الله (٥١) عليه وسلم لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين واحتجت الحنفية فى عدم قبول شهادته بما روى ابن عباس فى قصة هلال بن امية يجلد هلال وتبطل شهادته فى المسلمين ولم يشترط التوبة ومثله قوله صلى الله عليه وسلم المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محدود فى قذف ولم يذكر التوبة وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجوز شهادة محدود فى الاسلام والشافعية عارضوا هذه الحجج بوجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم اذا علمت مثل الشمس فاشهد فاذا علم المحدود وجبت عليه الشهادة ولو لم يقبل كان عبثا ومنها قوله نحن نحكم بالظاهر وههنا قد ظهرت العفة والصلاح ومنها ان عمر بن الخطاب ضرب الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة وهم أبو بكرة ونافع ونفيع ثم قال لهم من أكذب نفسه قبلت شهادته فاكذب نافع ونفيع أنفسهما وتابا فكان يقبل شهادتهما وقد بقى فى الآية مسائل الاولى قال الشافعى لافرق بين ان يجىء الشهود متفرقين أو مجتمعين وقال أبو حنيفة اذا جاؤا متفرقين لم يثبت وعليهم حد القذف كما لو شهد على الزنا أقل من أربعة حجة الشافعى ان الآتى بالشهداء متفرقين آت بمقتضى النص واجتماعهم أمر زائد لا اشعار به فى الآية وأيضا القياس على سائر الاحكام بل تفريقهم أولى لانه أبعد عن التهمة والتواطؤ وكذلك يفعل القاضى فى كل حكم سواء عند الريبة وأيضا يجب ان يشهدوا معا فى حالة واحدة بل اذا اجتمعوا عند القاضى ويقوم واحد بعد آخر ويشهد جاز فكذا اذا اجتمعوا على بابه ويدخل واحد بعد آخر حجة أبى حنيفة الشاهد الواحد لما شهد قذفه ولم يات بار بعة شهداء فوجب عليه الحد فخرج عن كونه شاهدا ولا عبرة بتسميته شاهدا اذا فقد المسمى فلا خلاص عن هذا الاشكال الا باشتراط الاجتماع ونظيره ما روى ان المغيرة بن شعبة شهد عليه بالزنا عند عمر بن الخطاب أربعة أبو بكرة ونافع

لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قال أحكم الله من أمر الجاهلية بهذا قيل له أبلغك هذا عن ابن عباس قال نعم قال ابن جريج وقال عكرمة انه كان يسمى تسعا بعد صواحب الرايات وكن أكثر من ذلك ولكن هؤلاء أصحاب الرايات أم مهزول جارية السائب بن أبى السائب المخزومى وأم عليط جارية صفوان بن أمية وجنة القبطية جارية العاص بن وائل ومرية جارية مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار وحلالة جارية سهيل بن عمرو وأم سويد جارية عمرو بن عثمان المخزومى وسريفة جارية زمعة بن الاسود وفرسة جارية هشام بن ربيعة بن حبيب بن حذيفة بن جبل بن مالك بن عامر بن لؤى وقريبا جارية هلال بن أنس بن جابر بن ثعلبة بن غالب بن فهر **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقاله الزهرى وقتادة قالوا كانوا فى الجاهلية بغايا ثم ذكر نحوه **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن القاسم بن أبى بزة كان الرجل ينكح الزانية فى الجاهلية التى قد علم ذلك منها يتخذها مأكلة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة فنهوا عن ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح قال قال القاسم بن أبى بزة فذكر نحوه **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا سليمان التيمى عن سعيد بن المسيب قال كن نساء موارد بالمدينة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا عبد الملك بن أبى سليمان عن سعيد بن جبير ان نساء فى الجاهلية كن يؤاجرن أنفسهن وكان الرجل انما ينكح احداهن يريد أن يصيب منها عرضا فنهوا عن ذلك ونزل الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك ومنهن امرأة يقال لها أم مهزول **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن اسمعيل عن الشعبى فى قوله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال كن نساء يكرين أنفسهن فى الجاهلية *وقال آخرون معنى ذلك الزانى لا يزنى الا زانية أو مشركة والزانية لا يزنى بها الا زان أو مشرك قالوا ومعنى النكاح فى هذا الموضع الجماع ذكر من قال ذلك **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الاحوص عن حصين عن عكرمة عن ابن عباس فى قول الله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة قال لا يزنى الا بزانية أو مشركة **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير انه قال فى هذه الآية والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال لا يزنى الزانى الا بزانية مثله أو مشركة **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن شبرمة عن سعيد بن جبير وعكرمة فى قوله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة قالا هو الوطء **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد عن معمر قال قال سعيد بن جبير ومجاهد الزانى

ونفيع وقال زياد وكان رابعهم رأيت رجليها على عاتقه كاذني حمار ولا أدري ما وراء ذلك فجلد عمر الثلاثة ولم يسأل هل معهم شاهد آخر قلت وقبل بعد ذلك شهادة غيرهم لتوقف في الحد للاحتياط الثانية جوز أبو حنيفة أن يكون زوج المقذوفة واحدا من الشهداء الاربعة وأباه الشافعي الثالثة قال الشافعي في أحد قوليه اذا أتى بأربعة فساق فهم قذفة يجب عليهم الحد كما يجب على القاذف الاول وقال أبو حنيفة لا حد عليهم ولا على القاذف لانه أتى بأربعة من أهل الشهادة الا أن الشرع لم يعتبر شهادتهم فكما اعتبرنا التهمة في نفي الحد عن المشهود عليه فكذلك يجب اعتبارها في نفي الحد عنهم الرابعة لا يكفي في الشهادة اطلاق (٥٢) الزنا بل لا بد ان يذكروا التي زنى بها وان يذكروا الزنا مفصلا مفسرا فيقولوا رأيناه أدخل فرجه في فرجها كالمرود في المكحلة أو كالرشاء في البئر ولا بد مع ذلك من الوصف بالتحريم ولو أقر على نفسه بالزنا فهل يشترط التفسير والبيان فيه وجهان نعم كالشهود ولا كالقذف الخامسة قالوا أشد الحدود ضرب الزنا ثم شرب الخمر ثم القذف لان سبب عقوبته يحتمل الصدق والكذب الا أنه عوقب صيانة للاعراض السادسة حد القذف يورث عند مالك والشافعي بناء على أنه حق الآدمي وقد قال صلى الله عليه وسلم من ترك حقا فلورثته والاصح انه يرثه جميع الورثة وفي قول سوى الزوج والزوجة لان الزوجية ترفع بالموت ولان لحوق العار بهما أقل وعلى هذا القول اعترض أبو حنيفة بانه لو كان موروثا لكان للزوج والزوجة فيه نصيب السابعة اذا قذف انسان انسانا بين يدي الحاكم أو قذف امرأة برجل والرجل غائب فعلى الحاكم أن يبعث الى المقذوف ويخبره بان فلانا قد قذفك وثبت لك حد القذف عليه كما لو ثبت له حق على آخر وهو لا يعلمه يلزمه اعلامه وبهذا المعنى بعث النبي صلى الله عليه وسلم أنيسا ليخبرها بان فلانا قذفها بابنه ولم يبعثه ليتفحص عن زناها قال الشافعي وليس للامام اذا رمى رجل بالزنا ان يبعث اليه فيسأله عن ذلك لان الله تعالى

لا ينكح الا زانية أو مشركة قالا هو الوطء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن مسلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم وشعبة عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قالا لا يزني الزاني حين يزني الا بزانية مثله أو مشركة ولا تزني مشركة الا بمثلها **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال هؤلاء بغايا كن في الجاهلية والنكاح في كتاب الله الاصابة لا يصيبها الا زان أو مشرك لا يحرم الزنا ولا يصيب هو الا مثلها قال وكان ابن عباس يقول بغايا كن في الجاهلية **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن قيس بن سعد عن سعيد بن جبير قال اذا زنى بها فهو زان **حدثنا** علي قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قال الزاني من أهل القبلة لا يزني الا بزانية مثله أو مشركة قال والزانية من أهل القبلة لا تزني الا بزان مثلها من أهل القبلة أو مشرك من غير أهل القبلة ثم قال وحرم ذلك على المؤمنين وقال آخرون كان هذا حكم الله في كل زان وزانية حتى نسخه بقوله وأنكحوا الايامى منكم فاحل نكاح كل مسلمة وانكاح كل مسلم ذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب في قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قال يرون الآية التي بعدها نسختها وأنكحوا الايامى منكم قال فهن من أيامى المسلمين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال نسختها التي بعدها وانكحوا الايامى منكم وقال انهن من أيامى المسلمين **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال وذكر عن يحيى عن ابن المسيب قال نسختها وانكحوا الايامى منكم **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال نسختها قوله وانكحوا الايامى **حدثني** يونس قال أخبرنا أنيس بن عياض عن يحيى قال ذكر عند سعيد بن المسيب الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قال فسمعته يقول انها قد نسختها التي بعدها ثم قرأها سعيد قال يقول الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة ثم يقول الله وانكحوا الايامى منكم فهن من أيامى المسلمين * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال عنى بالنكاح في هذا الموضع الوطء وان الآية نزلت في البغايا المشركات ذوات الرايات وذلك لقيام الحجة على ان الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك وان الزاني من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الاوثان فمعلوم اذ كان ذلك كذلك انه لم يعن بالآية ان الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات ولا ينكح الا زانية أو مشركة واذ كان ذلك كذلك تبين أن معنى الآية الزاني لا يزني

الا

قال ولا تجسسوا ولا أرى له ذلك ان لم يكن القذف معينا كان قال الرجل بين يدي الحاكم للناس يقولون ان فلانا زنى فلا يبعث الحاكم اليه فيسأله الثامنة قال الشافعي توبة القاذف اكذابه نفسه وفسره الاصطخري بان يقول كذبت فيما قلت فلا أعود الى مثله وقال أبو حنيفة لا يقول كذبت لانه ربما يكون صادقا فيكون قوله كذبت كذبا والكذب معصية والاتيان بالمعصية لا يكون توبة عن معصية أخرى بل يقول القذف باطل وندمت على ما قلت ورجعت عنه ولا أعود اليه ولا بد من مضي مدة عليه في حسن الحال وهو المراد بقوله وأصلحوا وقدروا تلك المدة بسنة لان مرور

الفصول الاربعة كلها له تأثير في الطباع وان الشارع جعل السنة معتبرة في الزكاة والجزية وغيرهما أما قوله وأولئك هم الفاسقون ففيه دليل على ان القذف من جملة الكبائر وان الفاسق اسم من يستحق العقاب لانه لو كان مشتقا من فعله لكانت التوبة لا تمنع من دوامه كما لا تمنع من وصفه بانه ضارب الله وما أن يقال انما لا يطلق عليه هذا الاسم بعد التوبة للتعظيم كما لا يقال لا كابر الصحابة كافر لكفر سبق قالت الاشاعرة في قوله فان الله غفور رحيم دلالة على ان قبول التوبة لا يجب عليه والالم يفد المدح الحكم الثالث اللعان وسببه قذف الزوجات خاصة القذف أمر محظور في نفسه الا اذا عرض ما يباح أو يجب به وتفصيل  ذلك انه ان رآها الزوج بعينه تزني أو أقرت هي على نفسها أو وقع في قلبه صدقها أو سمع ممن يثق بقوله أو استفاض بين الناس ان فلانا يزني بفلانة وقدر آه الزوج يخرج من بيتها أو رآه معها في بيت أبيح له القذف لنا كدا التهمة ويجوز ان يمسكها او يستر عليها لما روى ان رجلا قال يا رسول الله ان لي امرأة لا ترد يد لامس قال طلقها قال اني أحبها قال فامسكها أما ان سمعه ممن لا يوثق بقوله أو استفاض ولكن لم ير الزوج معها أو بالعكس لم يحل له قذفها لانه ربما دخل لخوف أو سرقة أو لطلب فجور وأبت المرأة هذا كله اذا لم يكن ثمة ولد يريد نفيه فان كان ثمة ولد فان تيقن انه ليس منه بأن لم يكن وطئها أو وطئها لكنها أتت به لاقل من ستة أشهر من وقت الوطء أو لاكثر من أربع سنين يجب عليه نفيه باللعان لانه ممنوع من استلحاق نسب الغير كما هو ممنوع من نفي نسبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله جنته وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه يوم القيامة وفضحه على رؤس الاشهاد من الاولين والآخرين وان احتمل ان يكون الولد منه بان أتت به لاكثر من ستة أشهر من وقت الوطء ولاقل من أربع سنين فان لم يكن استبرأها بحيضة أو استبرأها وأتت به لدون ستة أشهر من وقت الاستبراء لم يحل له القذف والنفي وان اتهمها بالزنا وان استبرأها وأتت به لاكثر من ستة أشهر من وقت الاستبراء يباح له القذف والنفي والاولى ان لا يفعل لانها قد ترى الدم على الحبل وان أتت بما أمره أنه ولد لا يشبهه كان كانا أبيضين وأتت بأسود فان لم يتهمها بالزنا فليس له نفيه لما روى أبو هريرة ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان امرأتي ولدت غلاما أسود فقال هل لك من ابل قال نعم قال ما ألوانها قال حمر قال فهل فيها أورق قال نعم قال فكيف ذلك قال لعله نزعه عرق قال فلعل هذا نزعه عرق وان كان يتهمها بزنا أو برجل فأتت بولد

---

الزانية تستحل الزنا أو بمشركة تستحله وقوله وحرم ذلك على المؤمنين يقول وحرم الزنا على المؤمنين بالله ورسوله وذلك هو النكاح الذي قال جل ثناؤه الزاني لا ينكح الا زانية ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) يقول تعالى ذكره والذين يشتمون العفائف من حرائر المسلمين غير مونهن بالزنا ثم لم يأتوا على ما رموهن به من ذلك باربعة شهداء عدول يشهدون عليهن انهن رأوهن يفعلن ذلك فاجلدوا الذين رموهن بذلك ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الذين خالفوا امر الله وخرجوا من طاعته ففسقوا عنها وذكر ان هذه الآية انما نزلت في الذين رموا عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بما رموها به من الافك ذكر من قال ذلك **حدثني** أبو السائب وابراهيم بن سعيد قالا ثنا ابن فضيل عن خصيف قال قلت لسعيد بن جبير الزنا أشد أو قذف المحصنة قال لا بل الزنا قلت ان الله يقول والذين يرمون المحصنات قال انما هذا في حديث عائشة خاصة **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الآية في نساء المسلمين **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأولئك هم الفاسقون قال الكاذبون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) اختلف أهل التأويل في الذي استثنى منه قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فقال بعضهم استثنى من قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون وقالوا اذا تاب القاذف قبلت شهادته وزال عنه اسم الفسق حد فيه أو لم يحد ذكر من قال ذلك **حدثنا** أحمد بن حماد الدولابي قال ثنى سفيان عن الزهري عن سعيد ان شاء الله ان عمر قال لابي بكرة ان تبت قبلت شهادتك أو رديت شهادتك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهري عن سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب ضرب أبا بكرة وشبل بن معبد ونافع بن الحرث بن كلدة حدهم وقال لهم من أكذب نفسه أجزت شهادته فيما استقبل ومن لم يفعل لم أجز شهادته فأكذب شبل نفسه ونافع وأبى أبو بكرة أن يفعل قال الزهري هو والله سنة فاحفظوه **حدثنا** ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا داود عن الشعبي قال اذا تاب يعني القاذف ولم يعلم منه الا خير جازت شهادته **حدثنا** عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا داود عن الشعبي قال على الامام أن يستتيب القاذف بعد الجلد فان تاب وأونس منه خير جازت شهادته وان لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الوارث عن داود عن عامر انه قال في القاذف اذا تاب وعلم منه خير ان شهادته جائزة وان لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته وتوبته اكذابه نفسه قال **حدثنا** ابن أبي عدي عن داود عن الشعبي نحوه **حدثنا** أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال أخبرنا داود بن أبي هند عن الشعبي قال في القاذف اذا تاب وأكذب نفسه قبلت شهادته والا كان خليعا لا شهادة له لان الله يقول ولا تقبلوا له شهادة أبدا

يشبهه فهل يباح له نفيه فيه وجهان أما سبب نزول الآية فقد قال ابن عباس لما نزلت الآية المتقدمة قال عاصم بن عدي الانصاري اذا دخل رجل بيته ووجد رجلا على بطن امرأته فان جاء باربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج وان قتل قتل به وان قال وجدت فلانا مع تلك المرأة ضرب وان سكت سكت على غيظ اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وله امرأة يقال لها خولة بنت قيس فاتى عويمر عاصما وقال رأيت شريك بن السحماء على بطن امرأتي خولة فاسترجع عاصم وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجمعة الاخرى فقال يارسول الله ما أسرع ما ابتليت بهذا في أهل بيتي (٥٤) أخبرني عويمر أنه رأى شريكا على بطن امرأته وكان عويمر وخولة وشريك

كلهم أبناء عم عاصم فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا وقال لعويمر اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها فقال يارسول الله صلى الله عليك وسلم اني رأيت شريكا على بطنها وانى ماقربتها منذ أربعة أشهر وانها حبلى من غيري فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقي الله ولا تخبري الا بما صنعت فقالت يارسول الله ان عويمرا رجل غيور وانه رأى شريكا يطيل التردد ويحدث فحملته الغيرة على ماقال فانزل الله سبحانه هذه الآيات والذين يرمون أزواجهم الى آخرها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يؤذن بالصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم وقل أشهد بالله ان خولة لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية وانى لمن الصادقين ثم قال في الثالثة قل أشهد بالله انى رأيت شريكا على بطنها وانى لمن الصادقين ثم قال في الثالثة قل اشهد بالله انها حبلى من غيري وانى لمن الصادقين ثم قال في الرابعة قل أشهد بالله انها زانية واني ماقربتها منذ أربعة أشهر وانى لمن الصادقين ثم قال في الخامسة قل لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فهما قال ثم قال اقعد وقال لخولة قومي فقامت وقالت أشهد بالله ما أنا زانية وان زوجي عويمر لمن الكاذبين وقالت في الثانية أشهد بالله ما رأى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين وقالت في الثالثة أشهد بالله انى حبلى منه وانه لمن الكاذبين وفي الرابعة أشهد بالله ما رأتني على فاحشة قط وانه لمن الكاذبين وفي الخامسة غضب الله على خولة ان كان عويمر من الصادقين في قوله ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وعن ابن عباس أيضا في رواية الكلبي ان عاصما رجع الى أهله فوجد شريكا على بطن امرأته فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث كما تقدم وفي رواية عكرمة عن ابن عباس لما نزلت آية القذف قال سعد بن عبادة وهو سيد الانصار لو وجدت رجلا على بطنها قال ان جئت بأربعة شهداء يكون

---

الى آخر الآية **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا داود بن أبي هند عن الشعبي انه كان يقول في شهادة القاذف اذا رجع عن قوله حين يضرب أو أكذب نفسه قبلت شهادته قال ثنا هشيم عن اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي انه كان يقول يقبل الله توبته وترد ون شهادته وكان يقبل شهادته اذا تاب قال أخبرنا اسمعيل عن الشعبي انه كان يقول في القاذف اذا شهد قبل أن يضرب الحد قبلت شهادته قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبيدة عن ابراهيم واسمعيل بن سالم عن الشعبي انهما قالا في القاذف اذا شهد قبل أن يجلد فشهادته جائزة **حدثني** يعقوب قال قال ابو بشر يعني ابن علية سمعت ابن أبي نجيح يقول القاذف اذا تاب تجوز شهادته وقال كنا نقوله فقيل له من قال عطاء وطاوس ومجاهد **حدثنا** ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا محمد بن خلف بن عمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن عمر بن طلحة عن عبد الله قال اذا تاب القاذف جلد وجازت شهادته قال أبو موسى هكذا قال ابن أبي عمة **حدثنا** ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا ابن أبي عمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن سليمان بن بشار والشعبي قالا اذا تاب القاذف عند الجلد جازت شهادته **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة أن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة جلد رجلا في قذف فقال أكذب نفسك حتى تجوز شهادتك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي الهيثم قال سمعت ابراهيم والشعبي يتذاكران شهادة القاذف فقال الشعبي لابراهيم لم لا تقبل شهادته فقال لاني لا أدري تاب أم لا قال **حدثنا** عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال تقبل شهادته اذا تاب قال **حدثنا** عبد الله بن المبارك عن يعقوب بن القعقاع عن محمد بن زيد عن سعيد بن جبير مثله قال ثنا عبد الله بن المبارك عن ابن جريج عن عمران بن موسى قال شهدت عمر بن عبد العزيز أجاز شهادة القاذف ومعه رجل **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال قال الشعبي اذا تاب جازت شهادته قال ابن المثنى قال عندي يعني في القذف **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا مسعر عن عمران بن عمير أن عبد الله بن عتبة كان يجيز شهادة القاذف اذا تاب **حدثني** يعقوب قال ثني هشيم عن حويبر عن الضحاك قال اذا تاب وأصلح قبلت شهادته يعني القاذف **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن المسيب قال تقبل شهادة القاذف اذا تاب **حدثنا** الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن ابن المسيب مثله **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد عن معمر قال قال الزهري اذا حد القاذف فانه ينبغي للامام أن يستتيبه فان تاب قبلت شهادته والا لم تقبل قال كذلك فعل عمر بن الخطاب بالذين شهدوا على المغيرة بن شعبة فتابوا الا أبا بكرة فكان لا تقبل شهادته *وقال آخرون الاستثناء في ذلك من قوله وأولئك هم الفاسقون وأما قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا فقد وصل بالا بد ولا يجوز قبولها أبدا ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا أشعث بن سوار قال ثنا الشعبي

قد قضى حاجته وذهب فقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا يا رسول الله صلى الله عليك وسلم لا تلمه فانه رجل غيور فقال سعد يا رسول الله صلى الله عليك وسلم انى لاعرف انها من الله وانها حق ولكنى عجبت منه فقال صلى الله عليه وسلم فان الله أبى لى الا ذلك فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال ابن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انى وجدت مع امرأتى رجلا رأيت بعينى وسمعت باذنى فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به فقال هلال والله يا رسول الله انى لارى الكراهية فى وجهك مما أخبرتك به والله يعلم انى لصادق وما قلت الا حقا (٥٥) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما البينة واما اقامة الحد عليك فاجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد فبينا هم كذلك اذ نزل الوحى فقال يا هلال ابشر فقد جعل لك فرجا وأمر بالملاعنة وفرق بينهما وقال ابصروها فان جاءت به أصهب خمش الساقين أى دقيقهما فهو لهلال وان جاءت به أورق جعدا خدلج الساقين أى ضخمهما فهو لصاحبه فجاءت به خدلج الساقين فقال صلى الله عليه وسلم لولا الايمان لكان لى ولها شأن فال عكرمة لقد رأيته بعد ذلك أمير مصر من الامصار لا يدرى من أبوه واعلم ان الفرق بين قذف غير الزوجة وبين قذف الزوجة هو ان الخلاص من الحد فى الاول اقرار المقذوف بالزنا أو بينة تقوم على زناه وفى الثانية الخلاص أحد الامرين أو اللعان وسبب شرع اللعان وهو انه لا مضرة على الزوج فى زنا الاجنبى والاولى له ستره وأما فى زنا الزوجة فيلحقه العار والشنار والنسب الفاسد فلا يمكنه الصبر عليه وتوقيفه على البينة كالتعذر وأيضا الغالب ان الرجل لا يقصد زنا زوجته الا عن حقيقة فنفس الرمى دليل على صدقه الا ان الشرع أراد اكمال شهادة الحال بقرينة الايمان كما ان شهادة المرأة حين ضعفت أكدت بزيادة العدد فمن هنا قال كثير من العلماء ان حد قاذف الزوجة كان هو الجلد وان الله نسخه باللعان ولنذكر ههنا مسائل الاولى قال الشافعى اذا نكل الزوج عن اللعان لزمه الحد للقذف فاذا لاعن ونكلت عن اللعان لزمها حد الزنا وقال أبو حنيفة اذا نكل الزوج يحبس حتى يلاعن وكذا المرأة حجة الشافعى اذا لم يات بالخلاص وهو الملاعنة وجب الرجوع الى مقتضى آية القذف وهو الحد وأيضا قوله ويدرأ عنها العذاب ليست اللام فيه للجنس لانه لا يجب عليها جميع أنواع العذاب ولان الآية تصير اذا لمجملة فهو المعهد ولا معهود فى الآية الا حد القذف ولقوله صلى الله عليه وسلم لخولة الرجم أهون عليك من غضب الله وللمرأة ان تقول ان كان الرجل

الشعبى قال كان شريح يجيز شهادة صاحب كل عمل اذا تاب الا القاذف قال توبته فيما بينه وبين ربه ولا يجيز شهادته **حدثنا** حيد بن مسعدة قال ثنا يزيد قال ثنا أشعث بن سوار قال ثنا الشعبى عن شريح بنحوه وغيره انه قال صاحب كل حد اذا كان عدلا يوم شهد **حدثنى** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن شريح قال كان لا يجيز شهادة القاذف ويقول توبته فيما بينه وبين ربه **حدثنا** أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن مطرف عن أبى عثمان عن شريح فى القاذف يقبل الله توبته ولا أقبل شهادته **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا أشعث عن الشعبى قال أتاه خصمان فجاء أحدهما بشاهد أقطع فقال الخصم ألا ترى ما به قال قد أراه قال فسأل القوم فاثنوا عليه خيرا فقال شريح نجيز شهادة كل صاحب حد اذا كان يوم شهد عدلا الا القاذف فان توبته فيما بينه وبين ربه **حدثنا** أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا أشعث عن الشعبى قال جاء خصمان الى شريح فجاء أحدهما ببينة فجاء بشاهد أقطع فقال الخصم ألا ترى الى ما به فقال شريح قد رأيناه وقد سألنا القوم فاثنوا خيرا ثم ذكر سائر الحديث نحو حديث أبى كريب **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا الشيبانى عن الشعبى عن شريح انه كان يقول لا تقبل له شهادة أبدا توبته فيما بينه وبين ربه يعنى القاذف قال ثنا هشيم قال أخبرنا الاشعث عن الشعبى ان ربا باقطع رجلا فى قطع الطريق قال فقطع يده ورجله ثم تاب وأصلح فشهد عند شريح فاجاز شهادته قال فقال المشهود عليه أتجيز شهادته على وهو أقطع قال فقال شريح كل صاحب حد اذا أقيم عليه ثم تاب وأصلح فشهادته جائزة الا القاذف **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنا شعبة قال المغيرة أخبرنى قال سمعت ابراهيم يحدث عن شريح قال قضاء من الله لا تقبل شهادته أبدا توبته فيما بينه وبين ربه قال أبو موسى يعنى القاذف **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم قال قال شريح لا يقبل الله شهادته أبدا **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنا حماد عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال لا تجوز شهادة القاذف توبته فيما بينه وبين الله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن انه قال القاذف توبته فيما بينه وبين الله وشهادته لا تقبل **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن ابراهيم انه قال فى الرجل يجلد الحد قال لا تجوز شهادته أبدا **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم انه كان لا يقبل له شهادة أبدا وتوبته فيما بينه وبين الله يعنى القاذف **حدثنا** أبو كريب قال ثنا معتمر بن سليمان عن حجاج عن عمرو بن سعيد عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تجوز شهادة محدود فى الاسلام **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن

صادقا لحد وفى وان كان كاذبا لخلوفى نفسه بالى والحبس وليس حبسى فى كتاب الله ولا سنة رسوله حجة لأبى حنيفة ان النكول ليس اصريح فى الاقرار فلا يجوز اثبات الحد به كاللفظ المحتمل للزنا وغيره الثانية الجمهور على انه اذا قال بالزنا انية وجب اللعان لعموم قوله والذين يرمون وقال مالك لا يلاعن الا أن يقول رأيتك تزنى وينفى حملها أو ولدا منها الثالثة قال الشافعى من صح رميه صح لعانه فلا يشترط الا التكليف ويجرى اللعان بين الذميين والمحدودين (٥٦) والرقيقين وذهب أبو حنيفة الى ان الزوج ينبغى ان يكون مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود فى القذف والمرأة ينبغى ان تكون بهذه الصفة مع العفة فاذا كان الزوج عبدا أو محدودا فى قذف والمرأة محصنة حد كما فى قذف الاجنبيات دليل الشافعى عموم قوله والذين يرمون أزواجهم والاجماع على انه يصح لعان الفاسق والاعمى وان لم يكونا من أهل الشهادة فكذا القول فى غيرهما والجامع هو الحاجة الى دفع العار دليل أبى حنيفة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص من النساء من ليس بينهن وبين أزواجهن ملاعنة اليهودية والنصرانية تحت المسلم والحرة تحت المملوك والمملوكة تحت الحر وأيضا اللعان فى الزوجات قائم مقام الحد فى الاجنبيات فلا يجب اللعان على من لا يجب عليه الحد ولو قذفها أجنبى وأيضا اللعان شهادة لقوله تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات وقد جاء مثله فى أحاديث اللعان واذا كان شهادة وجب ان لا يقبل من المحدود فى القذف ولان العبد والكافر أجاب الشافعى بان اللعان يمين مؤكدة بلفظ الشهادة أو يمين فيها شائبة الشهادات فلا يشترط فى الملاعن الا أهلية اليمين ومما يدل على انه يمين قوله صلى الله عليه وسلم لهلال بن امية احلف بالله الذى لا اله الا هو انك لصادق وقوله لولا الايمان لكان لى ولها شأن وايضا لو كانت شهادة لكان حظ المرأة ثمانى شهادات لانها على النصف من الرجل ولم يجز لعان الفاسق والاعمى لانهما ليسا من اهل الشهادة لا يقال الفاسق والفاسقة قد يتوبان لانا نقول العبد اذا قد يعتق بل العبد اذا عتق تقبل شهادته فى الحال والفاسق اذا تاب لا تقبل شهادته الا بعد الاختبار ثم ألزم الشافعى أبا حنيفة بان شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض مقبولة فينبغى ان يجوز اللعان بين الذمى والذمية ثم قال الشافعى بعد ذلك وتختلف الحدود لمن وقعت له ومعناه ان الزوج ان لم يلاعن ينصف الحد

معمر عن الحسن ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا قال كان يقول لا تقبل شهادة القاذف أبدا انما توبته فيما بينه وبين الله وكان شريح يقول لا تقبل شهادته **حدثنى** على قال ثنا عبد الله عن على عن ابن عباس قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ثم قال فان تاب وأصلح فشهادته فى كتاب الله تقبل * والصواب من القول فى ذلك عندنا ان الاستثناء من المعنيين جميعا أعنى قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ومن قوله وأولئك هم الفاسقون وذلك انه لا خلاف بين الجميع ان ذلك كذلك اذا لم يحد فى القذف حتى تاب اما بأن لم يرفع الى السلطان بعفو المقذوفة عنه واما بان مات قبل المطالبة بحدها ولم يكن لها طالب يطالب بحدها فاذ كان ذلك كذلك وحدثت منه توبة صحت له بها العدالة فاذ كان من الجميع اجماعا ولم يكن الله تعالى ذكره شرط فى كتابه أن لا تقبل شهادته أبدا بعد الحد فى رميه بل نهى عن قبول شهادته فى الحال التى أوجب عليه فيها الحد وسماه فيها فاسقا كان معلوما بذلك ان اقامة الحد عليه فى رميه لا تحدث فى شهادته مع التوبة من ذنبه مالم يكن حادثا فيها قبل اقامته عليه بل توبته بعد اقامة الحد عليه من ذنبه أحرى ان تكون شهادته معها أجوز منها قبل اقامته عليه لان الحد يزيد المحدود عليه تطهيرا من جرمه الذى استحق عليه الحد فان قال قائل فهل يجوز أن يكون الاستثناء من قوله فاجلدوهم ثمانين جلدة فتكون التوبة مسقطة عنه الحد كما كانت لشهادته عندك قبل الحد وبعده مجيزة ولا سم الفسق عنه مزيلة قيل ذلك غير جائز عندنا وذلك ان الحد حق عندنا للمقذوفة كالقصاص الذى يجب لها من جناية يجنيها على ما سمانيه القصاص ولا خلاف بين الجميع ان توبته من ذلك لا تضع عنه الواجب لها من القصاص منه فكذلك توبته من القذف لا تضع عنه الواجب لها من الحد لان ذلك حق لها ان شاءت عفته وان شاءت طالبت به فتوبة العبد من ذنبه انما تضع عن العبد الاسماء الذمية والصفات القبيحة فاما حقوق الادميين التى أوجبها الله لبعضهم على بعض فى كل الاحوال فلا تزول بها ولا تبطل واختلف أهل العلم فى صفة توبة القاذف التى تقبل معها الشهادة فقال بعضهم هى اكذابه نفسه فيه وقد ذكرنا بعض قائلى ذلك فيما مضى قبل ونحن نذكر بعض ما حضرنا ذكره مما لم نذكره قبل **حدثنى** أبو السائب قال ثنا حفص عن ليث عن طاوس قال توبة القاذف أن يكذب نفسه **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين قال رأيت رجلا ضرب حدا فى قذف بالمدينة فلما فرغ من ضربه تناول توبه ثم قال استغفر الله وأتوب اليه من قذف المحصنات قال فلقيت أبا الزناد فذكرت ذلك له قال فقال ان الامر عندنا ههنا انه اذا قال ذلك حين يفرغ من ضربه ولم نعلم منه الا خيرا قبلت شهادته **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا الآية قال من اعترف وأقر على نفسه علانية انه قال البهتان وتاب الى الله توبة نصوحا والنصوح أن لا يعود واقراره واعترافه عند الحدين يؤخذ بالجلد فقد تاب والله غفور رحيم وقال آخرون توبته من ذلك صلاح حاله وندمه على ما فرط منه من ذلك والاستغفار منه وتركه العود فى مثل ذلك من الجرم وذلك قول جماعة من التابعين وغيرهم وقد ذكرنا بعض قائليه فيما مضى وهو قول مالك بن أنس وهذا القول أولى القولين فى ذلك بالصواب لان الله تعالى ذكره

عليه برقه وان لاعن ولم تلاعن اختلف حدها باحصانها وخرجها وورقها الرابعة اختلف المجتهدون فى نتائج اللعان فعن عثمان البتى انه لايحصل به
الفرقة أصلا لان أكثر مافيه ان يكون الزوج صادقا فى قذفه وهذا لايوجب تحريما كما لوقامت البينة عليها وأيضا ان تلاعنهما فى بيتهما لايوجب
الافتراق فكذا عند الحاكم وأيضا انه قائم مقام الشهود فى الاجنبيات فلايكون له تاثير الافى اسقاط الحد وأيضا اذا أكذب الزوج نفسه
ثم حد لايوجب الفرقة فكذا اللعان وأما تفريق النبى صلى الله عليه وسلم بين (٥٧) المتلاعنين فى قصة العجلانى فذلك لان الزوج

جعل توبة كل ذى ذنب من أهل الايمان تركه العود منه والندم على ماسلف منه واستغفاره به
منه فيما كان من ذنب بين العبد وبينه دون ما كان من حقوق عباده ومظالمهم بينهم والقاذف
اذا أقيم عليه فيه الحد أوعفى عنه فلم يبق عليه الا توبته من جرمه بينه وبين ربه فسبيل توبته منه
سبيل توبته من سائر أجرامه فاذ كان الصحيح فى ذلك من القول ماوصفنا فتأويل الكلام وأولئك
هم الفاسقون الا الذين تابوا من جرمهم الذى اجترموه بقذفهم المحصنات من بعد اجترامهموه فان
الله غفور يقول سائر على ذنوبهم يعفوه لهم عنها رحيم بهم بعد التوبة أن يعذبهم عليها فاقبلوا
شهادتهم ولاتسموهم فسقة بل سموهم باسمائهم التى هى لهم فى حال توبتهم ۞ القول فى تاويل
قوله تعالى (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع
شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) يقول تعالى ذكره
والذين يرمون من الرجال أزواجهم بالفاحشة فيقذفونهن بالزنا ولم يكن لهم شهداء يشهدون لهم
بصحة مارموهن به من الفاحشة فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين واختلفت
القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة أربع شهادات نصبا ولنصبهم ذلك وجهان
أحدهما أن تكون الشهادة فى قوله فشهادة أحدهم مرفوعة بضمير قبلها وتكون الاربع
منصوبا بمعنى الشهادة فيكون تاويل الكلام حينئذ فعلى أحدهم أن يشهد أربع شهادات بالله
والوجه الثانى أن تكون الشهادة مرفوعة بقوله انه لمن الصادقين والاربع منصوبة بوقوع
الشهادة عليها كما يقال شهادتى ألف مرة انك لرجل سوء وذلك أن العرب ترفع الايمان بأجوبتها
فتقول حلف صادق لاقومن وشهادة عمر ولية عدن وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين أربع شهادات
برفع الاربع ويجعلونها للشهادة مرافعة وكأنهم وجهوا تاويل الكلام فالذى يلزم من الشهادة
أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين * وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأ فشهادة
أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين بنصب أربع بوقوع الشهادة عليها والشهادة
مرفوعة حينئذ على ماوصفت من الوجهين قبل وأحب وجهيهما أن تكون به مرفوعة الى
بالجواب ٧ وذلك قوله انه لمن الصادقين وذلك أن معنى الكلام والذين يرمون أزواجهم ولم
يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين تقوم مقام
الشهداء الاربعة فى دفع الحد عنه فترك ذكر تقوم مقام الشهداء الاربعة اكتفاء بمعرفة
السامعين بماذكر من الكلام فصار مرافع الشهادة ماوصفت ويعنى بقوله فشهادة أحدهم
أربع شهادات بالله خلف أحدهم أربع ايمان بالله من قول القائل أشهد بالله انه لمن
الصادقين فيما رمى زوجته به من الفاحشة والخامسة يقول والشهادة الخامسة أن لعنة الله
عليه يقول أن لعنة الله واجبة وعليه حالة ان كان فيما رماها به من الفاحشة من الكاذبين ونحو
الذى قلنا فى ذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت به جماعة من أهل التأويل
ذكر الرواية بذلك وذكر السبب الذى فيه أنزلت هذه الآية حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال
ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن عكرمة قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء

٧ لعل هنا سقطا اى مرفوعة بما بعد الجواب كما يدل عليه باقى العبارة تامل اه مصححه



كان طلقها ثلاثا قبل اللعان وعن أبى حنيفة وأصحابه الازفران الحاكم يفرق بينهما لما روى سهل
ابن سعد مضت السنة فى المتلاعنين ان يفرق بينهما ثم لايجتمعان أبدا ولما فى قصة عويمر كذبت عليها
ان أمسكتها هى طالق ثلاثا فلو وقعت الفرقة باللعان لم يمكن امساكها وقال مالك والليث وزفر
اذا فرغا من اللعان وقعت الفرقة بينهما وان لم يفرق الحاكم لانهما لو تراضيا على دوام النكاح لم يخليا
فدل ذلك على وقوع الفرقة بينهما وقال الشافعى اذا فرغ الزوج وحده من اللعان حصل بذلك
خمس نتائج درء الحد عنه ونفى الولد والفرقة والتحريم المؤبد ووجوب الحد عليها ولا تاثير للعان الزوجة
الافى دفع العذاب عن نفسها وما روى انه صلى الله عليه وسلم فرق بينهما محمول على انه أخبر عن
وقوع الفرقة بينهما وزعم أبو بكر الرازى ان قول الشافعى خلاف الآية لانه لو وقعت الفرقة باللعان
الزوج لاعنت المرأة وهى أجنبية ولكنه تعالى أوجب اللعان بين الزوجين وأيضا اللعان شهادة
فلا يثبت حكمها الا عند الحاكم كسائر الشهادات وأيضا اللعان تستحق به المرأة نفسها كما
يستحق المدعى ما ادعاه بالبينة فيتوقف على حكم الحاكم وأيضا اللعان لا شعار فيه بالتحريم فهو كما لو قامت البينة على زناها فلا بد من
احداث التفريق اما من قبل الزوج أو من قبل الحاكم ولقائل ان يقول سميا زوجين باعتبار ما كان كالعبد على من عتق ولا تسلم ان اللعان
شهادة محضة ومما يؤكد قول الشافعى تنصيص الله سبحانه على ذلك بقوله ويدرأ عنها العذاب ان تشهد فيه دلالة على ان كل ما يجب باللعان
من الاحكام فقد وقع بلعان الزوج الا درء العذاب وأيضا ان لعان الزوج مستقل بنفى الولد لان الاعتبار فى الالحاق بقوله لا بقولها ألا ترى انها

فى لعانها تحق الولد به ونحن ننفيه عنه واذا انتفى الولد عنه بمجرد لعانه وجب ان يكون الفراش زائلا لقوله الولد للفراش الخامسة مذهب مالك والشافعى وأبى يوسف والثورى واسحق ان الملاعنين لا يجتمعان أبدا وهو قول على وابن مسعود ولما روى الزهرى من حديث سهل ابن سعد ولما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال للمتلاعنين بعد اللعان لا سبيل لك عليها ولم يقل حتى تكذب نفسك ولو كان الاكذاب غاية لهذه الحرمة وانه اذا أكذب نفسه وحد زال (٥٨) تحريم العقد وحلت له بنكاح جديد لذكر هار سول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وقد يحتج لابى حنيفة بعموم قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقوله وأحل لكم ما وراء ذلكم السادسة اتفق أهل العلم على ان الولد ينتفى من الزوج باللعان وخالف بعضهم مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وزيف بان الاخبار الدالة على ان النسب ينتفى باللعان كالمتواتر فلا يعارضها هذا الواحد بل يجب تخصيصه بها السابعة لو أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق بها الحكم عند الشافعى وهو ظاهر وعن أبى حنيفة ان للاكثر حكم الكل اذا حكم به الحاكم الثامنة كيفية اللعان كالصريحة فى الآية وان الحديث قد زادها بيانا كما مر وقد عد الشافعى من سننها ان يقام الرجل حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة حتى تشهد والرجل قاعد وامر الامام من يضع يده على فيه عند الانتهاء الى اللعنة ويقول له القاضى أو صاحب المجلس اتق الله فانها موجبة وهكذا يقال للمرأة اذا انتهت الى الغضب ومما يستحب فى اللعان ولا يجب على الاصح التغليظ بالزمان وهو ما بعد صلاة العصر ولا سيما عصر يوم الجمعة وبالمكان وذلك بمكة بين الركن والمقام وبالمدينة بين المنبر والمدفن وفى سائر البلاد عند المنبر فى المسجد الجامع أيضا وهو المقصورة وفى بيت المقدس فى المسجد الاقصى عند الصخرة ولليهود رسول

فاجلدوهم ثمانين جلدة قال سعد بن عبادة آلله ان أنا رأيت لكاع متفخذها رجل فقلت بما رأيت ان فى ظهرى ثمانين الى ما أجمع أربعة قد ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألا تسمعون الى ما يقول سيدكم قالوا يا رسول الله لا تلمه وذكروا من غيرته فما تزوج امرأة قط الا بكرا ولا طلق امرأة قط فرجع فيها أحد منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله يابى الا ذاك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا ان جاء ابن عم له فرمى امرأته فشق ذلك على المسلمين فقال لا والله لا يجعل الله فى ظهرى ثمانين أبدا لقد نظرت حتى أيقنت ولقد استمعت حتى استشفيت قال فانزل الله القرآن باللعان فقيل له احلف فحلف قال فقوه عند الخامسة فانها موجبة فقال لا يدخل الله النار بهذا أبدا كما در أعنه جلد ثمانين لقد نظرت حتى أيقنت ولقد استمعت حتى استشفيت فحلف ثم قيل احلفى فحلفت قال فقوها عند الخامسة فانها موجبة فقيل لها انها موجبة فتلكأت ساعة ثم قالت الاخرى قومى فحلفت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذى قيل فيه ما قيل قال فجاءت به غلاما كانه جمل أورق فكان بعد أمير بمصر لا يعرف نسبه أولا يدرى من أبوه حدثنا خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا عباد قال سمعت عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون قال سعد بن عبادة لهكذا أنزلت يا رسول الله لو أتيت لكاع قد تفخذها رجل لم يكن لى أن أهيجه ولا أحركه حتى آتى باربعة شهداء وقد فعل هذا فوالله ما كنت لآتى باربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألا تسمعون الى ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه فانه رجل غيور ما تزوج فينا قط الا عذراء ولا طلق امرأته فاجترأ رجل منا أن يتزوجها قال سعد يا رسول الله بابى وأمى والله انى لاعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت لو وجدت لكاع قد تفخذها رجل لم يكن لى أن أهيجه ولا أحركه حتى آتى باربعة شهداء والله لا آتى باربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته فوالله ما لبثوا الا يسيرا حتى جاء هلال بن أمية من حديقته فرأى بعينيه وسمع باذنيه فامسك حتى أصبح فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله انى جئت أهلى عشاء فوجدت رجلا مع أهلى رأيت بعينى وسمعت باذنى فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به وثقل عليه جدا حتى عرف ذلك فى وجهه فقال هلال والله يا رسول الله انى لارى الكراهة فى وجهك مما أتيتك به والله يعلم انى صادق وما قلت الا حقا فانى لارجو أن يجعل الله فرجا فقال واجتمعت الانصار فقالوا الان نبتلى بما قال سعد أيجلد هلال بن أمية وتبطل شهادته فى المسلمين فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه فانه لكذلك يريد أن يأمر بضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه اذ نزل عليه الوحى فامسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا ان الوحى قد نزل حتى فرغ فانزل الله والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم الى ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشر يا هلال فان الله قد جعل فرجا فقال قد كنت ارجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليها فجاءت فلما اجتمعا عند



فى الكنيسة وللنصارى فى البيعة وللمجوس فى بيت نارهم واذا لم يكن له دين ففى مساجدنا الا فى المسجد الحرام ولا بد من حضور الحاكم سواء كان مدار اللعان على اليمين أو على الشهادة ولا بد من حضور جمع من الاعيان أقلهم أربعة التاسعة قال جار الله انما خصت الملاعنة بان تخمس بغضب الله تغليظا عليها لانها أصل الفجور ومنبعه بخلافها وطماعها ولذلك كانت مقدمة فى آية الجلد العاشرة فى فوائد متعلقة بالآية منها

إبطال الجهور قول الخوارج ان الزنا والقذف كفر وذلك ان الرامي ان صدق فهو زانية وان كذب فهو قاذف فلا بد من كفر أحدهما والردة توجب الفرقة من غير لعان ومنها بطال قول من زعم ان الزنا يوجب فساد النكاح لان رمي الزوج اياها اعتراف منه بزناها بل بفساد النكاح على قول هذا القائل فتحصل الفرقة بلا لعان ومنها ان المعتزلة قالوا الملتعنان يستحقان اللعن أو الغضب الموجبين للعقاب الابدي المضاد للثواب وذلك يدل على خلود الفساق في النار أجابت الاشاعرة بان كونه مغضوبا عليه بفسقه لا ينافي كونه مرضيا عنه بجهة

رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لها فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب فقال هلال يا رسول الله بابي وامي لقد صدقت وما قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما قيل لهلال يا هلال أشهد فشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقيل له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الله أشد من عذاب الناس وانها الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد الخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قيل لها اشهدي فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فقيل لها عند الخامسة اتقي الله فان عذاب الله أشد من عذاب الناس وان هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب فتلكأت ساعة ثم قالت والله لا أفضح قومي فشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فغرق بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب ولا يرمى ولدها **حدثني** أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا أبو أحمد الحسين ابن محمد قال ثنا جرير بن حازم عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قذف هلال بن امية امرأته قيل له والله ليحدنك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين جلدة قال الله اعدل من ذلك أن يضرب بني ضربة وقد علم اني رأيت حتى استيقنت وسمعت حتى استثبت لا والله لا يضربني أبدا فنزلت آية الملاعنة فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت الآية فقال الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال هلال والله اني لصادق يقول ذلك أربع مرات فان كنت كاذبا فعلي لعنة الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قفوه عند الخامسة فانها موجبة فلف ثم قالت أربعا والله الذي لا اله الا هو انه لمن الكاذبين فان كان صادقا فعلها غضب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قفوها عند الخامسة فانها موجبة فترددت وهمت بالاعتراف ثم قالت لا أفضح قومي **حدثنا** أبو كريب وأبو هشام الرفاعي قالا ثنا عبدة عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال كنا ليلة الجمعة في المسجد فدخل رجل فقال لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا فقتله قتلتموه وان تكلم جلدتموه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله آية اللعان ثم جاء الرجل بعد فقذف امرأته فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال عسى أن تجيء به اسود جعدا فجاءت به أسود جعدا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير بن عبد الحميد عن عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عمر فقلت يا أبا عبد الرحمن أيفرق بين الملتعنين فقال نعم سبحان الله ان أول من سأل عن ذلك فلان اتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال ارأيت لو ان احدنا رأى صاحبته على فاحشة كيف يصنع فلم يجبه في ذلك شيأ فقال فأتاه بعد ذلك فقال ان الذي سألت عنه قد ابتليت به فانزل الله هذه الآية في سورة النور فدعا الرجل فوعظه وذكره واخبره ان عذاب الدنيا اهون من عذاب الآخرة قال والذي بعثك بالحق لقد رأيت وما كذبت عليها قال ودعا المرأة فوعظها واخبرها ان عذاب الدنيا اهون من عذاب الآخرة فقالت والذي بعثك بالحق انه لكاذب وما رأى شيأ قال فبدأ الرجل فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم ان المرأة شهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من

انعامه فلا بد ان يحصل له بعد العقاب ثواب ثم أخبر عن كمال رأفته بقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته أي فيما بين من هذه الاحكام وفيما أمهل وأبقى ومكن من التوبة وجواب لولا محذوف أي لهلكتم أو فضحتم أو لكان ما كان من أنواع المفاسد وانما حسن حذفه ليذهب الوهم كل مذهب فيكون أبلغ في البيان فرب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به

* التأويل النفس الزانية المتسلطة لتصرفات الشيطان والدنيا فيها والروح الزاني بتصرفه في الدنيا وشهواتها المنهية عنها فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة من الجوع وترك الشهوات والمرادات ومن حملهما على المخالفات ولعل السر في تخصيص هذا العدد هو ان ساعات اليوم بليلته أربع وعشرون منها أربع ساعات دخل النوم ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل والباقية يجب فيها مراقبة الحواس الخمس وتأديبهن بآداب الشرع والعقل فيكون المجموع مائة تأديبة يحصل نتائجها وكمالها للنفس والروح والله تعالى أعلم وليشهد عذابهما ولتكن هذه التزكية والتأديبات بمحضر شيخ واصل كامل يحفظه من طرفي الافراط والتفريط الزاني لا ينكح فيه ان الطبع يسرق والجنس الى الجنس يميل فاهل الفساد لا ترغب الا في صحبة أمثالهم من أهل الفساد كما ان أرباب السداد لا تطمح الا الى صحبة أمثالهم من أرباب السداد وحوم ذلك الذي قلنا من اختلاط الاشرار على المؤمنين والذين يرمون المحصنات أي الارواح الذين ينسبون الى نقصان النفوس المستعدات للكمالات ثم لم يأتوا باربعة شهداء أي لم يكن خواص العناصر الاربعة ظاهرة على صفحات أحوالهن كما مر تقريره في أول النساء في قوله فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ولم تبلغ الملكات الذميمة منهن مرتبتها الرابعة كالكاتب يكتب بالفعل فاجلدوهم ثمانين جلدة مرة هم

بالخلوة أربعين يوما وأربعين ليلة حتى يظهر لهم كمال حال النفوس في الموافقة لهم ولا تقبلوا لهم بعد ذلك شهادة لعلهن وأولئك هم الذين يريدون ان يخرجوا عن طاعة الله بقدر نسبة النقصان الى النفوس المستعدة والذين يرمون أزواجهم وهن القوالب المزدجة بالارواح ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم لانه لا يطلع على أحوال القالب الا الروح فشهادة أحدهم أربع شهادات هي الاسنان الاربعة التي فيها تحصل التربية والاستكمال والخامسة وهي حالة (٦٠) حلول الاجل اللعنة والغضب والعذاب الابدي وما توالدمنهما من الصفات

الذميمة ينسبها الروح الى نالث هو الشيطان وينسبها القالب الى الروح الذي يدبره ويتصرف فيه والافتراق الذي يحصل بينهما ليس بالصورة بل بالمعنى لان الروح يميل الى العالم العلوي والقالب الى العالم السفلي لعدم الموافقة بينهما وهو سبحانه أعلم (ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاؤا عليه بار بعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله

الموضح

الصادقين وفرق بينهما **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن داود عن عامر قال عاصم بن عدي ان أنا رأيت فتكاسلت جلدت ثمانين وان أنا سكت سكت على الغيظ قال فكأن ذلك شق على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فانزلت هذه الآية والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم قال فابتلوا الا جعة حتى كان بين رجل من قومه وبين امرأته فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم الآية والخامسة ان يقال له ان عليك لعنة الله ان كنت من الكاذبين وان أقرت المرأة بقوله رجمت وان أنكرت شهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن يقال لها غضب الله عليك ان كان من الصادقين فيدرأ عنها العذاب ويفرق بينهما فلا يجتمعان أبدا ولحق الولد بأمه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله والذين يرمون أزواجهم قال هلال بن أمية والذي رميت به شريك بن سحماء والذي استفتى عدي بن عاصم قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني الزهري عن الملاعنة والسنة فيها عن حديث سهل بن سعد ان رجلا من الانصار جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل فانزل الله في شأنه ماذكر من أمر المتلاعنين فقال قد قضى الله فيك وفي امرأتك فتلاعنا وأنا شاهد ثم فارقها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت السنة بعدها ان يفرق بين المتلاعنين وكانت حاملة فانكره فكان ابنها يدعى الى أمه ثم جرت السنة ان ابنها يرثها وترث ما فرض الله لها **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين يرمون أزواجهم الى قوله ان كان من الكاذبين قال اذا شهد الرجل خمس شهادات فقد برئ كل واحد من الآخر وعدتها ان كانت حاملا أن تضع حملها ولا يجلد واحد منهما وان لم تحلف أقيم عليها الحد والرجم

**القول في تأويل قوله تعالى** (ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين) يعني جل ذكره بقوله ويدرأ عنها العذاب ويدفع عنها الحد واختلف أهل العلم في العذاب الذي عناه الله في هذا الموضع انه يدرؤ عنها شهادتها الاربع فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك من أنه الحد جلد مائة ان كانت بكرا أو الرجم ان كانت ثيبا قد أحصنت وقال آخرون بل ذلك الحبس وقالوا الذي يجب عليها ان هي لم تشهد الشهادات الاربع بعد شهادات الزوج الاربع والتعانه الحبس دون الحد وانما قلنا الواجب عليها اذا هي امتنعت من الالتعان بعد التعان الزوج الحد الذي وصفنا قياسا على اجماع الجميع على أن الحد اذا زال عن الزوج بالشهادات الاربع على تصديقه فيما رماها به ان الحد عليها واجب فجعل الله ايمانه الاربع والتعانه في الخامسة مخرجا له من الحد الذي لها رميه اياها كما جعل الشهداء الاربعة مخرجا له منه في ذلك وزائلا به عنه الحد فلذلك الواجب أن يكون بزوال الحد عنه بذلك واجبا عليها حدها كما كان بزواله عنه بالشهود واجبا عليها الا فرق بين ذلك وقد استقصينا العلل في ذلك في باب اللعان من كتابنا المسمى لطيف القول في شرائع الاسلام فاغنى عن اعادته في هذا

ذينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) * القرآن كبره بضم الكاف يعقوب اذ سمتموه وبابه مدغما أبو عمرو وعلي وهشام وحمزة غير خلف ورجاه والجملي اذ تلقونه بالاظهار وتشديد التاء للبزي وابن فليح ولا يتأل من التالي بزيمار كي بالتشديد والامالة روح وقرأ قتيبة ممالة مخففة يوم يشهد على التذكير حمزة وعلي وخلف والباقون بتاء (٦١) التأنيث * الوقوف عصبة منكم ط شرا لكم ط خير لكم ط من الاثم ج لنوع عدول من اجمال حكم الكل الى بيان حكم البعض مع اتفاق الجملتين عظيم ه خيرا للعطف مبين ه شهداء ج للشرط معنى مع الفاء لكاذبون ه عظيم ج لاحتمال ان يكون اذ ظرف قوله لمسكم أو أفضتم واحتمال كونه منصوبا باذكروا بهذا قد قيل الوصل الزم لان قوله سبحانك من جملة مفعول قلتم عظيم ه مؤمنين ه ج لاتفاق الجملتين مع تكرار اسم الله دون الاكتفاء بالضمير وانها آية الآيات ط حكيم ه أليم ه لا لتعلق الظرف والآخرة ط لا تعلمون ه رحيم ه نصف الجزء خطوات الشيطان ط والمنكر ط أبدا لا لتعلق لكن من يشاء ط عليم ه في سبيل الله ط والوصل أولى للعطف وليصفحوا ط لكم ط رحيم ه والآخرة ص عظيم ه لا لتعلق الظرف بعملون ه المبين ه للخبيثات ج للعطف مع التضاد للطيبات ه لاتحاد المعنى مع فقدان العاطف يقولون ط كريم ه * التفسير انه سبحانه لما ذكر من أحكام القذف ما ذكر اتبعها حديث افك عائشة الصديقة وما قذفها به أهل النفاق روى الزهري عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن أبي

الموضع وقوله أن تشهد أربع شهادات بالله يقول ويدفع عنها العذاب أن تحلف بالله أربع ايمان انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا وقوله والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا وقوله ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله يقول ويدفع عنها العذاب أن تحلف بالله أربع ايمان انه لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنا وقوله والخامسة ان غضب الله عليها الآية يقول والشهادة الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماها به من الزنا من الصادقين ورفع قوله والخامسة في كلتا الآيتين بان التي تليها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم) ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم وانه عواد على خلقه بلطفه وطوله حكيم في تدبيره اياهم وسياسته لهم لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم وفضح أهل الذنوب منكم بذنوبهم ولكنه ستر عليكم ذنوبكم وترك فضيحتكم بها عاجلا رحمة منه بكم وتفضلا عليكم فاشكروا نعمه وانتهوا عن التقدم عما نهاكم عنه منها كم من معاصيه وترك الجواب في ذلك اكتفاء بمعرفة السامع المراد منه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) يقول تعالى ذكره ان الذين جاؤا بالكذب والبهتان عصبة منكم يقول جماعة منكم أيها الناس لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم يقول لا تظنوا ما جاؤا به من الافك شرا لكم عند الله وعند الناس بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين وذلك ان الله يجعل ذلك كفارة للمرمي به و يظهر براءته مما رمي به ويجعل له مخرجا وقيل ان الذي عنى الله بقوله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم جماعة منهم حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنا أبي قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن عروة انه كتب الى عبد الملك بن مروان كتبت الي تسألني في الذين جاؤا بالافك وهم كما قال الله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم وانه لم يسم منهم أحد الا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش وهو يقال في آخرين لا علم لي بهم غير انهم عصبة كما قال الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله جاؤا بالافك عصبة منكم هم أصحاب عائشة قال ابن جريج قال ابن عباس قوله جاؤا بالافك عصبة منكم الآية الذين افتروا على عائشة عبد الله بن أبي وهو الذي تولى كبره وحسان بن ثابت ومسطح وحمنة بنت جحش حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول الذين جاؤا بالافك عصبة منكم الذين قالوا لعائشة الافك والبهتان حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم قال الشر لكم بالافك الذي قالوا الذي تكلموا به كان شرا لهم وكان فيهم من لم يقله انما سمعه فعاتبهم الله فقال أول شيء ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ثم قال والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقوله لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم يقول لكل امرئ من الذين جاؤا بالافك جزاء ما اجترم من الاثم بحيثه بما جاء به من الاولى عبد الله والذي تولى كبره منهم يقول والذي تحمل معظم ذلك الاثم والافك منهم هو الذي بدأ بالخوض فيه كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله والذي تولى كبره منهم يقول الذي بدأ بذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم

وقاص وكلهم رووا عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فايتهن خرج اسمها خرج بها معه فاقرع بيننا في غزوة قال الزهري هي غزوة المريسيع وذكره البخاري في غزوة بني المصطلق من خزاعة قال وهي غزوة المريسيع أيضا فخرج اسمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرف وقرب من المدينة نزل منزلا ثم أذن بالرحيل فقمت حين أذنوا بالرحيل ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني وأقبلت الى رحلي لمست صدري فاذا عقدي من جزع أظفار قد انقطع فرجعت والتمست عقدي وحبسني طلبه

وأقبل الرهط الذين كانوا يحملون فحملوا هودجي وهم يحسبون اني فيه فلما فى كنت جارية حديثة السن وذهبوا بالبعير فطار رجعت الى مكانى وليس به أحد جلست وقلت يعودون فى طلبي فنمت وقد كان صفوان بن المعطل عكث فى العسكر يتتبع أمتعة الناس فجعله الى المنزل الآخر لئلا يذهب منهم شئ فلما رآنى عرفنى وقال ما خلفك عن الناس فاخبرته الخبر فنزل وتنحى حتى ركبت ثم قاد البعير وافتقدنى الناس حين نزلوا وخاص الناس فى ذكرى (٦٢) فبيناهم فى ذلك اذ هجمت عليهم فتكلم القوم فى وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ومكثنا شهرا اشتكى ولا يرقأ لى دمع أقول كما يقول العبد الصالح أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون الى أن نزل فى ان الذين جاؤا بالافك الى آخر الآيات وفى الحديث طول هذا حاصل سبب النزول وأما التفسير فالافك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين والتركيب يدل على الاجتماع ومنه العصابة قال المفسرون هم عبد الله بن أبي رأس النفاق وزيد ابن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم ومعنى منكم انهم كانوا من جملة من حكم لهم بالايمان ظاهرا أما الخطاب فى قوله لا تحسبوه شرا لكم فالصحيح انه لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعائشة وصفوان ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم على قدر عظم البلاء وانه نزلت فيه بضع عشرة آية فيها تعظيم شان الرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه لام المؤمنين وتطهير لاهل البيت وتهويل للطاعنين فيهم الى غير ذلك من الاحكام الشرعية والآداب العقلية وقيل الخطاب لعائشة وحدها والجمع لتعظيمها وقيل الخطاب للقاذفين وبيان الخيرية صرفهم عن الاستمرار على حديث الافك الى التوبة عن ذلك

قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله عصبة منكم قال أصحاب عبد الله بن أبي ابن سلول ومسطح وحسان قال أبو جعفر له من الله عذاب عظيم يوم القيامة وقد اختلف القراء فى قراءة قوله كبره فقرأ ذلك عامة قراء الامصار كبره بكسر الكاف سوى حميد الاعرج فانه كان يقرؤه كبره بمعنى والذى تحمل أكبره * وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب القراءة التى عليها عوام القراء وهى كسر الكاف لاجماع الحجة من القراء عليها وان الكبر بالكسر مصدر الكبير من الامور وان الكبر بضم الكاف انما هو من الولاء والنسب من قولهم هو كبر قومه والكبر فى هذا الموضع هو ما وصفنا من معظم الاثم والافك فاذ كان ذلك كذلك فالكسر فى كافه هو الكلام الفصيح دون ضمها وان كان لضمها وجه مفهوم وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله والذى تولى كبره منهم الآية فقال بعضهم هو حسان بن ثابت ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن قزعة قال ثنا مسلمة بن علقمة قال ثنا داود عن عامر ان عائشة قالت ما سمعت بشئ أحسن من شعر حسان وما تمثلت به الا رجوت له الجنة قوله لابى سفيان

هجوت محمدا فاجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء
فان أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء
أتشتمه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء
لساني صارم لا عيب فيه * وبحري لا تكدره الدلاء

فقيل يا أم المؤمنين أليس هذا لغوا قالت لا انما اللغو ما قيل عند النساء قيل أليس الله يقول والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت أليس قد أصابه عذاب عظيم أليس قد ذهب بصره وكفح بالسيف قال حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال كنت عند عائشة فدخل حسان بن ثابت فامرت فالقي له وسادة فلما خرج قلت لعائشة ما تصنعين بهذا وقد قال الله ما قال فقالت قال الله والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقد ذهب بصره ولعل الله يجعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن أبي عدى عن شعبة عن سليمان عن أبي الضحى عن مسروق قال دخل حسان بن ثابت على عائشة فشبب ببابيات له فقال

* وتصبح غرثى من لحوم الغوافل * فقالت عائشة أما انك لست كذلك فقلت تدعين هذا يدخل عليك وقد أنزل الله فيه والذى تولى كبره الآية فقالت وأى عذاب أشد من العمى وقالت انه كان يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني محمد بن عثمان الواسطى قال ثنا جعفر بن عوف عن المعلى بن عرفان عن محمد بن عبد الله بن جحش قال تفاخرت عائشة وزينب قالت زينب انا التى نزل تزويجى قال وقالت عائشة أنا التى نزل عذرى فى كتاب حين حلفنى ابن المعطل على الراحلة فقالت لها زينب يا عائشة ما قلت حين ركبتها قالت قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت قلت كلمة المؤمنين وقال آخرون هو عبد الله بن أبي ابن سلول ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان الذين تكلموا فيه المنافق عبد الله بن أبي بن سلول وكان يستوشيه ويجمعه وهو الذى تولى كبره ومسطحا وحسان بن ثابت حدثنا

وقيل الخطاب للقاذفين وبيان الخيرية صرفهم عن الاستمرار على حديث الافك الى التوبة عن ذلك سفيان

ولعل فى هذا الذكر عقوبة مجملة لهم فيكون فى هذا القول الكفارة وضعف هذا القول بانه لا يناسب تسلية الرسول والمؤمنين ولا يطابق قوله لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم أى نصيب كل خائض فى حديث الافك ما عليه من عقاب ما اكتسب من اثم الخوض والذى تولى كبره أى معظم الافك وهو فى قول اكثر العلماء حسان ومسطح ولهذا جلدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع امرأة من قريش والاشهر انه

عبدالله رأس النفاق ويحكى ان صفوان مر بهود جهاوهو فى ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها وروى ان عائشة ذكرت حسانا وقالت ارجوله الجنة فقيل أليس هو الذى تولى كبره فقالت اذا سمعت شعره فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم رجوت له الجنة وفى رواية أخرى قالت وأى عذاب أشد من العمى ثم علم أدبا حسنا فى مثل هذه الواقعة فقال لولا اذ سمعتموه ظن فصل بين لولا (٦٣) التحضيضية وبين فعلها بالظرف لانه يتسع فى الظرف مالا يتسع فى غيره تنزيلا للظرف منزلة المظروف نفسه ولا ، الممكنات لا تنفك عن الظروف والفائدة فيه ان يعلم ان ظن الخير كان يجب عليهم أول ما سمعوه بالافك فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم ومثله ولولا اذ سمعتموه قلتم ثم لا يخفى ان أصل المعنى ان يقال لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم هذا افك ومعنى بانفسكم بالذين منكم من المؤمنين والمؤمنات فعدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ليبالغ فى التوبيخ بطريقة الالتفات وليبنيه لفظا الايمان على ان الاشراك فيه يقتضى أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا عائب بل يقول بكل ما فيه بناء على ظن الخير مصرحا ببراءة ساحته هذا افك مبين وذلك ان المؤمن معه من العقل والدين ما يهديه الى الاصلح و يؤخره عن الأقبح ولم يوجد هذا الداعى والصارف معارض بتساويهما كما قيل كلا زم العدى ضرب من الهذيان فوجب ان لا يلتفت المؤمن الى قول الطاعن فى حق أخيه و يبقى على حسن ظنه به وهذا أدب حسن قل العامل به وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يزيد فيه روى ان أبا أيوب الانصارى قال لام أيوب أما ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله سوأ قال لا قالت لو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير منى وصفوان خير منك وفى الآية دلالة على قول أبى حنيفة ان المسلمين عدول بعضهم على بعض ما لم يظهر منهم ريبة لانا مأمورون بحسن الظن وذلك يوجب قبول الشهادة ومن هنا قال أيضا اذا باع درهما ودينارا بدرهمين ودينارين انا نخالف بينهما لئلا نفقد أمرنا بظن الخير فوجب حمله على ما يجوز ومثله اذا باع سيفا على فيه مائة درهم بمائتى درهم يجعل المائة بالمائة والفضل بالسيف

سفيان قال ثنا محمد بن بشر قال ثنا محمد بن عمرو قال ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن علقمة بن وقاص وغيره أيضا قالوا قالت عائشة كان الذى تولى كبره الذى يجمعهم فى بيته عبد الله بن أبى ابن سلول **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن شهاب قال ثنى عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت كان الذى تولى كبره عبد الله بن أبى **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ان الذين جاؤا الآية الذين افتروا على عائشة عبد الله بن أبى وهو الذى تولى كبره وحسان ومسطح وحمنة بنت جحش **حدثنا** عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنا أبى قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة فى الذين جاؤا بالافك يزعمون انه كان كبر ذلك عبد الله بن أبى بن سلول أحد بنى عوف بن الخزرج وأخبرت أنه كان يحدث به عنهم فيقره ويسمعه ويستوشيه **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أما الذى تولى كبره فعبد الله بن أبى ابن سلول الخبيث هو الذى ابتدأ هذا الكلام وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد والذى تولى كبره هو عبد الله بن أبى ابن سلول وهو بدأه وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال الذى تولى كبره من عصبة الافك كان عبد الله بن أبى وذلك انه لا خلاف بين أهل العلم بالشرع ان الذى بدأ بذكر الافك وكان يجمع أهله و يحدثهم عبد الله بن أبى ابن سلول وفعله ذلك على ما وصفت كان توليه كبر ذلك الامر وكان سبب مجىء أهل الافك ما **حدثنا** به ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن محمد ابن مسلم بن عبد الله بن عبيد بن شهاب قال ثنى عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ما قالوا فبرأها الله وكلهم حدثنى بطائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الذى حدثنى و بعضهم حدثنى يصدق بعضهم بعضا زعموا ان عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها قالت عائشة فاقرع بيننا فى غزاة غزاها فخرج سهمى فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما أنزل الحجاب وأنا أحمل فى هودجى وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل الى المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى الرحل فلمست صدرى فاذا عقد لى من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فاحتملوا هودجى فترحلوه على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون انى فيه قالت وكانت النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما يأكل العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدى بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب

واذا وجدنا امرأة اجنبية مع رجل فاعترفا بالتزويج نصدقهما جلا لعقود المسلمين وتصرفاتهم على الجواز والصحة وزعم مالك انهما يحدان ان لم يقيما بينة على النكاح وقيل ان الآية مختصة بعائشة لان كونها زوجة النبي كالدليل القاطع على ان الذي قيل فيها افك صريح قال العلماء يجوز ان تكون زوجة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولا يجوز ان تكون فاجرة لان الانبياء معصومون عن المنفرات البتة فان حصول المنفر معه ينافي بعثته لكن الكفر غير (٦٤) منفر للكفرة قال وأما الكشحنة فمن أعظم المنفرات قيل في تفسيره الكشفان الذي تجيب امرأته الرجال الى نفسها ويقال كشحنته أي قلت يا كشحان ثم بالغ في زجرهم عن حديث الافك بقوله لولا جاؤا وهي أيضا تحضيضية والمراد التفصيل بين الرمي الصادق والكاذب بثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفائها ولكن هذا العدد وكل فرد منه منتف في حق عائشة فهم في حكم الله وشريعته كاذبون وهذا القدر كاف في الزام أولئك الطاعنين والافهم في نفس الامر بالنسبة الى هذه الواقعة كاذبون كما مر تقريره آنفا ثم زاد في التهديد والزجر بقوله ولولا فضل الله هي لولا الامتناعية قال جمهور المفسرين لولا اني قضيت ان أتفضل عليكم في هذه الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان ارحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك وعن مقاتل ان في الآية تقديما وتأخيرا والمعنى ولولا فضل الله عليكم ورحمته بالحلم عنكم والحكم عليكم بالتوبة لمسكم فيما اندفعتم فيه عذاب عظيم في الدنيا والآخرة معا وتلقي الافك أخذه من أفواه القالة وقوله والاصل تتلقونه بتاءين وقد قرئ به كان الرجل يلقى الرجل فيقول له ماوراءك فيحدثه بحديث الافك حتى طار وانتشر وفي زيادة قوله بافواهكم اشارة الى انه قول لا وجود له الا في العبارة ولا حقيقة لمؤداه في الواقع والقذف وهو كبيرة من الكبائر كما سبق لا سيما قذف زوجة النبي وخاصة نبينا صلى الله عليه وسلم فلهذا قال وهو عند الله عظيم عن بعضهم انه جزع عند الموت فقيل له فقال أخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي النصائح الكبار لا تقولن لشئ من سيئاتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير وصيغهم في الآية بارتكاب ثلاثة آثام تلقي الافك والتكلم بما لا حقيقة له ولا علم لهم به واستهانة عظيمة من العظائم وفيه ان عظم

فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت ان القوم سيفقدوني و يرجعون الي فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت حتى أصبحت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلي فرأى سواد انسان نائم فاتاني فعرفني حين رآني وكان رآني قبل أن يضرب الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما تكلمت بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره عبد الله بن ابي ابن سلول فقدمت المدينة فاشتكيت شهرا والناس يفيضون في قول اهل الافك ولا اشعر بشئ من ذلك وهو يريبني في وجعي انى لا اعرف من رسول الله اللطف الذي كنت أرى منه حين اشتكي انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذلك يريبني ولا اشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت فخرجت مع ام مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب الاول في التنزه وكنا نتاذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا فانطلقت انا وام مسطح وهي ابنة أبي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب فاقبلت أنا وابنة أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها أتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت أي هنتاه أولم تسمعي ما قال قلت وما قال فاخبرتني بقول أهل الافك فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى منزلي ودخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف تيكم فقلت أتأذن لي ان آتي ابوي قال نعم قالت وانا حينئذ ارى ان استثبت الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أبوي فقلت لامي اي امتاه ماذا يتحدث الناس فقالت أي بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا أكثرن عليها قالت قلت سبحان الله أوقد تحدث الناس بهذا وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم قالت فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت فدخل علي أبو بكر وأنا أبكي فقال لامي ما يبكيها فقالت لم تكن علمت ما قيل لها فاقبل يبكي فبكى ساعة ثم قال اسكتي يا بنية فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلي المقبل لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى ظن أبواي ان البكاء سيفلق كبدي فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة ابن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله قالت فاما اسامة فاشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي في نفسه من الود فقال يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم الا خيرا وأما علي فقال لم يضيق الله عليك النساء سواها كثير وان تسأل الجارية تصدقك يعني بريرة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال هل رأيت من شئ يريبك من عائشة قالت له بريرة والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من انها حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه بما هو اهله ثم قال من يعذرني ممن قد بلغني اذاه في اهلي يعني عبد الله بن ابي ابن سلول وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

المعصية لا يتعلق بظن فاعله بل جهله بعظمه ربما يصير مؤكدا لعظمه وفيه ان الواجب على المكلف ان يستعظم الاقدام على كل محرم اذ لا يامن ان يكون عند الله من الكبائر ثم علمهم أدبا آخر ومعنى ما يكون لنا الا ينبغي ولا يصح لنا ومعنى سبحانك تنزيها لله من ان تكون زوجة نبينا الذي هو أحب خلقه اليه فاجرة أو تنزيها من ان يرضى بقذف هؤلاء المقربين ولا يعاقبهم أو هو للتعجب من عظم الامر وذلك انه يسمع الله عند رؤية كل أمر من صنائعه فكثر حتى استعمل في كل متعجب (٦٥) منكم والفرق بين هذه الآية وبين قوله لولا اذ

وهو على المنبر ايضا يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني اذاه في اهلي فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي فقام سعد بن معاذ الانصاري فقال أنا اعذرك منه يا رسول الله ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا الخزرج امرتنا ففعلنا امرك فقام سعد بن عبادة فقال وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال اي سعد بن معاذ لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام اسيد بن حضير وهو ابن عمة سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا في بيت ابوي فبينا هو جالس عندي وانا ابكي استأذنت على امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس عندي ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل وقد لبث شهرا لا يوحى اليه في شأني بشيء قال فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه دمعة قلت لابي أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامي أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت والله ما أدري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن اني والله قد عرفت ان قد سمعتم بهذا حتى استقر في انفسكم حتى كدتم ان تصدقوا به فان قلت لكم اني بريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم اني بريئة لتصدقني واني والله ما أجد لي ولكم مثلا الا كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا والله أعلم اني بريئة وان الله سيبرئني ببراءتي ولكني والله ما كنت اظن ان ينزل في شأني وحي يتلى ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بامر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام رؤيا يبرئني الله بها قالت والله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه قالت فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك كان أول كلمة تكلم بها ان قال أبشري يا عائشة ان الله قد برأك فقالت لي أمي قومي اليه فقلت والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله الذي هو أنزل براءتي فأنزل الله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم عشر آيات فانزل هذه الآيات براءة لي قالت فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة قالت فانزل الله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة حتى بلغ غفور رحيم فقال أبو بكر اني لأحب أن يغفر الله لي فرجع الى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه فقال لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمري وما رأت وما سمعت

( ٩ - (ابن جرير) - الثامن عشر ) الافك بشارکهم في عذاب الدارين من رضي بقولهم وانهم كاهم مؤاخذون بما أظهروه فهم معاقبون على ما أضمروه من محبة اشاعة الفاحشة والفحشاء في المؤمنين لانها دليل على الدغل والنفاق وعدم سلامة القلب والفاحشة والفحشاء ما أفرط قبحه وشيوعها انتشارها وظهورها بحيث يطلع عليها كل أحد وخصوص السبب لا يقتضي خصوص الحكم فهذا الوعيد شامل لكل من أراد بواحد من المؤمنين أو المؤمنات شيئا من المضار

سمعتموه ظن المؤمنون هوان تلك تميل الى العموم وهذه الى الخصوص فكأنه بين ان هذا القذف خاصة مما ليس لهم ان يتفوهوا به لما فيه من ايذاء نبيه وايذاء زوجته التي هي حبيبته بعظم الله بهذه المواعظ التي بها تعرفون عظم هذا الذنب كراهة ان تعودوا أو في شأن ان تعودوا لمثله أبدا أي مدة حياتكم ولا دلالة للمعتزلة في قوله ان كنتم مؤمنين على ان ترك القذف من الايمان لاحتمال انه للتهييج والانزجار ويبين الله لكم أي لانتفاعكم الآيات الدالات على علمه وحكمته وما ينبغي ان يتمسك المكلف به في أبواب صلاح معاشه ومعاده والله عليم حكيم هما صفتان مختلفتان عند المعتزلة ثانيهما أخص من الاول وعند الاشاعرة الثانية للتأكيد المحض والمراد انه يجب قبول تكاليفه وبيانها لانه عالم بما أمر وبما يستحقه كل مأمور وليس في تكليفه عيب ولا عبث ومن كان هذه صفته وجب طاعته لا يثيب ولا يعاقب استدلت المعتزلة بالآية في انه يريد الايمان من الكل ولا لم يكن واعظا ولا مبينا آياته لانتفاعهم ولا حكيما لا يفعل القبائح ولا جواب للاشاعرة الا أن يشاء ما يشاء ولا اعتراض عليه ثم بين بقوله ان الذين يحبون ان أهل

والاذيات وبعضهم حمل الفاحشة على الزنا وخصص من بحب شيوع الفاحشة عبد الله بن أبي وخصص الذين آمنوا بعائشة وصفوان ولا يخفى ما فيه من ضيق العطن الا ان يساعده نقل صحيح وعذاب الدنيا الحد واللعن والذم وما على أهل النفاق من صنوف البلاء ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي وحسانا ومسطحا وقد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وعذاب الآخرة في القبر وفي القيامة هو النار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف قوما يضربون ضربا يسمعه أهل النار وهم الهمازون اللمازون الذين يلمزون عورات المسلمين ويهتكون ستورهم ويشيعون عليهم من الفواحش ما ليس فيهم وعن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن العبد حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه من الخير وأما قوله والله يعلم وأنتم لا تعلمون ففي نهاية حسن الموقع لان الاعمال القلبية محبة الشر أو الخير لا يطلع عليه أحد كما هي الا الله سبحانه وانما نعرف نحن شأنها بالقرائن والامارات وفيه زجر عظيم لمن لا يجتهد في ان يكون قلبه سليما من النفاق والغل وحصول هذا الغل في القلب غير العزم على الذنب فان الاول ملكة والثاني حال. ولا يلزم من ترتب العقاب على الملكات ترتبه على الاحوال فافهم قال أبو حنيفة الغيبة بالفجور لا تستنطق لان استنطاقها اشاعة للفاحشة وانها ممنوع عنها وقالت المعتزلة في الآية دليل على انه تعالى غير خالق للكفر ولا مريد والا كان ممن يحب ان تشيع الفاحشة ولقائل ان يقول قياس الغائب على الشاهد فاسد ثم كرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب والتمكين من التلافي وبالغ فيها بذكر الرؤف والرحيم وجواب لولا محذوف على نسق ما مر وقيل جوابه ما يدل على ذلك في قوله

---

فقالت يا رسول الله أحي سمعي وبصري والله ما رأيت الا خيرا قالت عائشة وهي التي كانت تساميني فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب فهلكت فيمن هلك قال الزهري ابن شهاب هذا الذي انتهى الينا من أمر هؤلاء الرهط **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهري عن علقمة بن وقاص الليثي عن سعيد بن المسيب وعن عروة بن الزبير وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال الزهري كل قد حدثني بعض هذا الحديث وبعض القوم كان أوعى له من بعض قال وقد جمعت لك كل الذي قد حدثني **وحدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال **وحدثني** محمد بن اسحق قال ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قال **وحدثني** عبد الله بن بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصاري عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت وكل قد اجتمع في حديثه قصة خبر عائشة عن نفسها حين قال أهل الافك فبها ما قالوا وكله قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعا ويحدث بعضهم ما لم يحدث بعض وكل كان عنها ثقة وكل قد حدث عنها ما سمع قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه فلما كانت غزاة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع فخرج سهمي عليهن فخرجت برسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت وكان النساء اذ ذاك انما يأكل العلق لم يهبهن اللحم فيثقلن قالت وكنت اذا رحل بعيري جلست في هودجي ثم يأتي القوم الذين يرحلون بعيري ويحملونني فيأخذون باسفل الهودج يرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فينطلقون به قال فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجه قافلا حتى اذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا فبات بعض الليل ثم أذن في الناس بالرحيل فلما ارتحل الناس خرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي من جزع ظفار فلما فرغت انسل من عنقي فلم أجده وقد أخذ الناس في الرحيل قالت فرجعت عودي الى بدئي الى المكان الذي ذهبت اليه فالتمسته حتى وجدته وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون بي البعير ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الاعلى عن ابن ثور ثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت ثم ذكر من شأني الذي ذكروما علمت به قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا وما علمت فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد أشيروا علي في اناس ابنوا أهلي وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطيبا وما علمت والله على أهلي سوأ قط وأبنوهم بمن والله ما علمت عليه سوأ قط ولا دخل بيتي قط الا وأنا حاضر ولا أغيب في سفر الا غاب معي فقام سعد بن معاذ فقال يا رسول الله نرى ان تضرب أعناقهم فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل فقال كذبت أما والله لو كانوا من الاوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم حتى كاد أن يكون بين الاوس والخزرج في المسجد شر وما علمت به فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي ومعي أم مسطح فعثرت فقالت تعس مسطح فقلت علام تسبين ابنك فسكتت ثم عثرت الثانية فقالت تعس مسطح فقلت علام تسبين ابنك فسكتت الثانية ثم عثرت الثالثة فقالت تعس مسطح فانتهرتها وقلت علام تسبين ابنك قالت والله ما أسبه الا في قلت في أي شأني فبقرت الي الحديث فقلت وقد كان هذا قالت نعم والله قالت فرجعت الى بيتي فكأن الذي خرجت له لم أخرج له

---

ما زكى منكم وهو بعيد عن ابن عباس ان الخطاب لحسان ومسطح وحمنة والاقرب العموم ثم نهى عن ولا اتباع آثار الشيطان وسلوك مسالكه والاقتداء به في الاصغاء الى الافك واشاعة الفحشاء وارتكاب ما تنكره العقول وتأباه وقوله فانه يأمر بالفحشاء من وضع السبب مقام المسبب والمراد ضل قالت الاشاعرة في قوله ما زكى بالتشديد والضمير لله وكذا في قوله ولكن الله زكى دلالة على ان الزكاء وهو الطهارة من دنس الآثام لا يحصل الا بالله وهو دليل على انه خالق الافعال والآثار وحمله المعتزلة على منع الالطاف

أو على الحكم بالطهارة وضعف بانه خلاف الظاهر وبانه يجب انتهاء الكل اليه وبان قوله من يشاء ينافي قولكم ان خلق الالطاف واجب عليه ثم علم أدبا آخر جميلا بقوله ولا يأتل وهو افتعل من الالية أي لا يحلف على عدم الاحسان وحرف النفي يحذف من جواب القسم كثيرا فهي كقراءة من قرأ ولا يتأل وقيل هو من قولهم ما ألوت جهدا اذا لم يدخر من الاجتهاد شيأ أي لا يقصر في الاحسان الى المستحقين قالوا نزلت في شان مسطح وكان ابن خالة أبي بكر الصديق فقيرا من فقراء المهاجرين وكان (٦٧) أبو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى

ولا أجد منه قليلا ولا كثيرا ووعكت فقلت يا رسول الله أرسلني الى بيت أبي فارسل معي الغلام فدخلت الدار فاذا انا بامي أم رومان قالت ماجاء بك يا بنية فاخبرتها فقالت خفضي عليك الشان فانه والله ما كانت امرأة جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا حسدنها وقلن فيها قلت وقد علم بها أبي قالت نعم قلت و رسول الله قالت نعم فاستعبرت وبكيت فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فنزل فقال لامي ما شأنها قالت بلغها الذي ذكر من أمرها ففاضت عيناه فقال أقسمت عليك الا رجعت الى بيتك فرجعت فاصبح أبواي عندي فلم يزالا عندي حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعد العصر وقد اكتنفني أبواي عن يميني وعن شمالي فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد يا عائشة ان كنت قارفت سوأ أو ألممت فتوبي الى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده وقد جاءت امرأة من الانصار وهي جالسة فقلت لا تستحي من هذه المرأة أن تقول شيأ فقلت لابي أجبه فقال أقول ماذا قلت لامي أجيبيه فقالت أقول ماذا فلما لم يجيباه تشهدت فحمدت الله وأثنيت عليه بما هو أهله ثم قلت أما بعد فوالله لئن قلت لكم اني لم أفعل والله يعلم اني لصادقة ماذا ينفعني عندكم لقد تكلم به وأشربته قلوبكم وان قلت اني قد فعلت والله يعلم اني لم أفعل لتقولن قد باءت به على نفسها وأيم الله ما أجد لي ولكم مثلا الا كما قال أبو يوسف وما احفظ اسمه فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وانزل الله على رسوله ساعتئذ فرفع عنه واني لاستنير السرور في وجهه وهو يمسح جبينه يقول ابشري يا عائشة فقد انزل الله براءتك فكنت اشد ما كنت غضبا فقال لي أبواي قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا اقوم اليه ولا اجده ولا احمد كما لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه ولكني احمد الله الذي انزل براءتي ولقد جاء رسول الله بيتي فسأل الجارية عني فقالت والله ما أعلم عليها عيبا الا انها تنام حتى كانت تدخل الشاة فتأكل حصيرها أو عجينها فانتهرها بعض أصحابه وقال لها اصدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عروة فعتب على من قاله فقال لا والله ما أعلم عليها الا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الاحمر وبلغ ذلك الرجل الذي قيل له فقال سبحان الله ما كشفت كنف انثى قط فقتل شهيدا في سبيل الله قالت عائشة فما زينب بنت جحش فعصمها الله بدينها فلم تقل الا خيرا وأما أختها حمنة فهلكت فيمن هلك وكان الذين تكلموا فيه المنافق عبد الله بن ابي ابن سلول وكان يستوشيه ويجمعه وهو الذي تولى كبره ومسطح وحسان بن ثابت فحلف ابو بكر ان لا ينفع مسطحا بنافعة فانزل الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة يعني ابا بكر أن يؤتوا أولي القربى والمساكين يعني مسطحا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم قال ابو بكر بلى والله انا نحب ان يغفر الله لنا وعاد ابو بكر لمسطح بما كان يصنع به حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر قال ثنا محمد بن عمرو قال ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن علقمة ابن وقاص وغيره أيضا قال خرجت عائشة تريد المذهب ومعها أم مسطح وكان مسطح بن أثاثة ممن قال ما قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس قبل ذلك فقال كيف ترون فيمن يؤذيني في أهلي ويجمع في بيته من يؤذيني فقال سعد بن معاذ اي رسول الله ان كان منا معشر الاوس جلدنا رأسه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا فاطعنا لك فقال سعد بن عبادة يا ابن معاذ والله ما بك

ان لا ينفق عليه فنزلت فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر فلما وصل الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال أبو بكر بلى أحب ان يغفر الله لي فعفا عن مسطح و رجع الى الانفاق عليه قال والله لا انزعها أبدا قال الامام فخر الدين الرازي هذه الآية تدل على أفضلية أبي بكر الصديق من وجوه وذلك ان الفضل المذكور في الآية لا يراد به السعة في المال والا لزم التكرار فهو الفضل في الدين ولكنه مطلق غير مقيد فثبت له الفضل على الاطلاق تركنا العمل به في حق النبي صلى الله عليه وسلم بالاتفاق فبقي في الغير معمولا به وأيضا ذكره الله تعالى في الآية بلفظ الجمع وانه مشعر بالتعظيم وأيضا قيل وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند فهذا الظلم من مسطح كان في غاية العظم وقد أمره الله تعالى بالصفح عنه وامتثل هو فكان فيه نهاية جهاد النفس فيكون ثوابه على حسب ذلك وأيضا تسمية أولي الفضل والسعة شرف تام فكأنه قيل له أنت أفضل من ان تقابل انسانا بسوء وأنت أوسع قلبا من ان تقيم الدنيا وزنا فلا يليق بفضلك وسعة قلبك ان يقطع برك عمن أساء اليك

وأيضا أمره الله تعالى بالعفو والصفح وقال لنبيه فاعف عنهم واصفح فهو من هذه الجهة ثاني اثنين له في الاخلاق وأيضا علق المغفرة بالعفو وقد حصل العفو فحصل المغفرة البتة في الحال وفي الاستقبال لقوله ان يغفر فهو للاستقبال فيكون كما قال لنبيه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وفيه دليل على حقية خلافته والا كان عاصيا والعاصي في النار وليس النهي في قوله ولا يأتل نهي زجر عن المعصية ولكنه ندب الى الاولى والافضل وهو العفو عن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل اخلاق المسلمين العفو وعنه صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد فاضل

حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه واعلم ان العلماء أجمعوا على ان مسطحا كان من تبناه أبي بكر بالقذف أو رمى به على الروايتين عن ابن عباس ولهذا حده رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمعوا أيضا على انه من البدريين وقد ورد فيهم الخبر الصحيح اعمل الله نظر الى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فكيف الجمع بين الامرين أجابوا بانه ليس المراد من قوله اعملوا ما شئتم انهم خارجون عن حد التكليف وانما المراد اعملوا من (٦٨) النوافل ما شئتم قليلا أو كثيرا فقد أعطيتكم الدرجات العاليات في الجنة أو أراد حسن حالهم في العاقبة انهم يوافون بالطاعة فكأنه قال قد غفرت لكم لعملي بانكم تموتون على التوبة والانابة قالت الاشاعرة في وصف مسطح ومدحه بكونه من المهاجرين دليل على ان ثواب كونه مهاجرا لم يحبط باقدامه على القذف فيكون القول بالمحابطة باطلا استدل جمهور الفقهاء بالآية في قول من فسر الائتلاء بالحلف على ان اليمين على الامتناع من الخير غير جائزة وانما يجوز اذا جعلت داعية للخير لا صارفة عنه ثم قالوا من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فينبغي له ان يأتي بالذي هو خير ثم يكفر عن يمينه كما جاء في الحديث واقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وهو عام في حديث جانب الخير وفي غيره ومثله ما ورد في قصة أيوب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولو كان الحنث كفارة لم يؤمر بضرب الضغث عليها وقال بعض العلماء انه يأتي بالذي هو خير وذلك كفارته لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت بالذي هو خير وذلك كفارته ولانه تعالى أمر أبا بكر في هذه الآية بالحنث ولم يوجب عليه كفارة وأجيب بان معنى الكفارة في الحديث تكفير الذنب لا الكفارة الشرعية التي هي احدى الخصال وانما ذهبنا الى هذا ليكون مطابقا للحديث الآخر من حلف على يمين قالت

نصرة رسول الله ولكنها قد كانت ضغائن في الجاهلية وأحن لم تحلل لنا من صدورنا بعد فقال ابن معاذ الله أعلم ما اردت فقام أسيد بن حضير فقال يا ابن عبادة ان سعدا ليس سديدا ولكنك تجادل عن المنافقين وتدفع عنهم وكثر اللغط في الحيين فما زال النبي صلى الله عليه وسلم يرمي بيده الى الناس ههنا وههنا حتى هدأ الصوت وقالت عائشة كان الذي تولى كبره والذي يجمعهم في بيته عبد الله بن أبي ابن سلول قالت فخرجت الى المذهب ومعي ام مسطح فعثرت فقالت تعس مسطح فقلت غفر الله لك اتقولين هذا لابن لك وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ذلك مرتين وما شعرت بالذي كان فدخلت فذهب عني الذي خرجت له حتى ما أجد منه شيأ ورجعت على أبوي أبي بكر وأم رومان فقلت أما تقيمان الله في وما صلتما رحمي قال النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال وتحدث الناس بالذي تحدثوا به ولم تعلماني به فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت اي بنية والله لقل ما أحب رجل قط امرأته الا قالوا الهالها نحوا الذي قالوا لك اي بنية ارجعي الى بيتك حتى نأتيك فيه فرجعت وارتكفني صاحبي حتى جاءنا أبواي فدخلا وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس على سرير وجاهي فقال اي بنية ان كنت صنعت ما قال الناس فاستغفري الله وان لم تكوني صنعتيه فاخبري رسول الله بعذرك قلت ما اجدلي ولكم الا كأبي يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت فالتمست اسم يعقوب فما قدرت او فلم اقدر عليه فشخص بصر رسول الله الى السقف وكان اذا نزل عليه وجد قال الله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا فوالذي هو اكرمه وانزل عليه الكتاب ما زال يضحك حتى اني لانظر الى نواجذه سرورا ثم مسح عن وجهه فقال يا عائشة ابشري قد انزل الله عذرك قلت بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد اصحابك قال الله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم حتى بلغ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة وكان ابو بكر حلف ان لا ينفع مسطحا بنافعة وكان بينهما رحم فلما انزلت ولا يأتل اولوا الفضل منكم حتى بلغ والله غفور رحيم قال ابو بكر بلى اي رب فعاد الى الذي كان لمسطح ان الذين يرمون المحصنات حتى بلغ اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم قالت عائشة والله ما كنت ارجو ان ينزل في كتاب ولا اطمع به ولكن ارجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا تذهب ما في نفسه قالت وسأل الجارية الحبشية فقالت والله لعائشة اطيب من طيب الذهب وما جاءت عيب الا انها تؤتى حتى تدخل الشاة فتاكل الشاة عجينها ولئن كانت صنعت ما قال الناس ليخبرنك الله فهمها بهذا القول في تاويل قوله تعالى (لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين) وهذا عتاب من الله تعالى ذكره اهل الايمان به فيما وقع في انفسهم من ارجاف من ارجف في امر عائشة بما ارجف به يقول لهم تعالى ذكره هلا أيها الناس اذ سمعتم ما قال اهل الافك في عائشة ظن المؤمنون منكم والمؤمنات بانفسهم خيرا ولم يظنوا به انه أتى الفاحشة وقال بانفسهم لان أهل التاويل كلهم بمنزلة نفس واحدة لانهم أهل ملة واحدة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال اهل الذين ذكرمن قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن أبيه عن بعض رجال بني النجار ان أبا أيوب خالد بن زيد قال له امرأته أم أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة قال بلى وذلك الكذب أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب

فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه وأما هذه الآية فانها لم يذكر فيها الكفارة لانها معاومة من آية المائدة قوله ان الذين يرمون المحصنات قد مر تفسير المحصنة وأما الغافلات فهن السليمات الصدور والنقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر بحسب الغريزة أو لقلة التجارب وقد يعين على ذلك صغر السن وغير ذلك من الاحوال قال الاصوليون خصوص السبب لا يمنع العموم فيدخل في

الآية قذفة عائشة وقذفة غيرها بخصه بعض المفسرين فمنهم من قال المراد عائشة وحدها والجمع للتعظيم ومنهم من قال عائشة مع سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال هي أم المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة المشاكلة لهافي الاحصان والغفلة والايمان وذكر وافي سبب التخصيص ان قاذف سائر المحصنات تقبل توبته لقوله الا الذين تابوا وأما القذف المذكور في هذه الآية فوعيده مطلق من غير استثناء وأجيب بانه طوى ذكر التوبة في هذه الآية لكونها (٦٩) معلومة وقد يحتج للمخصص بما روى عن ابن عباس انه كان بالبصرة يوم عرفة فسئل عن تفسير هذه الآية فقال من أذنب ذنبا ثم تاب قبلت توبته الا من خاض في أمر عائشة ومنهم من قال نزلت الآية في مشرك مكة حين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وكانت المرأة اذا خرجت الى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من أهل مكة وقالوا انما خرجت لتفجر أما شهادة الجوارح فلا اشكال فيها عند الاشاعرة لانهم يقولون البنية ليست شرطا في الحياة فيجوز ان يخلق الله تعالى في الجوهر الفرد علما وقدرة وكلاما وقالت المعتزلة المتكلم هو فاعل الكلام فيكون الكلام المضاف الى الجوارح هو في الحقيقة من الله تعالى ويجوز ان يبني الله هذه الجوارح على خلاف ما عليها ويجوز ها الى ان تشهد على الانسان وتخبر عن أعماله ومعنى ختم أفواههم الحق الجزاء المستحق وقال في الكشاف معنى قوله هنا والحق المبين العادل الظاهر العدل وقال غيره سمي حقا لانه يحق عباده أو لانه الموجود بالحقيقة وما سواه فوجوده مستعار زائل والمبين ذو البيان الصحيح أو المظهر للموجودات فالحاصل انه واجب الوجود لذاته مفيد الوجود لغيره ثم ختم الآيات الواردة في أهل الافك بكلمة جامعة وهي قوله

قالت لا والله ما كنت لافعله قال فعائشة والله خير منك قال فلما نزل القرآن ذكر الله من قال الفاحشة ما قال من أهل الافك ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم وذلك من حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا ثم قال لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون الآية كما قال أبو أيوب وصاحبته **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا ما هذا الخير ظن المؤمن ان المؤمن لم يكن ليفجر بامه وان الام لم تكن لتفجر بابنها ان أراد أن يفجر فر بغير أمه يقول انما كانت عائشة أما والمؤمنون بنون لها فحرم ما عليها وقرأ لولا جاؤا عليه بار بعة شهداء الآية **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا قال لهم خيرا الا ترى انه يقول لا تقتلوا أنفسكم يقول بعضكم بعضا وسلموا على أنفسكم قال يسلم بعضكم على بعض **حدثنا** ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا يعني بذلك المؤمنين والمؤمنات وقوله وقالوا هذا افك مبين يقول وقال المؤمنون والمؤمنات هذا الذي سمعناه من القول الذي رمي به عائشة من الفاحشة كذب واثم بين لمن عقل وفكر فيه انه كذب واثم وبهتان كما **حدثنا** ابن بشار قال ثنا هوذة قال أخبرنا عوف عن الحسن وقالوا هذا افك مبين قالوا ان هذا لا ينبغي أن يتكلم به الا من أقام عليه أربعة من الشهود وأقيم عليه حد الزنا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لولا جاؤا عليه بار بعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) يقول تعالى ذكره هلا جاء هؤلاء العصبة الذين جاؤا بالافك ورموا عائشة بالبهتان بار بعة شهداء يشهدون على مقالتهم منها ما رموها به فاذ لم يأتوا بالشهداء الاربعة على حقيقة ما رموها به فأولئك عند الله هم الكاذبون يقول فالعصبة الذين رموها بذلك عند الله هم الكاذبون فيما جاؤا به من الافك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) يقول تعالى ذكره ولولا فضل الله عليكم أيها الخائضون في أمر عائشة المشيعون فيها الكذب والاثم بتركه تعجيل عقوبتكم ورحمته اياكم لعفوه عنكم في الدنيا والآخرة بقبول توبتكم مما كان منكم في ذلك لمسكم فيما خضتم فيه من أمرها عاجلا في الدنيا عذاب عظيم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته هذا الذين تكلموا فنشر واذلك الكلام لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) يقول تعالى ذكره لمسكم فيما أفضتم فيه من شأن عائشة عذاب عظيم حين تلقونه بالسنتكم واذ من صلة قوله لمسكم ويعني بقوله تلقونه تتلقون الافك الذي جاءت به العصبة من أهل الافك فتقبلونه وير وي به بعضكم على بعض يقال تلقيت هذا الكلام عن فلان بمعنى أخذته منه وقيل ذلك لان الرجل منهم فيما ذكر يلقى آخر فيقول أو ما بلغك كذا وكذا عن عائشة ليشيع عليها بذلك الفاحشة وذكر انها في قراءة أبي اذ تتلقونه بتاءين وعليها قراءة الامصار غير انهم قرؤها تلقونه بتاء واحدة لانها كذلك في مصاحفهم وقد روي عن

الخبيثات يعني الكلمات التي تخبث موادها ويستقذرها من يخاطب بها ويجها سمعه كالكلمات أهل الافك ويجوز ان يراد بالخبيثات مضمون الآيات الواردة في وعيد القذفة لان مضمونها ذم ولعن وهو يستكره طبعا وان كان نفس الكلمة التي هي من قبل الله سبحانه طيبا وعلى الوجهين يراد بالخبيثين الرجال والنساء جميعا لانه غلب الرجال والحاصل ان الخبيثات من القول تقال أو تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون من الصنفين معرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات والطيبون فأولئك الطيبون مبرؤن مما يقول الخبيثون

الروايات سبعمائة وفي بعضها سبعين ألفا قال العلماء الحجب ثلاثة أقسام حجب ظلمانية محضة وحجب من نور وظلمة وحجب نورانية صرفة أما المحجوبون بالاول فهم الذين بلغوا في الاشتغال بالعلائق البدنية الى حيث لا يلتفت خاطرهم الى الاستدلال بالمصنوعات على الصانع وأما المحجوبون بالثاني فهم الذين اعتقدوا في الممكنات انها غنية عن المؤثر فنفس تصورالاستغناء عن الغير نور لانه من صفات الله تعالى ولكن اعتقاد حصوله لمن لا يليق به ظلمة فهذا حجاب ممزوج من نور وظلمة وأما المحجوبون بالثالث فهم الذين استغرقوا في بحار صفات الله وأفعاله فاحتجبوا بالصفات عن الذات فعرف من هذا تقرير ان الحجب لا تكاد تتناهى حيث لا نهاية للممكنات ولا انحصار للاسلوب والاضافات ولكن الحديث ورد على ما هو المتعارف في باب التكثير ولنرجع الى التفسير قال الفراء المشكاة الكوة في الجدار غير النافذة وهذا القول أصح عند أئمة اللغة وهي من لغة العرب ومنه المشكاة للزق الصغير وقيل هي بلغة الحبشة وعن ابن عباس وأبي موسى الاشعري ان المشكاة هي القائم الذي في وسط القنديل الذي يدخل فيه الفتيلة وهو قول مجاهد والقرظبي ومثله قول الزجاج هي قصبة القنديل من الزجاجة التي توضع فيها الفتيلة وقال الضحاك هي الحلقة التي يتعلق بها القنديل والمصباح السراج الضخم الثاقب وأصله من الضوء ومنه الصبح والدري فمن قرأ بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر أي أبيض متلألأ ومن قرأ بالهمز مضموم الدال كريق أو مكسورها كسكيت فمعناه انه يدرأ الظلام بضوئه وقال أبو عبيد ان ضممت الدال وجب أن لا تهمز لانه ليس في كلام العرب فعيل ومن همز من القراء فانما أراد فعول على صبوح فاستثقل فرد بعضه الى الكسر والدراري من الكواكب هي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وما يضاهيها من الثوابت والاعمان التي هي في العظم الاول ومعنى من شجرة مباركة ان ابتداء تقويمه من شجرة مباركة كثيرة المنافع وهي الزيتون عن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانها مصحة من الناسور وقيل سميت مباركة لانها تنبت في الارض التي بارك الله فيها للعالمين

(٩٤) في الممكنات انها غنية عن المؤثر فنفس تصور الاستغناء عن الغير نور لانه من صفات

النعمة من قبلها واذا بينت ذلك لمن التبسه من قبلها فبين الله ذلك فيها فبأي القراءتين قرأ القارئ فصيب في قراءته الصواب وقوله ومثلا من الذين خلوا من قبلكم من الامم وموعظة لمن اتقى الله تخاف عقابه وخشي عذابه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم) يعني تعالى ذكره بقوله الله نور السموات والارض هادي من في السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم فيه نحو الذي قلنا ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله الله نور السموات والارض يقول الله سبحانه هادي أهل السموات والارض حدثني سليمان بن عمر بن خلدة البرقي قال ثنا وهب بن راشد عن فرقد عن أنس بن مالك قال ان الهي يقول نوري هداي وقال آخرون بل معنى ذلك الله مدبر السموات والارض ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وابن عباس في قوله الله نور السموات والارض يدبر فيهما نجومها وشمسها وقمرها وقال آخرون بل معنى بذلك النور الضياء وقالوا معنى ذلك ضياء السموات والارض ذكر من قال ذلك حدثني عبد الاعلى بن واصل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قول الله الله نور السموات والارض قال فبدأ بنور نفسه فذكره ثم ذكر نور المؤمن وانما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك لانه عقيب قوله ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين فكان ذلك بأن يكون خبرا عن موقع يقع تنزيله من خلقه ومن مدح ما ابتدأ بذكر مدحه أولى وأشبه مما لم يأت ما يدل على انقضاء الخبر عنه من غيره فاذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام ولقد أنزلنا اليكم أيها الناس آيات مبينات الحق من الباطل ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين فهدينا كم بها وبينا لكم معالم دينكم بها لا في هادي أهل السموات وأهل الارض ونور لهم وصل الكلام بالذم وابتدأ الخبر عن هداية خلقه ابتداء وفيه المعنى الذي ذكرت استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره ثم ابتدأ في الخبر عن مثل هدايته خلقه بالآيات المبينات التي أنزلها اليهم فقال مثل نوره كمشكاة فيها مصباح يقول مثل ما أنار من الحق بهذا التنزيل في بيانه كمشكاة وقد اختلف أهل التأويل في المعني بالهاء في قوله مثل نوره على ما هي عائدة ومن ذكر ما هي فقال بعضهم هي من ذكر المؤمن وقالوا معنى الكلام مثل نور المؤمن الذي في قلبه من الايمان والقرآن مثل مشكاة ذكر من قال ذلك حدثنا عبد الاعلى بن واصل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قول الله مثل نوره قال ذكر نور المؤمن فقال مثل نوره يقول مثل نور المؤمن قال وكان أبي يقرؤها كذلك مثل المؤمن قال هو المؤمن قد جعل الايمان والقرآن في صدره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر الرازي عن أبي العالية عن أبي بن كعب الله نور السموات والارض مثل نوره قال بدأ بنور نفسه فذكره ثم قال مثل نوره يقول مثل نور من آمن به قال وكذلك كان يقرأ أبي قال هو عبد جعل الله القرآن

أو بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام فقوله زيتونة بدل من شجرة ومعنى لا شرقية ولا غربية انها في أكثر الشام وزيتونها أجود الزيتون والشام قريب من وسط العمارة ليس على الطرف الشرقي من الربع المسكون ولا على الطرف الغربي منه وعن الحسن أراد شجرة الزيت في الجنة اذ لو كانت من شجر الدنيا لكانت اما شرقية أو غربية وضعف بان المثل انما يضرب بما يشاهدون وانهم ما شاهدوا شجرة الجنة وقيل أراد انها شجرة مكفوفة بالاشجار أو بأوراقها فلا تصيبها الشمس في مشرق ولا مغرب وزيف بان الغرض هو صفاء الزيت ولا يحصل الا بكمال النضج وذلك يتوقف عادة على وصول أثر الشمس الى الشجرة وعن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وهو اختيار الفراء والزجاج المراد أنها ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغدوة والعشي جميعا لانها في موضع مكشوف فيكون فيه دليل على كمال النضج الموجب لصفاء الزيت ومنهم من قال لا في مضحى ولا في مقتاة وهي المكان الذي لا تطلع عليه الشمس ولكن الظل والشمس يتعاقبان عليها وذلك أجود لكمال الثمرة قال صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقتاة ولا نبات في مقتاة ولا خير في مضحى ثم وصف الزيت بالصفا والبريق وانه لتلألؤه يكاد يضيء من غير نار فاذا مسته النار ازداد ضوأ على ضوء فهذا ما يتعلق بحل الالفاظ على ظاهر التفسير أما ما يتعلق بالمعنى فنقول ان جمهور المتكلمين ذهبوا الى انه تعالى شبه الهداية وهي الآيات البينات في الظهور والجلاء بالمشكاة التي تكون فيها زجاجة صافية وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء وانما اختار هذا التشبيه دون ان يقول انها كالشمس في الظهور والوضوح لان الغالب على أوهام الخلق وخيالاتهم انما هو الشبهات التي هي كالظلمات وهداية الله تعالى فيما بينها كالضوء الكامل وهذا المقصود لا يحصل من ضرب المثل بالشمس لانها اذا طلعت لم تبق ظلمة أصلا والامور التي اعتبرها الله سبحانه في هذا المثال منها كون المصباح في المشكاة وذلك ليكون أجمع للنور وأعون لتكاثف الاشعة وأصون له عن تعرض الرياح زعم بعضهم ان في الكلام قلبا

والايمان في صدره **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير مثل نوره قال مثل نور المؤمن **حدثني** علي بن الحسن الازدي قال ثنا يحيى عن أبي سنان عن ثابت عن الضحاك في قوله مثل نوره قال نور المؤمن وقال آخرون بل عنى بالنور محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الهاء التي في قوله مثل نوره عائدة على اسم الله ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن حفص عن شمر قال جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال له حدثني عن قول الله عز وجل الله نور السموات والارض الآية فقال كعب الله نور السموات والارض مثل نوره مثل محمد صلى الله عليه وسلم كمشكاة **حدثني** علي بن الحسن الازدي قال ثنا يحيى بن اليمان عن أشعث عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير في قوله مثل نوره قال محمد صلى الله عليه وسلم وقال آخرون بل عنى بذلك هدى الله وبيانه وهو القرآن قالوا والهاء من ذكر الله قالوا ومعنى الكلام الله هادي أهل السموات والارض بآياته المبينات وهي النور الذي استنار به السموات والارض مثل هداه وآياته التي هدى بها خلقه وعظمهم بها في قلوب المؤمنين كمشكاة ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس مثل نوره مثل هداه في قلب المؤمن **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله مثل نوره قال مثل هذا القرآن في القلب كمشكاة **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله مثل نوره نور القرآن الذي أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعباده هذا مثل القرآن كمشكاة فيها مصباح قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الله بن عباس قال قال زيد بن أسلم في قول الله تبارك وتعالى الله نور السموات والارض مثل نوره ونوره الذي ذكر القرآن ومثله الذي ضربه له وقال آخرون بل معنى ذلك مثل نور الله وقالوا يعني بالنور الطاعة ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وذلك ان اليهود قالوا لمحمد كيف يخلص نور الله من نور السماء فضرب الله مثل ذلك لنوره فقال الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة قال وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى طاعته نورا ثم سماها أنوارا ثنى وقوله كمشكاة اختلف أهل التأويل في معنى المشكاة والمصباح وما المراد بذلك وبالزجاجة فقال بعضهم المشكاة كل كوة لا منفذ لها وقالوا هذا مثل ضربه الله لقلب محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص عن شمر قال جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال له حدثني عن قول الله مثل نوره كمشكاة قال المشكاة وهي الكوة ضرب بها الله مثلا لمحمد صلى الله عليه وسلم المشكاة فيها مصباح المصباح قلبه في زجاجة الزجاجة صدره كأنها كوكب دري شبه صدر النبي صلى الله عليه وسلم بالكوكب الدري ثم رجع المصباح الى قلبه فقال توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية لم تسمها شمس المشرق ولا شمس المغرب يكاد زيتها يضيء يكاد محمد يبين للناس وان لم يتكلم انه نبي فلما كان ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله كمشكاة يقول موضع الفتيلة **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثنا عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الله نور السموات والارض الى كمشكاة قال المشكاة كوة البيت وقال آخرون

والمراد بمشكاة في مصباح والصحيح انه لاحاجة اليه لان هذا تشبيه مركب ولهذا قال جار الله أراد صفة نوره العجيبة الشأن في الاضاءة كصفة مشكاة ومنها كون المصباح في زجاجة صافية فان تعاكس الانوار من جوانب الزجاجة يزيد المصباح نورا ومنها كون المصباح متقدا بدهن الزيت فليس في الادهان ما يدانيه في اللمعان (٩٦) والتطويس ومنها كون الزيت من شجرة بارزة للشمس فان ذلك يدل على كمال نضج الثمرة ونهاية صفاء دهنها وأما الامام الغزالي رضي الله عنه فانه يقول المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت عبارة عن المراتب الخمس الانسانية فاولها القوة الحساسة التي هي أصل الروح الحيواني ويوجد للصبي بل لكل حيوان وأوفق مثال لها من عالم الاجسام المشكاة لان تلك القوى تخرج من عدة ثقب كالعينين والاذنين والمخرين والفم وثانيتها القوة الخيالية التي تحفظ ما يورده الحواس مخزونا عندها لتعرضه على القوة العقلية التي فوقها عند الحاجة اليه وأنت لا تجد شيأ في عالم الاجسام يشبه الخيال سوى الزجاجة فانها في الاصل جوهر كثيف ولكن صفي ورقق حتى صار بحيث لا يحجب نور المصباح بل يؤديه على وجهه ثم يحفظه عن الانطفاء بالرياح العاصفة كذلك الخيال من طينة العالم السفلي الكثيف بدليل ان الشيء المتخيل ذو قدر وشكل وحد ولكنه اذا صفي وهذب صار موازيا للمعاني العقلية ومؤديا لانوارها ولذلك يستدل المعبر بالصور الخيالية على المعاني كما يستدل بالشمس على الملك وبالقمر على الوزير وبمن يختم فروج الناس وأفواههم على انه مؤذن يؤذن في رمضان قبل الصبح وتالتها القوة العقلية القوية على ادراك الماهيات الكلية والمعارف اليقينية ولا يخفى وجه تمثيله بالمصباح كما مر في تسمية النبي سراجا وحين كان الحس كالمقدمة للخيال وهي كالمقدمة للعقل الحسن قيل ان المشكاة كالظرف للزجاجة التي هي كالظرف للمصباح ورابعها القوة الفكرية القوية على التقسيمات والاستنتاجات فانها مثال الشجرة المثمرة واذا كانت ثمرتها مادة ازدياد أنوار المعارف فبالحري ان لا تشبه الا بشجرة الزيتون لان لب ثمرتها هو الزيت الذي هو

---

عنى بالمشكاة صدر المؤمن وبالمصباح القرآن والايمان وبالزجاجة قلبه ذكر من قال ذلك حدثني عبد الاعلى بن واصل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع ابن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال مثل المؤمن قد جعل الايمان والقرآن في صدره كمشكاة قال المشكاة صدره فيها مصباح قال والمصباح القرآن والايمان الذي جعل في صدره المصباح في زجاجة قال والزجاجة قلبه الزجاجة كأنها كوكب دري نوقد قال فمثله مما استنار فيه القرآن والايمان كانه كوكب دري يقول مضيء توقد من شجرة مباركة والشجرة المباركة أصله المباركة الاخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له لا شرقية ولا غربية قال فمثل شجرة التف بها الشجرة فهي خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس على أي حال كانت لا اذا طلعت ولا اذا غربت وكذلك هذا المؤمن قد أجير من أن يصيبه شيء من الغير وقد ابتلي بها فيثبته الله فيها فهو بين أربع خلال ان أعطي شكر وان ابتلي صبر وان حكم عدل وان قال صدق فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الاموات قال نور على نور فهو يتقلب في خمسة من النور فكلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة في الجنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني يحيى بن اليمان عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال المشكاة صدر المؤمن فيها مصباح قال القرآن قال حدثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب نحو حديث عبد الاعلى عن عبيد الله ثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس مثل نوره كمشكاة قال مثل هداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوء كذلك يكون قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل ان يأتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور كما قال ابراهيم صلوات الله عليه قبل أن تجيئه المعرفة قال هذا ربي حين رأى الكوكب من غير أن يخبره أحد أن له ربا فلما أخبره انه ربه ازداد هدى على هدى حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وذلك أن اليهود قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم كيف يخلص نور الله من دون السماء فضرب الله مثل ذلك لنوره فقال الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح والمشكاة كوة البيت فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري والمصباح السراج يكون في الزجاجة وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى طاعته نورا وسماها أنوارا حتى قوله توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية قال هي شجرة لا يئ عليها ظل شرق ولا ظل غرب ضاحية ذلك أصفى الزيت يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار قال معمر وقال الحسن ليست من شجر الدنيا ليست شرقية ولا غربية وقال آخرون هو مثل للمؤمن غير أن المصباح ومافيه مثل لفؤاده والمشكاة مثل لجوفه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وابن عباس جميعا المصباح ومافيه مثل فؤاد المؤمن وجوفه المصباح مثل الفؤاد والكوة مثل الجوف قال ابن جريج كمشكاة كوة غير نافذة قال ابن جريج وقال ابن عباس قوله نور على نور يعني ايمان المؤمن وعمله وقال آخرون بل ذلك مثل للقرآن في قلب المؤمن ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن

مادة المصباح وله من سائر الادهان مناسبة بزيادة الاشراق وقلة الدخان واذا كانت المناسبة تسمى مباركة لكثرة درها ونسلها فالذى لا يتناهى ثمرته الى حد محدود أولى ان يسمى مباركا واذا كانت شعب الافكار العقلية المحضة مجردة عن لواحق الاجسام تناسب ان يقال لها الاشراقية ولاغربية وتناسبها القوة القدسية النبوية التى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه (٩٧) نار نور على نور وأما الشيخ الرئيس أبو على بن سينا

الحسن فى قوله الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة قال ككوة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله الله نور السموات والارض مثل نوره نور القرآن الذى أنزل على رسوله وعباده فهذا مثل القرآن كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة فقر أحتى بلغ مباركة فهذا مثل القرآن يستضاء به فى نوره ويعملونه ويأخذون به وهو كما هو لا ينقص فهذا مثل ضربه الله لنوره وفى قوله يكاد زيتها يضىء قال الضوء اشراق ذلك الزيت والمشكاة التى فيها الفتيلة التى فى المصباح والقناديل تلك المصابيح **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن سعيد بن عياض فى قوله كمشكاة قال الكوة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن عطية فى قوله كمشكاة قال قال ابن عمر المشكاة الكوة وقال آخرون المشكاة القنديل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله كمشكاة قال القنديل ثم العمود الذى فيه القنديل **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كمشكاة الصفر الذى فى جوف القنديل **حدثنى** اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن رجل عن مجاهد قال المشكاة القنديل وقال آخرون المشكاة الحديد الذى يعلق به القنديل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد ابن المفضل قال ثنا هشيم قال ثنا داود بن أبى هند عن مجاهد قال المشكاة الحديد التى يعلق بها القنديل * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال ذلك مثل ضربه الله للقرآن فى قلب أهل الايمان به فقال مثل نور الله الذى أنار به لعباده سبيل الرشاد الذى أنزله اليهم فآمنوا به وصدقوا بما فيه فى قلوب المؤمنين مثل مشكاة وهى عمود القنديل الذى فيه الفتيلة وذلك هو نظير الكوة التى تكون فى الحيطان التى لا منفذ لها وانما جعل ذلك العمود مشكاة لانه هو نافذ وهو أجوف مفتوح الاعلى فهو كالكوة التى فى الحائط التى لا تنفذ ثم قال فيها مصباح وهو السراج وجعل السراج وهو المصباح مثلا لما فى قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات ثم قال المصباح فى زجاجة يعنى ان السراج الذى فى المشكاة فى القنديل وهو الزجاجة وذلك مثل للقرآن يقول القرآن الذى فى قلب المؤمن الذى أنار الله قلبه فى صدره ثم مثل الصدر فى خلوصه من الكفر بالله والشك فيه واستنارته بنور القرآن واستضاءته بآياته المبينات ومواعظه فيها بالكوكب الدرى فقال الزجاجة وذلك صدر المؤمن الذى فيه قلبه كأنها كوكب درى واختلفت القراء فى قراءة قوله درى فقرأته عامة قراء الحجاز درى بضم الدال وترك الهمز وقرأه بعض قراء البصرة والكوفة درىء بكسر الدال وهمزة وقرأ بعض قراء الكوفة درىء بضم الدال وهمزة وكأن الذين ضموا داله وتركوا الهمزة وجهوا معناه الى ما قاله أهل التفسير الذى ذكرنا عنهم من ان الزجاجة فى صفائها وحسنها كالدر وانها منسوبة اليه لذلك من نعتها وصفتها وجه الذين قرؤا ذلك بكسر داله وهمزه الى انه فعيل من درئ الكوكب أى دفع ورجم به الشيطان من قوله ويدرأ عنها العذاب أى دفع والعرب تسمى الكواكب العظام التى لا تعرف أسماءها الدراري بغير همز وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول هى الدراري بالهمز من بدرأن واما الذين قرؤه بضم داله وهمزه فان كانوا أرادوا به درء مثل سبوح وقدوس من درأت ثم استثقلوا كثرة الضمات فيه فصرفوا بعضها الى

فانه نزل الامثلة الخمسة على مراتب ادراكات النفس الانسانية المشهورة فالمشكاة هى العقل الهيولانى وهو الاستعداد المحض والزجاجة هى العقل بالملكة وهى قوة النفس حين حصل لها البديهيات وأمكن لها باواسطتها السترقى الى النظريات والانتقال الى الكسبيات ثم ان كان الانتقال ضعيفا فهى الشجرة وتسمى فكرا وان كان قويا فهى الزيت ويسمى حدسا وان كان فى النهاية القصوى سميت قوة قدسية وهى التى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور ثم اذا حصل لها المعارف والعلوم المكتسبة بالعقل بحيث تقدر على ملاحظتها متى شاءت من غير تجشم كسب جديد فهو المصباح ويسمى عقلا بالفعل وغايته ان تكون المعقولات حاضرة عندها متمثلة لها كأنها تشاهدها وهى نور على نور ويسمى عقلا مستفادا أما الاول فلان الملكة نور ومشاهدة تلك الملكة نور آخر وأما الثانى فلان ذلك غاية الاستفادة ونهاية التحصيل وزعم الشيخ ان المخرج من العقل الهيولانى الى الملكة ثمنها الى العقل التام هو العقل الفعال مدبر ماتحت كرة القمر عند الحكماء وعبر عنه فى الآية بالنار وعن مقاتل أنه قال مثل نوره أى مثل نور الايمان فى قلب محمد كمشكاة فيها مصباح فالمشكاة نظير صلب عبد الله والزجاجة نظير جسد محمد والشجرة النبوة والرسالة وقيل المشكاة نظير ابراهيم عليه السلام والزجاجة نظير اسمعيل والمصباح نظير جسد محمد وعن أبى بن كعب انه قرأ مثل نوره من آمن به ورأيت فى كتب الشيعة عن على رضى الله عنه مرفوعا القمر وجهان يعنى بهما أهل السموات والارضين وعلى الوجهين مكتوب أندرون ما كتابته

فقالوا الله ورسوله أعلم فقال على وجه السموات الله نور السموات والارض وعلى وجه الارض محمد على نور الارضين وقيل المشكاة جسد محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح ما في قلبه من الدين والشجرة ابراهيم عليه السلام ووصفه من شجرة كقوله واتبعوا ملة ابراهيم ومعنى لا شرقية ولا غربية انه ابراهيم لم يكن يصلي قبل المشرق كالنصارى ولا قبل المغرب كاليهود بل كان يصلي قبل الكعبة وهي ما بين المشرق والمغرب ومعنى يكاد زيتها يضيء ان نور محمد يكاد يتبين للناس قبل ان يتكلم قاله كعب وقال الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحي ومن هنا قال عبد الله بن رواحة لولم يكن فيه آيات مبينة * كانت بديهته تنبيك بالخبر وقال يحيى بن سلام قلب المؤمن نوري يعرف الحق قبل ان يتبين له وافقته له وهو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقيل يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل ان يأتيه العلم به ولهذا تزداد نورا على نور وقال أبي بن كعب المؤمن بين أربع خلال ان أعطي شكر وان ابتلي صبر وان قال صدق وان حكم عدل فهو في سائر الناس كالرجل الحي الذي يمشي بين أموات يتقلب في خمس من النور كلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة قال الربيع سألت أبا العالية عن مدخله ومخرجه فقال سره وعلانيته قالت الاشاعرة في قوله يهدي الله لنوره من يشاء اشارة الى ان هذه الدلائل مع وضوحها لا تكفي ولا تنفع ما لم يخلق الله الايمان فيه وقالت المعتزلة أراد يهدي الله لطريق الجنة أو أراد بقوله من يشاء الذين بلغهم حد التكليف والهدى يحمل على زيادات الالطاف التي هي ضد الخذلان ولهذا قال في الكشاف

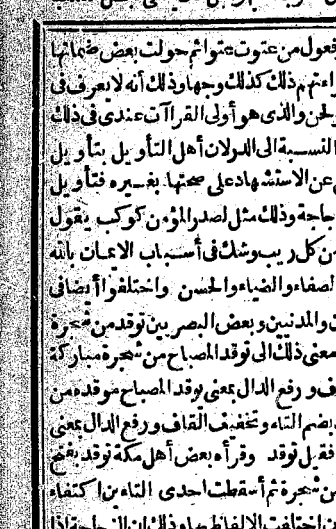

الكسرة فقالوا دري وكما قيل وقد بلغت من الكبر عتيا وهو فعول من عتوت عتوا ثم حولت بعض ضمتها الى الكسر فقيل عتيا فهو مذهب والا فلا أعرف لصحة قراءتهم ذلك كذلك وجها وذلك أنه لا يعرف في كلام العرب فعيل وقد كان بعض أهل العربية يقول هو لحن والذي هو أولى القراآت عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأه دري بضم داله وترك الهمزة على النسبة الى الدرء لان أهل التأويل بتأويل ذلك جاؤا وقد ذكرنا أقوالهم في ذلك قبل فغني ذلك مكتفى عن الاستشهاد على صحتها بغيره فتأويل الكلام الزجاجة وهي صدر المؤمن كأنها يعني كأن الزجاجة وذلك مثل لصدر المؤمن كوكب يقول في صفائها وضيائها وحسنها وانما يصف صدره بالنقاء من كل ريب وشك في أسباب الايمان بالله وبعده من دنس المعاصي كالكوكب الذي يشبه الدر في الصفاء والضياء والحسن واختلفوا أيضا في قراءة قوله توقد من شجرة مباركة فقرأ ذلك بعض المكيين والمدنيين وبعض البصريين توقد من شجرة بالتاء وفتحها وتشديد القاف وفتح الدال وكأنهم وجهوا معنى ذلك الى توقد المصباح من شجرة مباركة وقرأه بعض عامة قراء المدنيين توقد بالياء وتخفيف القاف ورفع الدال بمعنى يوقد المصباح موقده من شجرة ثم لم يسم فاعله وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة توقد بضم التاء وتخفيف القاف ورفع الدال بمعنى يوقد الزجاجة موقدها من شجرة مباركة بما لم يسم فاعله فقيل توقد وقرأه بعض أهل مكة توقد بفتح التاء وتشديد القاف وضم الدال بمعنى تتوقد الزجاجة من شجرة ثم أسقطت احدى التاءين اكتفاء بالباقية من الذاهبة وهذه القراآت متقاربات المعاني وان اختلفت الالفاظ بها وذلك ان الزجاجة اذا وصفت بالتوقد أو بانها توقد فمعلوم معنى ذلك فان المراد به توقد فيها المصباح أو يوقد فيها المصباح ولكن وجهوا الخبر الى أن وصفها بذلك أقرب في الكلام منها وفهم السامعين معناه والمراد منه فاذا كان ذلك كذلك فبأي القراءتين قرأ القارئ فصيب غير أن أعجب القراآت الى أن اقرأ بها في ذلك توقد بفتح التاء وتشديد القاف وفتح الدال بمعنى وصف المصباح بالتوقد لان التوقد لا تتقد لاشك أنه ما من صفته دون الزجاجة فمعنى الكلام اذن تمثيل نفيها مصباح المصباح من دهن شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية وقد ذكرنا بعض ما روي عن بعضهم من الاختلاف في ذلك فيما قد مضى ونذكر باقي ما حضرنا مما لم نذكره قبل فقال بعضهم انما قيل لهذه الشجرة لا شرقية ولا غربية أي ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس اذا غربت وانما لها تصيبها من الشمس بالعشاء ما دامت بالجانب الذي يلي الشرق ثم لا يكون لها تصيب منها اذا مالت الى جانب الغرب ولا هي غربية وحدها فتصيبها الشمس بالعشي اذا مالت الى جانب الغرب ولا تصيبها بالغداة ولكنها شرقية غربية تطلع عليها الشمس بالغداة وتغرب عليها فيصيبها حر الشمس بالغداة والعشي قالوا واذا كانت كذلك كان أجود لزيتها ذكر من قال ذلك **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة في قوله زيتونة لا شرقية ولا غربية قال لا يستره من الشمس جبل ولا واد اذا طلعت واذا غربت **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا حرمي بن عمارة قال ثنا شعبة قال أخبرني عمارة عن عكرمة في قوله لا شرقية ولا غربية قال الشجرة تكون في مكان لا يستره من الشمس شيء تطلع عليها وتغرب عليها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال مجاهد وابن عباس لا شرقية ولا غربية قال لا هي التي تشق الجبل التي يصيبها شروق الشمس وغروبها اذا طلعت اصابتها واذا غربت اصابتها وقال آخرون بل معنى ذلك ليست شرقية ولا غربية ذكر من قال ذلك **حدثني**

معناه يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر معنى الانصاف وجانب جانب المراء والاعتساف ولم يكن كالاعمى الذي يستوي عنده جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وأكد ذلك بقوله ويضرب الله الامثال للناس يعني النبي والمكلفين من أمته قالوا انما ذكره في معرض الانعام ولو كان الكل يخلق الله تعالى لما تمكنوا من الانتفاع بالمثل فلا يكون نعمة ثم زاد في التأكيد بقوله والله بكل شيء

* اهم فيه تحذيرا ان لا يفهم منه مكرر ولا معتبر ولا يستدل ولا ينظر قوله في بيوت اعترض أبو مسلم على قول من قال انه يتعلق بكمشكاة أو بتوقد لان كون المشكاة في بعض بيوت الله لا تزيد المصباح انارة واضاءة وأيضا الموصوف واحد فلا يكون الا في مكان واحد وقوله في بيوت أمكنة متعددة ولا يصح ان يكون شئ واحد في أمكنة متعددة في حالة واحدة وكذا (٩٩) لو جعل في بيوت صفة مصباح أو زجاجة أو كوكب وأجيب بان هذه صفة موضحة لا مميزة وذلك ان المشكاة تكون غالبا في بيوت العبادة أو المشكاة التي فيها مصباح اذا كانت في مثل هذه البيوت الرفيعة كانت أعظم وأكثر ضخامة فيكون في باب التمثيل أدخل وعن الثاني انه أريد بالمشكاة النوع لا الواحد كما لو قيل الذي يصلح لخدمتي رجل يرجع الى علم وكفاية وقناعة يلزم بيته فانه يراد به النوع لا الواحد وذهب أبو مسلم الى انه راجع الى قوله ومثلا من الذين خلوا أي الانبياء والمؤمنين الذين مضوا وكانوا ملازمين لبيوت العبادة واعترض عليه بتفكك النظم اذ ذاك وبان الذين خلوا هم المكذبون والاكثرون على ان البيوت هي المساجد والاذن الامر والرفع التعظيم أو البناء وعن عكرمة هي البيوت كلها ومعنى الرفع البناء وذكر اسم الله غام في كل ذكر وعن ابن عباس ان يتلى فيها كتابه وقيل لا يتكلم فيها بما لا ينبغي والتسبيح تنزيه الله عما لا يليق به وقيل الصلوات الخمس وقيل صلاتا الصبح والعصر وكانتا واجبتين فقط في أول الاسلام فزيد فيهما وعن ابن عباس ان صلاة الضحى لفي كتاب الله وتلا هذه الآية والاولى العموم قيل خص الرجال بالذكر لانهم من أهل الجماعات دون النساء ويحتمل ان يقال لانهم أصل والنساء تبع واختلفوا في لا تلهيهم تجارة فقيل نفي الالهاء لانه لا تجارة ولا بيع كقوله * ولا ترى الضب فيها ينجحر * وقيل أثبت التجارة والبيع وبين انهم مع ذلك لا يشغلهم شئ عن ذكر الله وهذا قول الاكثرين عن الحسن أما والله ان كانوا ليتجرون ولكن اذا جاءت فرائض الله لم تلههم عنها شئ وما الفرق بين التجارة والبيع وقيل الاول عام لان صناعة التاجر قد يقع فيها البيع وقد يقع فيها الشراء وخص البيع لان الربح فيه يقين

سليمان بن عبد الجبار قال ثني محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس لا شرقية ولا غربية قال هي شجرة وسط الشجر ليست من الشرق ولا من الغرب **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله زيتونة لا شرقية ولا غربية متيامنة الشام لا شرقي ولا غربي وقال آخرون ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عوف عن الحسن في قول الله لا شرقية ولا غربية قال والله لو كانت في الارض لكانت شرقية أو غربية ولكنها هو مثل ضربه الله لنوره **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عثمان يعني ابن الهيثم قال ثنا عوف عن الحسن في قول الله زيتونة لا شرقية ولا غربية قال لو كانت في الارض هذه الزيتونة كانت شرقية أو غربية ولكن والله ما هي في الارض وانما هو مثل ضربه الله لنوره **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن في قوله لا شرقية ولا غربية قال هذا مثل ضربه الله ولو كانت هذه الشجرة في الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية * وأولى هذه الاقوال بتأويل ذلك قول من قال انها شرقية غربية وقال ومعنى الكلام ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشي دون الغداة ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب فهي شرقية غربية وانما قلنا ذلك أولى بمعنى الكلام لان الله انما وصف الزيت الذي توقد على هذا المصباح بالصفاء والجودة فاذا كان شجره شرقيا غربيا كان زيته لا شك أجود وأصفى وأضوء وقوله يكاد زيتها يضيء يقول تعالى ذكره يكاد زيت هذه الزيتونة يضيء من صفائه وحسن ضيائه ولو لم تمسسه نار يقول فكيف اذا مسته النار وانما أريد بقوله توقد من شجرة مباركة ان هذا القرآن من عند الله وانه كلامه فجعل مثله ومثل كونه من عنده مثل المصباح الذي توقد من الشجرة المباركة التي وصفها جل ثناؤه في هذه الآية وعنى بقوله يكاد زيتها يضيء ان حجج الله تعالى ذكره على خلقه تكاد من بيانها ووضوحها تضيء لمن فكر فيها ونظر وأعرض عنها ولها ولو لم تمسسه نار يقول ولو لم يزدها الله بيانا ووضوحا بانزاله هذا القرآن اليهم منبها لهم على توحيده فكيف اذا نبههم به وذكرهم بآياته فزادهم به حجة الى حجج علموها قبل ذلك فذلك بيان من الله ونور على البيان والنور الذي كان قد وضعه لهم ونصبه قبل نزوله وقوله نور على نور يعني النار على هذا الزيت الذي كاد يضيء ولو لم تمسسه النار كما **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نور على نور قال النار على الزيت قال أبو جعفر وهو عندي كما ذكرت مثل القرآن ويعني بقوله نور على نور وهذا القرآن نور من عند الله أنزله الى خلقه يستضيئون به على نور على الحجج والبيان الذي قد نصبه لهم قبل مجيء القرآن وانزاله اياه مما يدل على حقيقة وحدانيته فذلك بيان من الله ونور على البيان والنور الذي كان وصفه لهم ونصبه قبل نزوله وذكر عن زيد بن أسلم في ذلك ما **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الله بن عباس قال قال زيد بن أسلم في قوله نور على نور يضيء بعضه بعضا يعني القرآن وقوله يهدي الله لنوره من يشاء يقول تعالى ذكره يوفق الله لاتباع نوره وهو هذا القرآن من يشاء من عباده وقوله ويضرب الله الامثال للناس يقول ويمثل الله الامثال والاشباه للناس كما مثل لهم مثل هذا القرآن في قلب المؤمن بالمصباح في المشكاة وسائر ما في هذه الآية من الامثال والله بكل شئ عليم يقول والله يضرب الامثال وغيرها من الاشياء كلها ذو علم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (في

وفى الشراء مثلون فالبيع أدخل فى الالهاء وقيل أراد بالتجارة الشراء أطلق الاسم الجنس على النوع وقال الفراء التجارة لأهل الجلب يقال تجر فلان فى كذا اذا جلبه من غير بلده وذكر الله دعاؤه والثناء عليه بما هو أهله وقيل هو الصلاة ومن هنا قال ابن عباس أراد بإقام الصلاة اتمامها بمواقيتها وبإيتاء الزكاة طاعة الله  والاخلاص له والثناء فى اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال فلما أضيفت أقيمت

بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) يعنى تعالى ذكره بقوله فى بيوت أذن الله أن ترفع كمشكاة فيها مصباح فى بيوت أذن الله أن ترفع كما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد المشكاة التى فيها الفتيلة التى فيها المصباح قال المصابيح فى بيوت أذن الله أن ترفع قال أبو جعفر قد يحتمل أن تكون فى من صلة توقد فيكون المعنى توقد من شجرة مباركة ذلك المصباح فى بيوت أذن الله أن ترفع ويعنى بالبيوت المساجد وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم بالذى قلنا فى ذلك ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد ونصر بن عبد الرحمن الاودى قال ثنا حكام عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قول الله فى بيوت أذن الله أن ترفع قال المساجد **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله فى بيوت أذن الله أن ترفع وهى المساجد كره ونهى عن اللغو فيها **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله فى بيوت أذن الله أن ترفع يعنى كل مسجد يصلى فيه جامع أو غيره **حدثنى** محمد بن عمر وقال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فى بيوت أذن الله أن ترفع قال مساجد تبنى **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله فى بيوت أذن الله أن ترفع قال فى المساجد قال أخبرنا معمر عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون قال أدركت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون المساجد بيوت الله وانه حق على الله ان يكرم من زاره فيها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن سالم بن عمر فى قوله فى بيوت أذن الله ان ترفع قال هى المساجد **حدثنى** يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فى بيوت أذن الله ان ترفع قال المساجد وقال آخرون عنى بذلك البيوت كلها ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد ونصر بن عبد الرحمن الاودى قالا حدثنا حكام بن سالم عن اسمعيل ابن أبى خالد عن عكرمة فى بيوت أذن الله ان ترفع قال هى البيوت كلها وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك لدلالة قوله يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله على انها بيوت بنيت للصلاة فاذ ذلك قلنا هى المساجد واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله أذن الله ان ترفع فقال بعضهم معناه أذن الله ان تبنى ذكر من ذلك **حدثنى** محمد بن عمر وقال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أذن الله ان ترفع قال تبنى **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال آخرون معناه أذن الله ان تعظم ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله أذن الله ان ترفع يقول ان تعظم لذكره وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب القول الذى قاله مجاهد وهو ان معناه أذن الله ان ترفع بناء كما قال جل ثناؤه واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وذلك ان ذلك هو الاغلب من معنى الرفع فى البيوت والابنية وقوله ويذكر فيها اسمه يقول وأذن لعباده ان يذكروا اسمه فيها وقد قيل عنى به انه أذن

الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ثم حكى ان هؤلاء الرجال مع ماذكر من الطاعة والاخلاص موصوفون بالوجل والخوف من أهوال يوم القيامة وتقلب القلوب اضطرابها من الهول والفزع وتقلب الابصار شخوصها أو المراد تقلب أحوالهما فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها وتدرك الابصار بعد ان كانت عمياء عن النظر والاعتبار وكانهم انقلبوا من الشك والغفلة الى اليقين والمعاينة وقال الضحاك ان القلوب تزول عن أماكنها فتبلغ الحناجر والابصار تصير زرقا وقال الجبائى يحتمل ان يراد تقلبها على جرهم أو تغير ماهياتها بسبب ما ينالها من العذاب فتكون مرة بهيئة ما أنضج بالنار ومرة بهيئة ما أحرق وقيل ان القلوب تتقلب فى ذلك اليوم من طمع النجاة الى الخوف عن الهلاك والابصار تتقلب من أى ناحية يؤخذ بهم أمن ناحية اليمين أم من ناحية الشمال ومن أى جهة يعطون كتابهم أمن قبل الايمان أو من قبل الشمائل قوله ليجزيهم متعلق بما قبله لفظا أو معنى أى يسبحون ويخافون أو يفعلون هذه القربات ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم وهو الواحد بعشر الى سبع مائة وأكثر وقيل أراد بالاحسن الحسنات أجمع وهى الطاعات فرضها ونفلها قال مقاتل انما ذكر الاحسن تنبيها على انه لا يجازيهم على مساوى أعمالهم بل يغفرها لهم وقال القاضى أراد ذلك ان تكون الطاعات منهم مكفرا لما عاصيهم فيصح ان الله تعالى يجزيهم بأحسن الاعمال وهذا مبنى على مذهبه فى الاحباط والموازنة ومعنى ويزيدهم من فضله كقوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقوله والله يرزق من يشاء بغير حساب قدم ذكر تشريفه فى البقرة وحسن بين

قال المؤمن انه تكون في الدنيا في النور وبسببه تكون منه كالعمل الصالح وفي الآخرة يفوز بالنعيم المقيم والثواب العظيم اتبعه ببيان ان الكافر يكون في الدنيا في أنواع الظلمات وفي الآخرة في أصناف الحسرات وضرب لكل من حاليه مثلا أما المثل الدال على حيرته في الآخرة فذلك قوله والذين كفروا أعمالهم كسراب قال الازهري هو ما يترآى للعين وقت الضحى الاكبر في الفلوات شبيها بالماء الجاري كأنه يسرب على وجه الارض أي يذهب وأما الآل فهو ما يترآى في أول النهار وظاهر كلام الخليل أنه لم يفرق بينهما والقيعة بمعنى القاع وهو المستوى من الارض وقال الفراء هي جمع قاع كجيرة في جار والظمآن الشديد العطش ووجه التشبيه ان الكافر يأتي ببعض أعمال البر ويعتقد ثوابا عليه فاذا وافى عرصة القيامة ولم يجد الثواب بل وجد العقاب عظمت حسرته وتناهى غمه وحيرته فيشبه حاله حال الظمآن الذي يشتد حاجته الى ما يحييه ويبقيه فاذا شاهد السراب تعلق قلبه به رجاء للمياه فاذا جاءه ولم يجد شيأ عظم غمه وطال حزنه قال مجاهد السراب عمل الكافر وإتيانه اياه موته وفراقه الدنيا وههنا سؤال وهو انه كيف قال جاءه فأثبت انه شيء لان العدم لا يتصور المجيء اليه ثم قال لم يجده شيأ فنفى كونه شيأ والجواب أراد شيأ نافعا كما يقال فلان ما عمل شيأ وان كان قد اجتهد أو المراد جاء موضع السراب فلم يجد هناك شيأ أو أراد انه تخيل أولا ضياء ماء وهباء شبيه الماء وذلك باعانة من شعاع الشمس فاذا قرب منه رق وانبث وصار هواء وهذا قول الحكماء وقوله وجد الله أي وجد عقاب الله أو وزبانية الله يأخذونه فيعاونه الى جهنم فيستقرونه الجحيم والغساق خلاف ما يتصور من الراحة والنعيم قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام وأما المثل الآخر فهو قوله أو كظلمات وقد يقال معنى أو أنه شبه أعمالهم الحسنة بالسراب والقبيحة بالظلمات أو الاول لاعمالهم الظاهرة والثاني لعقائدهم الفاسدة واللجي العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر والظلمات ظلمة البحر وظلمة السحاب

لهم بتلاوة القرآن فيها ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ثم قال ويذكر فيها اسمه يقول يتلى فيها كتابه وهذا القول قريب المعنى مما قلناه في ذلك لان تلاوة كتاب الله من معاني ذكر الله غير ان الذي قلنا به أظهر معنيه فلذلك اخترنا القول به وقوله يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله اختلفت القراء في قراءة قوله يسبح له فقرأ ذلك عامة قراء الامصار يسبح له بضم الياء وكسر الباء بمعنى يصلي له فيها رجال وبجعل يسبح فعلا للرجال وخبرا عنهم وترفع به الرجال سوى عاصم وابن عامر فانهما قرآ ذلك يسبح له بضم الياء وفتح الباء على ما لم يسم فاعله ثم يرفعان الرجال بخبر ثان مضمر كأنهما أرادا يسبح لله في البيوت التي أذن الله ان ترفع فسبح له رجال فرفعا الرجال بفعل مضمر والقراءة التي هي أولاهما بالصواب قراءة من كسر الباء وجعله خبرا للرجال وفعلا لهم وانما كان الاختيار رفع الرجال بمضمر من الفعل لو كان الخبر عن البيوت لا يتم الا بقوله يسبح له فيها فاما والخبر عنها دون ذلك تام فلا وجه لتوجيه قوله يسبح له الى غيره فالى غير الخبر عن الرجال وعنى بقوله يسبح له فيها بالغدو والآصال يصلي له في هذه البيوت بالغدوات والعشيات رجال ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** علي بن الحسن الازدي قال ثنا المعافى بن عمران عن سفيان عن عمار الدهني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كل تسبيح في القرآن فهو صلاة **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ثم قال يسبح له فيها بالغدو والآصال يقول يصلي له فيها بالغداة والعشي يعني بالغدو صلاة الغداة ويعني بالآصال صلاة العصر وهما أول ما افترض الله من الصلاة فاحب ان يذكرهما ويذكر مواعيدها **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال أذن الله ان تبنى فيصلى فيها بالغدو والآصال **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول في قوله يسبح له فيها بالغدو والآصال يعني الصلاة المفروضة وقوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يقول تعالى ذكره لا يشغل هؤلاء الرجال الذين يصلون في هذه المساجد التي أذن الله ان ترفع عن ذكر الله فيها واقام الصلاة تجارة ولا بيع كما **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سعيد بن أبي الحسن عن رجل نسي اسمه في هذه الآية في بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الى قوله والابصار قال هم قوم في تجاراتهم وبيوعهم لا تلهيهم تجاراتهم ولا بيوعهم عن ذكر الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا جعفر بن سليمان عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبد الله انه نظر الى قوم من السوق قاموا وتركوا بياعاتهم الى الصلاة فقال هؤلاء الذين ذكر الله في كتابه لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية قال **حدثنا** الحسين قال ثنا هشيم عن سيار عن حدثه عن ابن مسعود نحو ذلك **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن سيار قال **حدثت** عن ابن مسعود انه رأى قوما من أهل السوق حين نودي بالصلاة تركوا بياعاتهم وتمضوا الى الصلاة فقال عبد الله هؤلاء ممن الذين ذكر الله في كتابه لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال بعضهم معنى ذلك لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن صلاتهم المفروضة عليهم ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ثم قال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يقول عن الصلاة

كذا الكافر له ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل قاله الحسن وعن ابن عباس قلبه وبصره وسمعه وقيل ظلمة في جسده مظلم والظاهر ان الجمع للتكثير وان أنواع الضلالات والاباطيل اجتمعت فيه والضمير في أخرج للواقع في الظلمات بدل عليه قرينة الحال ومعنى لم يكد يراها لم يقرب ان يراها ونفي القرب من الرؤية أبلغ من نفي الرؤية نفسها وقد مر هذا البحث في البقرة في قوله وما كادوا يفعلون قالت الاشاعرة في قوله ومن لم يجعل الله له نورا دلالة على ان الهداية بتخليق الله تعالى وبجعله وحمله المعتزلة على منح الالطاف وقد مر أمثال ذلك مرارا وما وصف أنوار المؤمنين وظلمات الكافرين صرح بدلائل التوحيد فقال مستفهما على سبيل التقرير ألم تر أن الله يسبح له وقد مر مثله في سورة سبحان والخطاب لكل من له أهلية النظر أو للرسول وقد علمه من جهة الاستدلال ومعنى صافات أنهن يصففن أجنحتهن في الهواء والضمير في علم لكل أو لله عز وجل وعلى الاول فالضمير في صلاته وتسبيحه اما لكل أو لله والمعنى كل مسبح قد علم صلاته التي تليق بحاله أو صلاة الله التي كلفه اياها وعلى الثاني فالضمير فيهما لكل والصلاة بمعنى الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها والاستقصاء في حكاياتهن مذكور في خواص الحيوانات ولا سيما في كتاب عجائب المخلوقات ثم بين ان المبدأ منه والمعاد اليه فقال ولله ملك السموات الآية ثم ذكر دليلا آخر من الآثار العلوية قائلا ألم تر أن الله يزجي سحابا أي يسوقه بالرياح ثم يؤلف بينه أي بين أجزائه أي يجمع قطع السحاب فيجعلها سحابا واحدا مترا كما سادا للافق فترى الودق المطر أو القطر يخرج من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل قوله من السماء يكون من جبال فيها من برد الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض على ان قوله من جبال مفعول ينزل والثالثة للبيان أو الاولى للبيان والثالثة للتبعيض ومعناه انه ينزل بعض البرد من السماء من جبال فيها وقد مر في أول البقرة في قوله أو كصيب من السماء معنى البرد وانه بحار يجمد

المكتوبة وقوله وأقام الصلاة يقول ولا يشغلهم ذلك أيضا عن اقام الصلاة بحدودها في أوقاتها وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن بشار قال ثنا محمد قال ثنا عوف عن سعيد بن أبي الحسن عن رجل نسي عوف اسمه في وأقام الصلاة قال يقومون للصلاة عند مواقيت الصلاة فان قال قائل أوليس قوله وأقام الصلاة مصدرا من قوله أقمت قيل بلى فان قال أوليس المصدر منه اقامة كالمصدر من أجرت اجارة قيل بلى فان قال وكيف قال وأقام الصلاة أو تجيز أن يقول أقمت اقاما قيل ولكني أجيز أن يجيئ اقام الصلاة فان قيل وما وجه جواز ذلك قيل ان الحكم في أقمت اذا جعل منه مصدر أن يقال اقواما كما يقال اقعدت فلانا اقعادا وأعطيته اعطاء ولكن العرب لما سكنت الواو من أقمت فسقطت لاجتماعها وهي ساكنة والميم وهي ساكنة بنوا المصدر على ذلك اذ جاءت الواو ساكنة قبل ألف الافعال وهي ساكنة فسقطت الاولى منهما فابدلوا من انهاها في آخر الحرف كالتكثير للحرف كما فعلوا ذلك في قولهم وعدته عدة وزنته زنة اذ ذهبت الواو من أوله كثروه من آخره بالهاء فلما اضيفت الاقامة الى الصلاة حذفوا الزيادة التي كانوا زادوها للتكثير وهي الهاء في آخرها لان الخافض وما خفض عندهم كالحرف الواحد فاستغنوا بالمضاف اليه من الحرف الزائد وقد قال بعضهم في نظير ذلك

ان الخليط أجدوا البين فانجردوا * وأخلفوك عد الامر الذي وعدوا

يريد عدة الامر فاسقط الهاء من العدة فلما أضافها فكذلك ذلك في اقام الصلاة وقوله وايتاء الزكاة قيل معناه واخلاص الطاعة لله ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وقوله وأوصاني بالصلاة والزكاة وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا وقوله وحنانا من لدنا وزكاة ونحو هذا في القرآن قال يعني بالزكاة طاعة الله والاخلاص يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار من هوله بين طمع بالنجاة وحذر بالهلاك والابصار أي ناحية يؤخذ بهم ذات اليمين أم ذات الشمال ومن أين يؤتون كتبهم أمن قبل الايمان أم من قبل الشمائل وذلك يوم القيامة كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال عبد الله بن عباس قال زيد بن أسلم في قول الله في بيوت أذن الله أن ترفع الى قوله تتقلب فيه القلوب والابصار يوم القيامة وقوله ليجزيهم الله أحسن ما عملوا يقول فعلوا ذلك يعني انه لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا ربهم مخافة عذابه يوم القيامة كي يثيبهم الله يوم القيامة باحسن أعمالهم التي عملوها في الدنيا ويزيدهم على ثوابه اياهم على أحسن أعمالهم التي عملوها في الدنيا من فضله فتفضل عليهم من عنده بما أحب من كرامته لهم وقوله والله يرزق من يشاء بغير حساب يقول تعالى ذكره يتفضل على من شاء وأراد من طوله وكرامته مما لم يستحقه بعمله ولم يبلغه بطاعته بغير حساب يقول بغير محاسبة على ما بذل له وأعطاه ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) وهذا مثل ضربه الله لاعمال أهل الكفر به فقال والذين جحدوا توحيد ربهم وكذبوا بهذا القرآن وبمن جاء به مثل أعمالهم التي عملوها كسراب بقيعة مثل سراب والسراب ما لصق بالارض وذلك يكون نصف النهار وحين يشتد الحر والآل ما كان كالماء بين السماء والارض وذلك

بعد ما استحال قطرات ماء قال علماء المفسرين ان في السماء جبالا من برد خلقها الله فيها كما في خلق في الارض جبالا من حجر وقال أهل المعنى السماء ههنا هو الغيم المرتفع على رؤس الناس والمراد بالجبال الكثرة كما يقال فلان عنده جبال من ذهب ثم بين بقوله فيصيب به الى آخر الآية انه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها كيف يشاء أو يهلك بالبرد من يشاء  ان يعذبه به ويعصم منه من يشاء ان يعصمه ويريهم ضياء البرق في السحاب بحيث يكاد يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما في الطول والقصر وفي كل ذلك معتبر لذوي الابصار والذين يترقون من المصنوع الى الصانع ويستدلون بالمحسوسات على الغائب منتقلين من ظلمة التقليد الى نور البرهان ثم ذكر دليلا آخر من عجائب خلق الحيوان فقال والله خلق كل دابة من ماء قال علماء المعاني التنكير في ماء للتنويع أي خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو خلق الكل من ماء مخصوص وهو النطفة وعلى التقديرين الوحدة نوعية الا ان شموله على التقدير الثاني أكثر وانما عرف في قوله وجعلنا من الماء كل شئ حي لانه قصد هناك معنى آخر وهو ان أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وعن القفال ان قوله من ماء صفة دابة لا صلة خلق والمعنى ان كل دابة متولدة من ماء فهي مخلوقة لله تعالى واحتر زبها عن الاعتراض الذي ذكرناه في سورة الانبياء وهو ان بعض الاحياء لم يخلقهم الله من الماء وقيل نزل الغالب منزلة الكل أو أراد بالدابة من يدب على وجه الارض ومسكنهم هناك وكل منها اما متولد من النطفة واما بحيث لا يعيش الا بالماء ثم بين ان أصلهم وان كان واحدا الا ان

---

يكون أول النهار ورفع كل شئ ضحى وقوله بقيعة وهي جمع قاع كالحيرة جمع حار والقاع ما انبسط من الارض واتسع وفيه يكون السراب وقوله يحسبه الظمآن ماء يقول يظن العطشان من الناس السراب ماء حتى اذا جاءه والهاء من ذكر السراب والمعنى حتى اذا جاء الظمآن السراب لم يساوه ماء يستغيث به من عطشه لم يجده شيأ يقول لم يجد السراب شيأ فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي عملوها في غرور يحسبون أنها تنجيهم عند الله من عذابه كما حسب الظمآن الذي رأى السراب فظنه ماء يرويه من ظمئه حتى اذا هلك وصار الى الحاجة الى عمله الذي كان يرى انه نافعه عند الله لم يجده ينفعه شيأ لانه كان عمله على كفر بالله ووجد الله هذا الكافر عنده هلاكه بالمرصاد فوفاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا وجازاه بها جزاءه الذي يستحقه عليها منه فان قال قائل وكيف قيل حتى اذا جاءه لم يجده شيأ فان لم يكن السراب شيأ فعلام أدخلت الهاء في قوله حتى اذا جاءه قيل انه شئ يرى من بعيد كالضباب الذي يرى كثيفا من بعيد والهباء فاذا قرب منه المرء رق وصار كالهواء وقد يحتمل أن يكون معناه حتى اذا جاء موضع السراب لم يجد السراب شيأ فاكتفى بذكر السراب من ذكر موضعه والله سريع الحساب يقول والله سريع حسابه لانه تعالى ذكره لا يحتاج الى عقد أصابع ولا حفظ بقلب ولكنه عالم بذلك كله قبل أن يعمله العبد ومن بعد عمله وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** عبد الاعلى بن واصل قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال ثم ضرب مثلا آخر فقال والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة قال وكذلك الكافر يجيء يوم القيامة وهو يحسب أن له عند الله خيرا فلا يجد فيدخله النار **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر الرازي عن أبي العالية عن أبي بن كعب بنحوه **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله أعمالهم كسراب بقيعة يقول الارض المستوية **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة الى قوله والله سريع الحساب قال هو مثل ضربه الله لرجل عطش فاشتد عطشه فرأى سرابا فحسبه ماء فطلبه وظن انه قد قدر عليه حتى أتاه فلما أتاه لم يجده شيأ وقبض عند ذلك يقول الكافر كذلك يحسب أن عمله مغن عنه أو نافعه شيأ ولا يكون آتيا على شئ حتى يأتيه الموت فاذا أتاه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيأ ولم ينفعه الا كما ينفع العطشان المشتد الى السراب **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله كسراب بقيعة قال بقاع من الارض والسراب عمله زاد الحرث في حديثه عن الحسن والسراب عمل الكافر اذا جاءه لم يجده شيأ كما بانه اياه موته وفراقه الدنيا ووجد الله عند فراقه الدنيا فوفاه حسابه **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله كسراب بقيعة قال بقيعة من الارض يحسبه الظمآن ماء هو مثل ضربه الله لعمل الكافر يقول يحسب أنه في شئ كما يحسب هذا السراب ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ وكذلك الكافر اذا مات لم يجد عمله شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة قد رأى السراب ووثق بنفسه انه ماء فلما جاءه لم يجده شيأ قال وهؤلاء ظنوا ان أعمالهم صالحة وانهم

---

خلقهم مختلفة فمنهم من يمشي على بطنه وقدم هذا القسم لغرابته ومنهم كذا ومنهم كذا وفي ضمير العقلاء وسمي الزحف على البطن مشيا على سبيل المشاكلة أو الاستعارة تنظيره قوله فلان لا يمشي له أمر وقد يوجد من الدواب ذوات أرجل أو يدمن أربع كالعناكب والعقارب والزنابير والدبا وات بل مثل الحيوان الذي له أربع وأربعون رجلا المعنى حال الاذن وانما يذكرها

سبحانه لانها نادرة بالنسبة الى سائرها ومن العقلاء من زعم ان أمثال هذه الدواب انما يخلقها دون المشى على أربع فقط وقيل ان فى قوله تعالى يخلق الله ما يشاء تنبيها على سائر الاقسام ولا ريب ان اختلاف الحيوانات لا يكاد ينحصر الا انا نذكر طرفا من ذلك نذكر العجائب قدرة الله فى خلقه فنقول الاختلاف بين الحيوانات (١٠٤) اما فى جوهر العضو كالفرس له ذنب دون الانسان وان كان أجزاء الذنب من العظم والعصب واللحم والجلد والشعر حاصلة له فى غير هذا العضو ٧ كالسلحفات فله صدف يحيط به ليس للانسان وكذا السمك فله فلوس والقنفذ له شوك واما فى كيفية العضو كاختلاف الالوان والاشكال والصلابة واللين واما فى الوضع كان يدى الفيل أقرب الى الصدر من يدى الفرس واما فى الافعال كان عين الخطاف لا يتغير فى الضوء وعين الخفاش يتغير واما فى سائر الاحوال وذلك ان من الحيوانات برا وبحريا أو برى فقط أو بحريا فقط ومن البحرى ما يعتمد فى السباحة على جناحه كالسمك ومنها ما يعتمد فيها على أرجله كالضفادع وكل من البرى والبحرى له أماكن مختلفة من البر والبحر فمنها ما له مأوى معلوم كالروابى أو الحفر أو الشقوق أو الجحرة فى البر أو كالقعر أو الشط أو الصخر أو الطين فى البحر ومنها ما أواه كيف اتفق الان يلد فيقيم للحضانة ومن الحيوانات طيارة فمنها ما يسبح فى الهواء فقط ومنها ما يسبح على وجه الماء أيضا وكل طائر فانه يمشى على رجلين وقد يصعب عليه المشى كالخطاف الكبير الاسود وكالخفاش ومنها ما جناحه جلد وغشاء وقد يكون عديم الرجل كضرب من الحيات بالحبشة يطير ومنها ما يختار الاجتماع كالكراكى ومنها ما يؤثر التفرد كالعقاب وكثير من الجوارح التى تتنازع على الطعم ومنها ما يتعايش زوجا كالقطا والانسان من الحيوان الذى لا يمكنه ان يعيش أى وحده ويضاهيه النحل والنمل الا ان النمل لا رئيس لها ومنها ما لا كل لحم ومنها ما كل عشب وزهر ومنه النحل ومن الحيوان ما هو انسى بالطبع كالانسان وما هو انسى بالولد كالهرة والغرانيق أو بالقهر كالفهد ومنه ما لا يأنس كالنمر أو يبطئ استئناسه كالاسد ومن

سير جعون منها الى خير فلم يرجعوا منها الا كمرجع صاحب السراب فهذا مثل ضربه الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) وهذا مثل آخر ضربه الله لاعمال الكفار يقول تعالى ذكره ومثل أعمال هؤلاء الكفار فى انها عملت على خطأ وفساد وضلالة وحيرة من أعمالها فيها وعلى غير هدى مثل ظلمات فى بحر لجى ونسب البحر الى اللجة وصفاله بأنه عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه يغشاه موج يقول يغشى البحر موج من فوقه موج يقول من فوق الموج موج آخر يغشاه من فوقه سحاب يقول من فوق الموج الثانى الذى يغشى الموج الاول سحاب فجعل الظلمات مثلا لاعمالهم والبحر اللجى مثلا لقلب الكافر يقول عمل بنية قلب قد غمره الجهل وتغشاه الضلالة والحيرة كما يغشى هذا البحر اللجى موج من فوقه موج من فوقه سحاب فكذلك قلب هذا الكافر الذى مثل عمله مثل هذه الظلمات يغشاه الجهل بالله بان الله ختم عليه فلا يعقل عن الله وعلى سمعه فلا يسمع مواعظ الله وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله فتلك ظلمات بعضها فوق بعض وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنا أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب الى قوله من نور قال يعنى بالظلمات الاعمال وبالبحر اللجى قلب الانسان قال يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب قال ظلمات بعضها فوق بعض يعنى بذلك الغشاوة التى على القلب والسمع والبصر وهو كقوله ختم الله على قلوبهم الآية وكقوله أفرأيت من اتخذ الهه هواه الى قوله أفلا تذكرون حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أو كظلمات فى بحر لجى عميق وهو مثل ضربه الله للكافر يعمل فى ضلالة وحيرة قال ظلمات بعضها فوق بعض وروى عن أبى بن كعب ما حدثنى عبد الاعلى بن واصل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب فى قوله أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج الآية قال ضرب مثلا آخر للكافر فقال أو كظلمات فى بحر لجى الآية قال فهو يتقلب فى خمس من الظلم فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيامة الى النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر الرازى عن أبى الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب بنحوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج الى قوله ظلمات بعضها فوق بعض قال شر بعضه فوق بعض وقوله اذا أخرج يده لم يكد يراها يقول اذا أخرج الناظر يده فى هذه الظلمات لم يكد يراها فان قال لنا قائل وكيف قيل لم يكد يراها مع شدة هذه الظلمة التى وصف وقد علمت أن قول القائل لم أكد أرى فلانا انما هو اثبات منه لنفسه رؤيته بعد جهد وشدة ومن دون الظلمات التى وصف فى هذه الآية ما لا يرى الناظر يده اذا أخرجها فيه فكيف فيها قيل فى ذلك أقوال نذكرها ثم نخبر بالصواب من ذلك أحدها أن يكون معنى الكلام اذا أخرج يده رائيا لها لم يكد يراها أى لم يعرف من أين يراها فيكون من المقدم الذى معناه التأخير ويكون تأويل الكلام على ذلك اذا أخرج يده لم يقرب أن يراها والثانى أن يكون معناه اذا أخرج يده لم يرها ويكون قوله لم يكد يراها

غضوب سفيه الا أنه قلق متردد كالكلب ومنه شديد الكيس مستأنس كالقرد والفيل ومنه حسود تياه كالطاوس ومنه شديد الحفظ كالجمل والحمار لا ينسى الطريق الذى رآه وفى قوله ان الله على كل شئ قدير اشارة الى أن اختصاص كل حيوان بهذه الخواص وبامثالها لا يكون الا عن فاعل مختار قدير قهار وحين فرغ من اثبات هذه الدلائل أراد أن يبين أحوال المكافين وان فيهم منافقين فقدم لذلك مقدمة وهى قوله لقد أنزلنا آيات مبينات وانما فقد العاطف ههنا بخلاف قوله ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا لان المقصود هنالك هو ما سبق من التكاليف والمواعظ والغرض ههنا أن وطئ تلك المقدمة لما يجئ بعقيبه من حال أهل النفاق والوفاق وقوله وما أولئك اشارة الى الفريق المتولى وانما قال بالمؤمنين معرفا لانه أراد انهم ليسوا بالذين عرفت صحة ايمانهم لثباتهم واستقامتهم ويحتمل ان يكون أولئك اشارة الى جميع القائلين آمنا وأطعنا وحينئذ يكون قوله ثم يتولى فريق منهم حكما على البعض دفعا للالزام والنقض فان الحكم الكلى قلما يخلو عن منع ومثل هذا قال فى الآية الثانية اذا فريق منهم معرضون والحاصل انه حكم أولا على بعضهم بالتولى ثم صرح آخرا بان الايمان منتف عن جميعهم

أى لم يعرف من أين يراها فيكون من المقدم الذى معناه التأخير ويكون قوله لم يكد فى دخوله فى الكلام نظير دخول الظن فيما هو يقين من الكلام كقوله وظنوا مالهم من محيص ونحو ذلك والثالث أن يكون قد رآها بعد بطء وجهد كما يقول القائل لآخر ما كدت أراك من الظلمة وقد رآه ولكن بعد اياس وشدة وهذا القول الثالث أظهر معانى الكلمة من جهة ما تستعمل العرب أما كلامها والقول الآخر الذى قلنا انه يتوجه الى أنه بمعنى لم يرها قول أوضح من جهة التفسير وهو أخفى معانيه وانما حسن ذلك فى هذا الموضع أعنى أن يقول لم يكد يراها مع شدة الظلمة التى ذكرلان ذلك مثل لاخبر عن كائن ومن لم يجعل الله له نورا يقول من لم يرزقه الله ايمانا وهدى من الضلالة ومعرفة بكتابه فماله من نور يقول فماله من ايمان وهدى ومعرفة بكتابه

**المقول فى تاويل قوله تعالى (ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير)** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تنظر يا محمد بعين قلبك فتعلم ان الله يصلى له من فى السموات والارض من ملك وانس وجن والطير صافات فى الهواء أيضا تسبح له كل قد علم صلاته وتسبيحه والتسبيح عند ذلك صلاة فيقال قيل ان الصلاة لبنى آدم والتسبيح لغيرهم من الخلق ولذلك فصل فيما بين ذلك ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن مجاهد قوله يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه قال والصلاة للانسان والتسبيح لما سوى ذلك من الخلق **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه قال صلاته للناس وتسبيحه عامة لكل شئ ويتوجه قوله كل قد علم صلاته وتسبيحه لوجوه أحدها أن تكون الهاء التى فى قوله صلاته وتسبيحه من ذكر كل فيكون تأويل الكلام كل مصل ومسبح منهم قد علم الله صلاته وتسبيحه ويكون الكل حينئذ مرتفعا بالعائد من ذكره فى قوله كل قد علم صلاته وتسبيحه وهو الهاء التى فى الصلاة والوجه الآخر أن تكون الهاء فى الصلاة والتسبيح أيضا للكل ويكون الكل مرتفعا بالعائد من ذكره عليه فى علم ويكون علم فعلا للكل فيكون تأويل الكلام حينئذ قد علم كل مصل ومسبح منهم صلاة نفسه وتسبيحه الذى كلفه وألزمه والوجه الآخر تكون الهاء فى الصلاة والتسبيح من ذكر الله والعلم للكل فيكون تأويل الكلام حينئذ قد علم كل مسبح ومصل صلاة الله التى كلفه اياها وتسبيحه وأظهر هذه المعانى الثلاثة على هذا الكلام المعنى الاول وهو أن يكون المعنى كل مصل منهم ومسبح قد علم الله صلاته وتسبيحه وقوله والله عليم بما يفعلون يقول تعالى ذكره والله ذو علم بما يفعل كل مصل ومسبح منهم لا يخفى عليه شئ من أفعالهم طاعتها ومعصيتها محيط بذلك كله وهو مجازيهم على ذلك كله وقوله ولله ملك السموات والارض يقول جل ثناؤه ولله سلطان السموات والارض وملكهما دون كل من هو دونه من سلطان وملك فاياه فارهبوا أيها الناس واليه فارغبوا الا الى غيره فان بيده خزائن السموات والارض لا يحشى عطايا كم منها فقرا والى الله المصير يقول وأنتم اليه بعد وفاتكم مصيركم ومعادكم فيوفيكم أجور أعمالكم التى عملتموها فى الدنيا فأحسنوا عباده واجتهدوا فى طاعته وقدموا لانفسكم الصالحات



ويجوز أن يراد بالفريق المتولى رؤساء النفاق وقيل أراد بتولى هذا الفريق رجوعهم الى الباقين قال جار الله معنى الى الله ورسوله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كقولك أعجبنى زيد وكرمه أما سبب نزول الآية فعن مقاتل انها فى بشر من المنافقين كما سبق فى سورة النساء فى قوله يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وعن الضحاك نزلت فى المغيرة

ابن وابل كان بينه وبين علي بن أبي طالب أرض فتقاسماها فدفع الى علي منها ما لا يسقيه الماء الا بعشقة فقال المغيرة بعني أرضك فباعها منه وتقابضا فقيل للمغيرة أخدعت سخنة لا ينالها الماء فقال لعلي اقبض أرضك فابى ودعا المغيرة الى محاكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة أما محمد فلست آتيه ولا أحاكم اليه فانه يبغضني وأنا أخاف ان يحيف على قوله يا فانه اليه الجار صلة أتى فانه قد تعدى بالى

من الاعمال ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد ان الله يزجي يعني يسوق سحابا حيث يريد ثم يؤلف بينه يقول ثم يؤلف بين السحاب وأضاف بين الى السحاب ولم يذكر معه غيره وبين لا تكون مضافة الا الى جماعة أو اثنين لان السحاب في معنى جمع واحده سحابة كما يجمع النخلة نخل والتمرة تمر فهو نظير قول قائل جلس فلان بين النخل وتأليف الله السحاب جمعه بين متفرقها وقوله ثم يجعله ركاما يقول ثم يجعل السحاب الذي يزجيه ويؤلف بعضه الى بعض ركاما يعني متراكما بعضه على بعض وقد حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا خالد قال ثنا مطر عن حبيب ابن أبي ثابت عن عبيد بن عمير الليثي قال الرياح أربع يبعث الله الريح الاولى فتقم الارض قما ثم يبعث الثانية فتنشيه سحابا ثم يبعث الثالثة فتؤلف بينه فتجعله ركاما ثم يبعث الرابعة فتفطره وقوله فترى الودق يخرج من خلاله يقول فترى المطر يخرج من بين السحاب وهو الودق قال الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها * ولا أرض أبقل ابقالها

والهاء في قوله من خلاله من ذكر السحاب والخلال جمع خلل وذكر عن ابن عباس وجماعة انهم كانوا يقرؤن ذلك من خلاله حدثنا ابن المثنى قال ثنا حرمي بن عمارة قال ثنا شعبة قال ثنا قتادة عن الضحاك بن مزاحم انه قرأ هذا الحرف فترى الودق يخرج من خلاله من خلاله قال حدثنا شعبة قال أخبرني عمار عن رجل عن ابن عباس انه قرأ هذا الحرف فترى الودق يخرج من خلاله من خلاله حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال أخبرني عمارة بن أبي حفصة عن رجل عن ابن عباس انه قرأها من خلاله بفتح الخاء من غير ألف قال هرون فذكرت ذلك لابي عمر وفقال انها لحسنة ولكن خلاله أعم وأما قراء الامصار فانهم على القراءة الاخرى من خلاله وهي التي نختار لاجماع الحجة من القراء عليها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فترى الودق يخرج من خلاله قال الودق القطر والخلال السحاب وقوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد قيل في ذلك قولان أحدهما ان معناه وان الله ينزل من السماء من جبال في السماء من برد مخلوقة هنالك خلقة كان الجبال على هذا القول هي من برد كما يقال جبال من طين والقول الآخر ان الله ينزل من السماء قدر جبال وأمثال جبال من برد الى الارض كما يقال عندي بيتان تبنا والمعنى قدر بيتين من التبن والبيتان ليسا من التبن وقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يقول فيعذب بذلك الذي ينزل من السماء من جبال فيها من برد من يشاء فيهلكه أو يهلك به زروعه وماله ويصرفه عمن يشاء من خلقه يعني عن زروعهم وأموالهم وقوله يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقول يكاد شدة ضوء برق هذا السحاب يذهب بابصار من لا في بصره والسنا مقصور وهو ضوء البرق كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله يكاد سنا برقه قال ضوء برقه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله يكاد سنا برقه يقول لمعان البرق ليذهب بالابصار يكاد سنا برقه يذهب بفتح الياء من يذهب سوى أبي جعفر القارئ فانه قرأه بضم الياء يذهب بالابصار والقراءة التي



والمصباح السر والشجرة شجرة الروحانية التي خلقت للبقاء كالمسك والزيت الروح الانساني القابل لنور العرفان قبولا في غاية القرب

فيض نور الرحمانية ينقسم على كل من يريد الله تعالى ايجاده من العرش الى ما تحت الثرى وأما التأويل الثاني فالمشكاة الجسد والزجاجة القلب

والثاني نور العرش فهو كقوله الرحمن على العرش استوى وفي قوله يهدي الله لنوره من يشاء اشارة الى ان

تأويلان أحدهما من عالم الافاق والآخر من عالم الانفس أما الاول فالمشكاة عالم الاجسام والزجاجة العرش والمصباح الكرسي والشجرة شجرة الملكوت وهي باطن عالم الاجسام وهي غير راقية الى شرق الازل والقدم ولا الى غرب الفناء والعدم بل هي مخلوقة للابد لا يعتريها الفناء يكاد زيتها وهو عالم الارواح يضيء أي يظهر من العدم الى عالم الصورة المتولدة بازدواج عالم الغيب والشهادة ولو لم تمسسه نار نور للقدرة الالهية وذلك لقرب طبيعتها من الوجود نور على نور فالاول نور الصفة الرحمانية

والنار نار الخلق والهداية في الاول فاذا انضم الى نور العقل صار نورا على نور واذا انضم مصباح سر من يشاء بنور القدم تنور زجاجة القلب ومشكاة الجسد ويخرج أشعتها من رزونة الحواس فيستضيء أرض البشرية كما قال وأشرقت الارض بنور ربها وهو مقام كنت له سمعا وبصرا الحديث في بيوت هي القلوب أذن الله أمر وأراد ان يرفع درجاتها من بين سائر الارواح والنفوس الى أن تسع الله كما قال وانما يسعني قلب عبدي المؤمن روى انه أوحى الى داود عليه السلام فرغ لي بيتا أسكن فيه فقال رب أنت منزه عن البيوت فقال فرغ لي قلبك ولن يتأتى هذا الرفع الا بوساطة ذكر الله فلهذا قال وبذكر فيها اسمه لاتلهيهم تجارة هي الفوز بدرجات الجنات كما قال هل أدلكم على تجارة تنجيكم ولا يبيع هو يبيع الدنيا بالجنة كقوله ان الله اشترى الى قوله فاستبشروا ببيعكم وفيه ان الرجولية لا تتحقق الا اذا لم يلتفت الى الدنيا ولا الى الآخرة فيكون بحيث لا يتصرف فيه ماسوى الله وحينئذ يصلي صلاة الوصال ويفيض على المستعدين زكاة حصول نصاب الكمال يخافون يوما هو يوم الفراق تتقلب فيه القلوب والابصار البصائر لانها بيد الله يقلبها كيف يشاء أو كظلمات في بحر لجي هو حب الدنيا يغشاه موج الرياء من فوقه موج هو حب الجاه وطلب الرياسة من فوقه سحاب الشرك الخفي اذا أخرج يده سعيه واجتهاده لم يكد يراها يرى طريق خلاصه ومن لم يجعل الله له نورا أي لم يصبه وشاش النور الالهي في الازل يرجى سحب المعاصي المتفرقة الى أن تتراكم فتثري الودق وهو مطر التوبة يخرج من خلاله كما خرج من سحاب وعصى آدم مطر ثم اجتباه وربه ينزل من سماء القلب من جبال من قساوة فيها من برد هو برد القهر يقلب الله ليل المعصية لمن يشاء الى نهار الطاعة وبالعكس لاولي الابصار أصحاب البصائر الذين يشاهدون آثار لطفه وقهره في مرآة التقليب والله خلق كل ذي روح من ماء هو روح محمد صلى الله عليه وسلم كما قال أول ما خلق الله روحي فمنهم من يمشي أن يكون سيرته تحصيل مشتهيات بطنه ومنهم من يمشي على رجلين أي يضع همته في مشتهيات الفرج لان الحيوان اذا قصد الوقاع يعتمد على

---

لا اختار غيرها هي فتحها الاجماع الحجة من القراء عليها وان العرب اذا أدخلت الباء في مفعول ذهبت لم يقولوا الا ذهبت به دون أذهبت به واذا أدخلوا الالف في أذهبت لم يكادوا أن يدخلوا الباء في مفعوله فيقولون أذهبته وذهبت به وقوله يقلب الله الليل والنهار يقول يعقب الله بين الليل والنهار ويصرفهما اذا أذهب هذا جاء بهذا واذا أذهب هذا جاء هذا ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار يقول ان في انشاء الله السحاب وانزاله منه الودق ومن السماء البرد وفي تقليبه الليل والنهار لعبرة لمن اعتبر به وعظة لمن اتعظ به ممن له فهم وعقل لان ذلك ينبيء ويدل على ان له مدبرا ومصرفا ومقلبا لا يشبهه شيء ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير) اختلفت القراء في قراءة قوله والله خلق كل دابة من ماء فقرأته عامة قراء الكوفة غير عاصم والله خالق كل دابة وقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وعاصم والله خلق كل دابة بنصب كل وخلق على مثال فعل وهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى وذلك أن الاضافة في قراءة من قرأ ذلك خالق يدل على أن معنى ذلك المضمر فيها من قرأ القارئ فنصب وقوله خلق كل دابة من ماء يعني من نطفة فمنهم من يمشي على بطنه كالحيات وما أشبهها وقيل انما قيل فمنهم من يمشي على بطنه والمشي لا يكون على البطن لان المشي انما يكون لما له قوائم على التشبيه وانه لما خالط ماله قوائم بما لا قوائم له جاز كما قال ومنهم من يمشي على رجلين كالطير ومنهم من يمشي على أربع كالبهائم فان قال قائل فكيف قيل فمنهم من يمشي ومن للناس وكل هذه الاجناس أو أكثرها لغيرهم قيل لانه تفريق ما هو داخل في قوله والله خلق كل دابة وكان داخلا في ذلك الناس وغيرهم ثم قال فمنهم لاجتماع الناس والبهائم وغيرهم في ذلك واختلاطهم فكنى عن جميعهم كناية من بني آدم ثم فسرهم بمن اذ كان قد كنى عنهم كناية بني ادم خاصة يخلق الله ما يشاء يقول يحدث الله ما يشاء من الخلق ان الله على كل شيء قدير يقول ان الله على احداث ذلك وخلقه وخلق ما يشاء من الاشياء غيره ذو قدرة لا يتعذر عليه شيء أراد ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) يقول تعالى ذكره لقد أنزلنا أيها الناس علامات واضحات دالات على طريق الحق وسبيل الرشاد والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم يقول والله يرشد من يشاء من خلقه بتوفيقه فيهديه الى دين الاسلام وهو الصراط المستقيم والطريق القاصد الذي لا اعوجاج فيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون) يقول تعالى ذكره ويقول المنافقون صدقنا بالله وبالرسول وأطعنا الله وأطعنا الرسول ثم يتولى فريق منهم يقول ثم تدبر كل طائفة منهم من بعدما قالوا هذا القول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدعو الى المحاكمة الى غيره خصمها وما أولئك بالمؤمنين يقول وليس قائلو هذه المقالة يعني قوله آمنا بالله وبالرسول وأطعنا بالمؤمنين لتركهم الاحكام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعراضهم عنه اذا دعوا اليه وقوله واذا دعوا الى الله ورسوله يقول واذا دعي هؤلاء المنافقون الى كتاب الله والى رسوله ليحكم بينهم فيما اختصموا به بحكم الله اذا فريق منهم معرضون عن قبول الحق والرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وان يكن لهم الحق يأتوا اليه

رجلين وان كان من ذوات الاربع ومنهم من يمشي على أربع هم أصحاب المناسب يركبون الدواب البتة أفي قلوبهم مرض الحراف في الفطرة أم ارتابوا بتشكيك أهل البدع والاهواء أم يخافون الحيف حين أمروا بترك اللذات العاجلة لاجل الخيرات الباقية واليه المآب (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيأ ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ومأواهم النار ولبئس المصير يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو

---

مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون) يقول تعالى ذكره وان يكن الحق لهؤلاء الذين يعرضون اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم فيأبون ويعرضون عن الاجابة الى ذلك قبل الذين يدعونهم الى الله ورسوله يأتوا الى رسول الله مذعنين يقول مذعنين منقادين بحكمه مقرين به طائعين غير مكرهين يقال منه قد أذعن فلان بحقه اذا أقر به طائعا غير مستكره وانقاد له وسلم وكان مجاهد فيما ذكر عنه يقول في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يأتوا اليه مذعنين قال سراعا وقوله أفي قلوبهم مرض يقول تعالى ذكره أفي قلوب هؤلاء الذين يعرضون اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم شك في رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لله رسول فهم يمتنعون من الاجابة الى حكمه والرضى به أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله اذا احتكموا الى حكم كتاب الله وحكم رسوله وقال أن يحيف الله عليهم ورسوله والمعنى أن يحيف رسول الله عليهم فبدأ بالله تعالى ذكره تعظيما لله كما يقال ما شاء الله ثم شئت وما يدل على أن معنى ذلك كذلك قوله واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم فافرد الرسول بالحكم ولم يقل ليحكما وقوله بل أولئك هم الظالمون يقول ما خاف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله اذا عرضوا عن الاجابة الى ذلك مما دعوا اليه أن يحيف عليهم رسول الله فيجور في حكمه عليهم ولكنهم قوم أهل ظلم لانفسهم بخلافهم أمر ربهم ومعصيتهم الله فيما أمرهم من الرضى بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أحبوا وكرهوا والتسليم له ۞ القول في تأويل قوله تعالى (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) يقول تعالى ذكره انما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين اذا دعوا الى حكم الله والى حكم رسوله ليحكم بينهم وبين خصومهم أن يقولوا سمعنا ما قيل لنا وأطعنا من دعانا الى ذلك ولم يعن بكان في هذا الموضع الخبر عن أمر قد مضى فيقضى ولكنه تأديب من الله الذين أنزلت هذه الآية بسببهم وتأديب منه آخرين غيرهم وقوله وأولئك هم المفلحون يقول تعالى ذكره والذين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم وبين خصومهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا المفلحون هم المنجحون المدركون طلباتهم بفعلهم ذلك المخلدون في جنان الله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون) يقول تعالى ذكره ومن يطع الله ورسوله فيما أمره ونهاه ويسلم لحكمهما له وعليه ويخف عاقبة معصية الله ويحذره ويتق عذاب الله بطاعته اياه في أمره ونهيه فاولئك يقول فالذين يفعلون ذلك هم الفائزون برضى الله عنهم يوم القيامة وأمنهم من عذابه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون) يقول تعالى ذكره وحلف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله اذ دعوا اليه بالله جهد ايمانهم يقول أغلظ ايمانهم وأشدها لئن أمرتهم يا محمد بالخروج الى جهاد عدوك وعدو المؤمنين ليخرجن قل لا تقسموا والا تحلفوا فان هذه طاعة معروفة منكم فيها التكذيب كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله قل لا تقسموا طاعة معروفة قال قد عرفت طاعتكم اني أنكم تكذبون ان الله خبير بما تعملون يقول ان الله ذو خبرة بما تعملون من طاعتكم الله ورسوله أو خلافكم أمرهما وغير ذلك من أموركم لا يخفى عليه من ذلك شئ وهو مجازيكم بكل ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل أطيعوا الله

هدية منكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم (١٠٩) فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله

وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين ) يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المقسمين بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن وغيرهم من أمتك أطيعوا الله أيها القوم فيما أمركم به ونهاكم عنه وأطيعوا الرسول فإن طاعته لله طاعة فإن تتولوا يقول فإن تعرضوا وتدبروا عما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نهاكم عنه وتأبوا أن تذعنوا لحكمه لكم وعليكم فإنما عليه ما حمل يقول فإنما عليه فعل ما أمر بفعله من تبليغ رسالة الله إليكم على ما كلفه من التبليغ وعليكم ما حملتم يقول وعليكم أيها الناس أن تفعلوا ما ألزمكم وأوجب عليكم من اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم والانتهاء إلى طاعته فيما أمركم ونهاكم وقد ذان قوله فإن تولوا بمعنى فإن تتولوا فإنه في موضع جزم لأنه خطاب للذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم أطيعوا الله وأطيعوا الرسول يدل على أن ذلك كذلك قوله وعليكم ما حملتم ولو كان قوله تولوا فعلا ماضيا على وجه الخبر عن غيب لكان في موضع قوله وعليكم ما حملتم وعليهم ما حملوا وقوله وإن تطيعوه تهتدوا يقول تعالى ذكره وإن تطيعوا أيها الناس رسول الله فيما يأمركم وينهاكم ترشدوا وتصيبوا الحق في أموركم وما على الرسول إلا البلاغ المبين يقول وغير واجب على من أرسله الله إلى قوم برسالة إلا أن يبلغهم رسالته بلاغا يبين لهم ذلك البلاغ عما أراد الله به يقول فليس على محمد أيها الناس إلا أداء رسالة الله إليكم وعليكم الطاعة وإن أطعتموه فحظوظ أنفسكم تصيبون وإن عصيتموه فبأنفسكم تأتون يقول ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) يقول تعالى ذكره وعد الله الذين آمنوا بالله ورسوله منكم أيها الناس وعملوا الصالحات يقول وأطاعوا الله ورسوله فيما أمراهم ونهياه ليستخلفنهم في الأرض يقول ليورثنهم الله أرض المشركين من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها كما استخلف الذين من قبلهم يقول كما فعل من قبلهم ذلك ببني إسرائيل إذ أهلك الجبارة بالشام وجعلهم ملوكها وسكانها وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم يقول وليوطئن لهم دينهم يعني ملتهم التي ارتضاها لهم فأمرهم بها وقيل وعد الله الذين آمنوا منكم تلقى ذلك بجواب اليمين بقوله ليستخلفنهم لأن الوعد قول يصلح فيه أن وجواب اليمين كقوله وعدتك أن أكرمك ووعدتك لا كرمنك واختلف القراء في قراءة قوله كما استخلف فقرأته عامة القراء كما استخلف بفتح التاء واللام بمعنى كما استخلف الله الذين من قبلهم من الامم وقرأ ذلك عاصم كما استخلف بضم التاء وكسر اللام على مذهب ما لم يسم فاعله واختلفوا أيضا في قراءة قوله وليبدلنهم فقرأ ذلك عامة قراء الامصار سوى عاصم وليبدلنهم بتشديد الدال بمعنى وليغيرن حالهم عما هي عليه من الخوف إلى الامن والعرب تقول قد بدل فلان إذا غير حاله ولم يأت مكان فلان غيره وكذلك كل مغير عن حاله فهو عندهم مبدل بالتشديد وربما قيل بالتخفيف وليس بالفصيح فأما إذا جعل مكان الشيء المبدل غيره فذلك بالتخفيف أبدلته فهو مبدل وذلك كقولهم أبدل هذا الثوب أي جعل مكانه آخر غيره وقد يقال بالتشديد غير أن الفصيح من الكلام ما وصفت وكان عاصم يقرؤه وليبدلنهم بتخفيف الدال والصواب من القراءة في ذلك التشديد على المعنى الذي وصفت قبل لاجماع الحجة من قراء الامصار عليه وإن ذا التغيير حال الخوف إلى الامن وأرى عاصما ذهب إلى أن الامن لما

عباس ويعقوب * الوقوف وأطعنا ط المفلحون ه الغالبون ه ليخرجن ط لا تقسموا ج لحق المحذوف مع اتحاد المقول معروفة ط يعملون ه الرسول ج للشرط مع الفاء ما حملتم ط تهتدوا ط المبين ه من قبلهم ص أمنا ط بناء على أن ما بعده مستأنف شيأ ط الفاسقون ه يرجون ط في الأرض ج لانقطاع النظم مع اتحاد المقول النار ط المصير ه مرات ط أي متى كذا وكذا العشاء قف عند

غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ألا إن لله ما في السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم) * القراآت ويتقه بكسر القاف واختلاس الهاء يزيد وقالون ويعقوب بغير زيد وأبو عمرو وطريق الهاشمي بكسر القاف وسكون الهاء على انها للسكت أبو عمرو وغير عباس وخلاد ورجاء ويحيى وحماد وهبيرة من طريق الخزاز وابن مجاهد عن ابن ذكوان باسكان القاف وكسر الهاء حفص غير الخزاز ووجهه انه شبه تقه بكتف فخفف وعلى هذا فالهاء ضمير فان تحريك هاء السكت ضعيف الباقون ويتقهي بالاشباع فان تولوا باظهار النون وتشديد التاء البزي وابن فليح كما استخلف مجهولا أبو بكر وعمار وليبدلنهم خفيفا ابن كثير وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد لا يحسبن على الغيبة ابن عامر وحمزة ثلاث عورات بالنصب حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الآخرون بالرفع لبعض شأنهم باسكان الضاد وتشديد الشين شعاع وأبو شعيب وحمله على الاخفاء أولى منه على الادغام يرجعون مينا للفاعل

من قرأ ثلاث عورات بالرفع أي هو ثلاث لكم ط بعدهن ط أي هم طوافون على بعض ص الآيات ط حكيم ه فليلهم ط
آياته ط حكيم ه ط بزينة ط لهن ط عليم ه صديقكم ط أشتاتا ط بناء على أن ما بعده استئناف حكم طيبة ط من الخاطبة
الى الغيبة تعقلون ه يستأذنوه ط ورسوله ه (١١٠) للشرط مع الفاء اهم الله ط رحيم ه بعضا ط لواذا ج لانقطاع
النظم مع فاء التعقيب عليم ه
والارض ط عليه ط فصلا
بين حال وحال مع العدول من
الخاطبة الى الغيبة بما علموا ه عليم ه
* التفسير لما حكى سيرة المنافقين
وما قالوه وفعلوه اتبعه ذكر ما كان
يجب ان يفعلوه وما يجب ان يسلكه
المؤمنون من طريق الاخلاق
وعن الحسن انه قرأ قول المؤمنين
بالرفع والقراءة المشهورة وهي
النصب أقوى قال جار الله لان أولى
الاسمين بكونه اسما أو غلهما في
التعريف وان يقولوا أو غل لانه
لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول
المؤمنين قلت وذلك لاحتمال كون
الاضافة فيه لفظية وان يقولوا
يشبه المضمر كما بينا في الانعام في قوله
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا فلا
سبيل الى تنكيره ومعنى كان صح
واستقام أي لا ينبغي ان يكون
قولهم الا السمع والطاعة عن ابن
عباس ومن يطع الله في فرائضه
ورسوله في سنته ويخش الله على
ماضي من ذنوبه ويتقه فيما
يستقبل من عمره فاولئك هم
الفائزون وهذه آية جامعة
لاسباب الفوز وفقنا الله تعالى
للعمل بها ثم حكى عن المنافقين انهم
يريدون ان يؤكدوا أساس الايمان
بالايمان الكاذبة قال مقاتل من
حلف بالله فقد اجتهد في اليمين
وكانوا يقولون والله ان أمرتنا
ان نخرج من ديارنا وأموالنا
ونسائنا لخرجنا وان أمرتنا بالجهاد

كان خلاف الخوف وجه المعنى الى أنه ذهب بحال الخوف وجاء بحال الامن فخفف ذلك ومن الدليل
على ما قلنا من ان التخفيف انما هو ما كان في ابدال شيء مكان آخر قول أبي النجم
* عزل الامير للامير المبدل * وقوله يعبدونني يقول يخصونني بالطاعة ويتذللون لامري
ونهيي لا يشركون بي شيأ يقول لا يشركون في عبادتهم اياي الاوثان والاصنام ولا شيأ غيره بل
يخلصون لي العبادة فيفردونها الى دون كل ما عبد من شيء غيري وذكر ان هذه الآية نزلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل شكاية بعض أصحابه اليه في بعض الاوقات التي كانوا فيها من
العدو في خوف شديد مما هم فيه من الرعب والخوف وما يلقون بسبب ذلك من الاذى والمكروه
ذكر الرواية بذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع
عن أبي العالية قوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات الآية قال مكث النبي صلى الله
عليه وسلم عشر سنين خائفا يدعو الى الله سرا وعلانية قال ثم أمر بالهجرة الى المدينة قال فكث بها هو
وأصحابه خائفون يصبحون في السلاح ويمسون فيه فقال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا
السلاح فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا
ليس فيه حديدة فأنزل الله هذه الآية وعد الله الذين آمنوا منكم الى قوله فمن كفر بعد ذلك قال يقول
من كفر بهذه النعمة فأولئك هم الفاسقون وليس يعني الكفر بالله قال فأظهره الله على جزيرة
العرب فآمنوا ثم تجبروا فغير الله ما بهم وكفروا بهذه النعمة فأدخل الله عليهم الخوف الذي كان
رفعه عنهم قال القاسم قال أبو علي بقتلهم عثمان بن عفان رضي الله عنه واختلف أهل التأويل في
معنى الكفر الذي ذكره الله في قوله فمن كفر بعد ذلك فقال أبو العالية ما ذكرنا عنه من انه كفر
بالنعمة لا كفر بالله وروى عن حذيفة في ذلك ما حدثنا به ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال
ثنا سفيان عن حبيب بن أبي الشعثاء قال كنت جالسا مع حذيفة وعبد الله بن مسعود فقال حذيفة
ذهب النفاق وانما كان النفاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هو الكفر بعد الايمان
قال فضحك عبد الله فقال لم تقول ذلك قال علمت ذلك قال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الارض حتى بلغ آخرها حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي قال ثنا شعبة
عن أبي الشعثاء قال قعدت الى ابن مسعود وحذيفة فقال حذيفة ذهب النفاق فلا نفاق وانما هو
الكفر بعد الايمان فقال عبد الله تعلم ما تقول قال فتلا هذه الآية انما كان قول المؤمنين حتى بلغ
فاولئك هم الفاسقون قال فضحك عبد الله قال فلقيت أبا الشعثاء بعد ذلك بايام فقلت من أي شيء
ضحك عبد الله قال لا أدري ان الرجل ربما ضحك من الشيء الذي يعجبه وربما ضحك من الشيء
الذي لا يعجبه فمن أي شيء ضحك لا أدري والذي قاله أبو العالية من التأويل أشبه بتأويل الآية
وذلك أن الله وعد الانعام على هذه الامة بما أخبر في هذه الآية أنه منعم به عليهم ثم قال عقيب ذلك فمن
كفر هذه النعمة بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني
حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يعبدونني لا يشركون بي شيأ قال تلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم
حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد أمنا يعبدونني
لا يشركون بي شيأ قال لا يخافون غيري ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأقيموا الصلوة وآتوا
الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ومأواهم النار

ولبئس

البر لا يجوز ان ينهى عنه وقوله طاعة معروفة مبتدأ محذوف الخبر أي طاعتكم معلومة لا شك فيها ولا نفاق أمثل وأولى بكم من هذه الايمان
الكاذبة أو خبر محذوف المبتدأ أي أمركم الذي يطلب منكم طاعة معروفة لا ارتياب فيها كطاعة الخلص من المؤمنين أو طاعتكم طاعة

مقرونة بأنها بالقول دون الفعل ثم صرف الكلام من الغيبة الى الخطاب لمزيد التبكيت والعتاب ومعنى فان تولوا الخ حذف احدى التاءين وعاجل الرسول هو أداء الرسالة وعاجل على الامة هو الطاعة والانقياد والبلاغ المبين كون التبليغ مقرونا بالآيات والمعجزات أو كونه واقعا على سبيل المجاهرة لا المداهنة وههنا شبه اضمار والتقدير بلغ أيها الرسول وأطيعوه أيها المؤمنون فقد وعد الله الذين آمنوا منكم أي جمعوا بين الايمان والعمل الصالح وفي الوعد معنى القسم لان وعد الله محقق الوقوع ولذلك قال في جوابه ليستخلفنهم أو القسم محذوف أي أقسم ليجعلنكم خلفاء في الارض كما فعل ببني اسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وليمكنن لاجلهم الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكين الدين تثبيته واشاعة قواعده كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تعبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل في الملأ العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وورثوا ملك الاكاسرة وخزائنهم وهذا أخبار بالغيب فيكون معجزا ومحل يعبدونني نصب على الحال أي وعدهم ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم أو هو استئناف كأنه قائل قال مالهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني وعلى الوجهين فقوله لا يشركون بدل من يعبدونني أو بيان لها وفيه دليل على ان المقصود من الكل هو عبادة الله تعالى والاخلاص له ومن كفر بهذه النعم الجسام وهي الاستخلاف والتمكين والامن بعد الخوف بعد حصول ذلك أو بعد ما ذكر فاولئك هم الكاملون في الفسق قال أهل السنة في الآية دلالة على أمانة الخلفاء الراشدين لان قوله منكم للتبعيض وذلك البعض يجب ان يكون من الحاضرين في وقت الخطاب ومعلوم ان الائمة الاربعة كانوا من أهل الايمان والعمل الصالح وكانوا حاضرين وقت نزول هذه الآية فوجب ان يكونوا مرادا من الآية واعترض بان قوله منكم لا يجوز ان يكون للبيان ولم يجوز ان يراد بالاستخلاف في الارض هو امكان التصرف والتوطن

ولبئس المصير) يقول تعالى ذكره وأقيموا أيها الناس الصلاة بحدودها فلا تضيعوها وآتوا الزكاة التي فرضها الله عليكم أهلها وأطيعوا رسول ربكم فيما أمركم ونهاكم لعلكم ترحمون يقول كي يرحمكم ربكم فيخلصكم من عذابه وقوله لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض يقول تعالى ذكره لا تحسبن يا محمد الذين كفروا بالله معجزيه في الارض اذ أرادا هلاكهم وماواهم بعد هلاكهم النار ولبئس المصير الذي يصيرون اليه ذلك المأوى وقد كان بعضهم يقول لا يحسبن الذين كفروا بالياء وهو مذهب ضعيف عند أهل العربية وذلك ان تحسب محتاج الى منصوبين واذا قرئ يحسبن لم يكن واقعا الا على منصوب واحد غير اني أحسب ان قارئه بالياء ظن انه قد عمل في معجزين وان منصوبه الثاني في الارض وذلك لا معنى له ان كان ذلك قصد ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) اختلف أهل التأويل في المعني بقوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم فقال بعضهم عنى بذلك الرجال دون النساء ونهوا عن أن يدخلوا عليهم في هذه الاوقات الثلاثة هؤلاء الذين سموا في هذه الآية الا باذن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن نافع عن ابن عمر قوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال هي على الذكور دون الاناث وقال آخرون بل عنى به الرجال والنساء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن في قوله يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال هي في الرجال والنساء يستأذنون على كل حال بالليل والنهار * وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال عني به الذكور والاناث لان الله عم بقوله الذين ملكت أيمانكم جميع أملاك ايماننا ولم يخصص منهم ذكورا أنثى فذلك على جميع من عمه ظاهر التنزيل فتأويل الكلام يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ليستأذنكم في الدخول عليكم عبيدكم وإماؤكم فلا يدخلوا عليكم الا باذن منكم لهم والذين لم يبلغوا الحلم منكم يقول والذين لم يحتلموا من أحراركم ثلاث مرات يعني ثلاث مرات في ثلاثة أوقات من ساعات ليلكم ونهاركم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال عبيدكم المملوكون والذين لم يبلغوا الحلم منكم قال لم يحتلموا من احراركم قال ابن جريج قال لي عطاء ابن أبي رباح فذلك على كل صغير وصغيرة ان يستأذن كما قال ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء قالوا هي العتمة قلت فاذا وضعوا ثيابهم بعد العتمة استأذنوا عليهم حتى يصبحوا قال نعم قلت لعطاء هل استئذانهم الا عند وضع الناس ثيابهم قال لا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن صالح بن كيسان ويعقوب بن عتبة واسماعيل بن محمد قال لا استئذان على خدم الرجل عليه الا في العورات الثلاث حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم يقول اذا خلا الرجل بأهله بعد صلاة العشاء فلا يدخن عليه خادم ولا صبي الا باذن حتى يصلي الغداة فاذا خلا بأهله عند صلاة الظهر فمثل ذلك حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال

فيها كما في حق بني اسرائيل سلمنا لكن لم لا يجوز ان يراد به خلافة على عليه السلام والجمع للتعظيم أو يراد هو وأولاده الاحد عشر بعده وقيل ان في قوله ومن كفر بعد ذلك اشارة الى الخلفاء المتغلبين بعد الراشدين بؤيده قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة من بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا أقيموا الصلاة معطوف  على أطيعوا وليس ببدع ان يقع بين المعطوف بين فاصلة وان طالت وكررت طاعة الرسول للتأكيد من قرأ لا يحسبن على الغيبة فمفعولاه معجزين في الارض أي لا يحسبن الكفرة أحدا يعجز الله في الارض حتى يطيعوهم في مثل ذلك أو فاعله ضمير النبي أو المفعول الاول محذوف لانه هو الفاعل بعينه أي لا يحسبن الكفار أنفسهم معجزين والمراد بهم الذين أقسموا أو عام قوله ومأواهم قال جار الله هو معطوف على ما تقدم معنى كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله عز وجل ومأواهم النار وحين ذكر من دلائل التوحيد وأحوال المكلفين ما ذكر تنشيطا للاذهان وترغيبا فيما هو الغرض الاصلي من التكاليف وهو العرفان عاد الى ما انجر منه الكلام وهو الحكم العام في باب الاستئذان فذكره ههنا على وجه أخص فقال ليستأذنكم قال القاضي هذا الخطاب للرجال ظاهرا ولكنه من باب التغليب فيدخل فيه النساء وقال الامام فخر الدين الرازي يثبت للنساء بقياس جلي لانهن في باب حفظ العورة أشد دخلا من الرجال وظاهر قوله الذين ملكت أيمانكم يشمل البالغين والصغار فالامر للبالغين على الحقيقة وللصغار على وجه البيان والتأديب كما يؤمرون بالصلاة لسبع أو هو تكليف لنا بما فيه من المصلحة لنا ولهم بعد البلوغ كقولك للرجل ليخفك أهلك ولدك فظاهره الامر لهم وحقيقة الامر له بفعل ما يخافون عنده وعن ابن عباس ان المراد الصغار أهل وليس للكبار ان ينظروا الى ما لكهم الا الى ما يجوز للجران ينظر اليه ثم انه هل يشمل الاماء فمن ابن عمر ومجاهد لا وعن غيرهما نعم لان الانسان كما يكره اطلاع الذكور على أحواله فقد يكره أيضا اطلاع الاناث عليها عن ابن عباس آية لا يؤمن بها أكثر الناس آية الاذن

أخبرني قرة بن عبد الرحمن عن ابن شهاب عن ثعلبة عن أبي مالك القرظي انه سأل عبد الله بن سويد الحارثي وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاذن في العورات الثلاث فقال اذا وضعت ثيابي من الظهيرة لم يلج علي أحد من الخدم الذي بلغ الحلم ولا أحد ممن لم يبلغ الحلم من الاحرار الا باذن **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن جريج قال سمعت عطاء يقول قال ابن عباس ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقال ان أكرمكم عند الله اتقاكم وقال الناس أكرمكم أعظمكم نسبا ونسيت الثالثة **حدثنا** ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا يونس عن الحسن في هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال كان الحسن يقول اذا أتيت الرجل خادمه معه فهو اذنه وان لم يبته معه استأذن في هذه الساعات **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثني موسى بن عائشة عن الشعبي في قوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال لم تنسخ قلت ان الناس لا يعملون به قال الله المستعان قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن موسى بن أبي عائشة عن الشعبي وسألته عن هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قلت منسوخة هي قال لا والله ما نسخت قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله المستعان قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال ان ناسا يقولون نسخت ولكنها مما يتهاون الناس به قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الى آخر الآية قال لا يعمل بها اليوم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا حنظلة أنه سمع القاسم ابن محمد يسأل عن الاذن فقال يستأذن عند كل عورة ثم هو طواف يعني الرجل على أمه **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عثمان بن عمر قال أخبرنا عبد العزيز بن أبي رواد قال أخبرني رجل من أهل الطائف عن غيلان بن شرحبيل عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يغلبنكم الاعراب على اسم صلاتكم قال الله ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم وانما العتمة عتمة الابل وقوله ثلاث عورات لكم اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ثلاث عورات لكم برفع الثلاث بمعنى الخبر عن هذه الاوقات التي ذكرت كأنه عندهم قيل هذه الاوقات الثلاثة التي أمرناكم بان لا يدخل عليكم فيها من ذكرنا الا باذن ثلاث عورات لكم لانكم تضعون فيها ثيابكم وتخلون باهليكم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ثلاث عورات بنصب الثلاث على الرد على الثلاث الاولى وكأن معنى الكلام عندهم ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ثلاث عورات لكم والصواب من القول في ذلك انهما قراءتان مستفيضتا المعنى وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم يقول تعالى ذكره ليس عليكم يا معشر أرباب البيوت والمساكين ولا عليهم يعني ولا على الذين ملكت أيمانكم من الرجال والنساء والذين لم يبلغوا الحلم من أولادكم الصغار حرج ولا اثم بعدهن يعني بعد العورات الثلاث والهاء والنون في قوله بعدهن عائدتان على الثلاث من قوله ثلاث عورات لكم وانما يعني بذلك انه لا حرج ولا جناح على الناس ان يدخل عليهم مماليكهم البالغون وصبيانهم الصغار بغير اذن بعد هذه الاوقات الثلاث الاتي ذكرهن في قوله من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ونحو الذي قلنا في ذلك قال

وأنى لآمر جارتى ان تستأذن الى أرادا مرأته وكان ابن عباس ينام بين جاريتين ومن العلماء من قال هذا الامر للاستحباب ومنهم من قال الوجوب ومن هؤلاء من قال انه ناسخ لقوله لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الان ذلك يدل على ان الاستئذان واجب فى كل حال وهذا يدل على وجوبه فى الاوقات الثلاثة فقط ومنع لزوم النسخ بان الاولى فى  المكلفين وهذه فى غير المكلفين قالوا الذين

أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال ثم رخص لهم فى الدخول فيما بين ذلك بغير اذن يعنى فيما بين صلاة الغداة الى الظهر وبعد الظهر الى صلاة العشاء انه رخص لخادم الرجل والصبى ان يدخل عليه منزله بغير اذن قال وهو قوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن فاما من بلغ الحلم فانه لا يدخل على الرجل وأهله الا باذن على كل حال وقوله طوافون عليكم رفع الطوافون بضمير وذلك هم يقول لهؤلاء المماليك والصبيان هم طوافون عليكم أيها الناس ويعنى بالطوافين انهم يدخلون ويخرجون على مواليهم وأقربائهم فى منازلهم غدوة وعشية بغير اذن يطوفون عليهم بعضكم على بعض فى غير الاوقات الثلاث التى أمرهم ان لا يدخلوا على سادا تهم وأقربائهم فيها الا باذن كذلك يبين الله لكم الآيات يقول جل ثناؤه كما بينت لكم أيها الناس أحكام الاستئذان فى هذه الآية كذلك يبين الله لكم جميع أعلامه وأدلة شرائع دينه والله عليم حكيم يقول والله ذو علم بما يصلح عباده حكيم فى تدبيره اياهم وغير ذلك من أموره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) يقول تعالى ذكره واذا بلغ الصغار من أولادكم وأقربائكم ويعنى بقوله منكم من أحراركم الحلم يعنى الاحتلام واحتلموا فليستأذنوا يقول فلا يدخلوا عليكم فى وقت من الاوقات الا باذن لا فى أوقات العورات الثلاث ولا فى غيرها وقوله كما استأذن الذين من قبلهم يقول كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقربائه الاحرار ورخص الله تعالى ذكره فى هذه الآية الاطفال بالذكر وتعريف حكمهم عباده فى الاستئذان دون ذكر ما ملكت أيماننا وقد تقدمت الآية التى قبلها بتعريفهم حكم الاطفال الاحرار والمماليك لان حكم ما ملكت أيماننا من ذلك حكم واحد سواء فيه حكم كبارهم وصغارهم فى ان الاذن عليهم فى الساعات الثلاث التى ذكرها الله فى هذه الآية التى قبل وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال أما من بلغ الحلم فانه لا يدخل على الرجل وأهله يعنى من الصبيان الاحرار الا باذن على كل حال وهو قوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال عطاء واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا قال واجب على الناس أجمعين أن يستأذنوا اذا احتلموا على من كان من الناس **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب عن ابن المسيب قال يستأذن الرجل على أمه قال انما أنزلت واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فى ذلك كذلك يبين الله لكم آياته يقول هكذا يبين الله لكم آياته أحكامه وشرائع دينه كما بين لكم أمر هؤلاء الاطفال فى الاستئذان بعد البلوغ والله عليم حكيم يقول والله عليم بما يصلح خلقه ويغير ذلك من الاشياء حكيم فى تدبيره خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم) يقول تعالى ذكره واللواتى قد قعدن عن الولد من الكبر من النساء فلا يحضن ولا يلدن واحدتهن قاعد اللاتى لا يرجون نكاحا يقول اللاتى قد يئسن من البعولة فلا يطمعن فى الازواج فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن يقول فليس عليهن حرج ولا اثم ان يضعن ثيابهن يعنى جلابيبهن وهى القناع الذى يكون فوق الخمار والرداء الذى يكون فوق الثياب لا حرج عليهن ان



ثلاث عورات فمحل هذه الجملة الرفع على الوصف أى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان واذا لم تصلح لم يكن له محل وكان الكلام مقررا للامر بالاستئذان فى تلك الاحوال خاصة ثم بين وجه العذر بقوله طوافون عليكم وهم الذين يكثرون الدخول والخروج والتردد يعنى ان بكم وبهم حاجة الى المداخلة والمخالطة للاستخدام ونحوه وارتفع

ملكت أيمانكم يشمل البالغين قلنا الوسلم فلا نسخ أيضا لان قوله غير بيوتكم لا يشمل العبيد لان الاضافة توجب الاختصاص والملكية والعبد لا يملك شيأ فلا يملك البيت أمر المماليك والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار وهذا معنى قوله منكم ان يستأذنوا ثلاث مرات فى اليوم والليلة احداها قبل صلاة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع ووقت استبدال ثياب اليقظة بثياب النوم وثانيتها عند الظهيرة وهو نصف النهار عند اشتداد الحر وظهوره فحينئذ يضع الناس ثيابهم غالبا وثالثها بعد صلاة العشاء يعنى الآخرة لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ثم بين حكمة الاستئذان فى هذه الاوقات فقال ثلاث عورات لكن قرأ ثلاث بالرفع فظاهر كما مر فى الوقوف ومن قرأ بالنصب فقد قال فى الكشاف انه بدل من ثلاث مرات أى أوقات ثلاث عورات قلت هذا بناء على ان قوله ثلاث مرات ظرف ويجوز ان يكون ثلاث مرات مصدرا يعنى ثلاثة استئذانات ويكون ثلاث عورات تفسيرا وبيانا للاوقات الثلاثة لانها منصوبة تقديرا وأصل العورة الخلل ومنه الاعور لمختل العين واعور الفارس اذا بدا منه موضع خلل للضرب واعور المكان اذا خيف فيه القطع قال جار الله اذا رفعت

بعضكم بالابتداء وخبره على بعض أو بالفاعلية أي يطوف بعضكم طائف أو يطوف بعضكم على بعض يدل على المحذوف ما وقع في الآية دلالة على وجوب اعتبار العلل في الاحكام ما أمكن يروى ان مدلج بن عمرو كان غلاما أنصاريا أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة الى عمر ليدعوه فدخل عليه (١١٤) وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية ثم بين حكم الاطفال الاحرار بعد البلوغ وهو أن لا يكون لهم الدخول الا باذن في جميع الاوقات ومعنى الذين من قبلهم الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا الآية ومتى يحكم ببلوغ الطفل انفقوا على أنه اذا احتلم كان بالغا وأما اذا لم يحتلم فعند عامة العلماء وعليه الشافعي أنه اذا بلغ خمس عشرة سنة فهو بالغ حكما لما روى ان ابن عمر عرض على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فلم يجزه وكان له أقل من خمس عشرة سنة وعرض عليه يوم الخندق وكان ابن خمس عشرة سنة فاجازه وعن بعض السلف وروى عن علي عليه السلام أيضا أنه كان يعتبر بالقامة ويقدر بخمسة وأشبار وعليه يحمل قول الفرزدق * مازال مذ عقدت يداه ازاره * فسما فأدرك خمسة الاشبار * وانبات العانة غير معتبر الا في حق الاطفال الكفار وقدم في أول سورة النساء وانما ختم هذه الآية بقوله كذلك يبين الله لكم آياته وقبلها وبعدها لكم الآيات لانهما يشتملان على علامات يمكن الوقوف عليها وهي في الاوقات الثلاثة وفي الآخرة من بيوتكم أو بيوت آبائكم الى آخرها ومثلها في قوله بعظكم الله ان تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات يبين حد الزانيين وحد القاذف وأما بلوغ الاطفال فليذكر لها علامات يمكن الوقوف عليها بل تفرد سبحانه بعلم ذلك فخصها بالاضافة الى نفسه والله عليم بمصالح العباد حكيم في أوامره ونواهيه ثم بين حكم

---

يضعن ذلك عند المحارم من الرجال وغير المحارم من الغرباء غير متبرجات بزينة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا وهي المرأة لا جناح عليها ان تجلس في بيتها بدرع وخمار وتضع عنها الجلباب ما لم تبرج لما يكره الله وهو قوله فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ثم قال وان يستعففن خير لهن **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يضعن ثيابهن يعني الجلباب وهو القناع وهذا للكبيرة التي قد قعدت عن الولد فلا يضرها أن تجلب فوق الخمار وأما كل امرأة مسلمة حرة فعليها اذا بلغت المحيض ان تدني الجلباب على الخمار وقال الله في سورة الاحزاب يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان بالمدينة رجال من المنافقين اذا مرت بهم امرأة سيئة الهيئة والزي حسب المنافقون انها مزينة وانها من بغيتهم فكانوا يؤذون المؤمنات بالرفث ولا يعلمون الحرة من الامة فانزل الله في ذلك يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين يقول اذا كان زيهن حسنا لم يطمع فيهن المنافقون **حدثنا** القاسم قال ثني الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج في قوله والقواعد من النساء اللاتي قعدن من الولد وكبرت قال ابن جريج قال مجاهد اللاتي لا يرجون نكاحا قال لا يردنه فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال جلابيبهن **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة قال ووضع الخمار قال اللاتي لا ترجو نكاحا اللاتي قد بلغت أن لا يكون لها في الرجال حاجة ولا للرجال فيها حاجة فاذا بلغن ذلك وضعن الخمار غير متبرجات بزينة ثم قال وان يستعففن خير لهن كان أبي يقول هذا كله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن ذر عن أبي وائل عن عبد الله في قوله فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال الجلباب أو الرداء شك سفيان قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن ابن زيد عن عبد الله ليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال الرداء **حدثني** يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثنا أبي عن أبيه عن جده عن الاعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن يزيد قال قال عبد الله في هذه الآية فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال هي الملحفة **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال سمعت أبا وائل قال سمعت عبد الله يقول في هذه الآية فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال الجلباب **حدثنا** يحيى بن سعيد عن شعبة قال أخبرني الحكم عن أبي وائل عن عبد الله مثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن الاعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود في قوله أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة قال هو الرداء قال الحسن قال عبد الرزاق قال الثوري وأخبرني أبو حصين وسالم الافطس عن سعيد بن جبير قال هو الرداء **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة قال تضع الجلباب المرأة التي قد عجزت ولم تزوج قال قال الشعبي قال أبي بن كعب يقرأ أن يضعن ثيابهن **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال قلت لابن أبي نجيح قوله فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات

النساء اللواتي خرجن من دجول الفتنة والتهمة فقال والقواعد وهي جمع قاعد بغير هاء كالحائض والطالق وقد زعم صاحب الكشاف انها جمع قاعدة بالهاء وفيه نظر لانه من أوصاف النساء الخاصة بهن سميت بذلك لقعودها عن الحيض والولد لكبرها ولذلك أكد بقوله اللاتي لا يرجون نكاحا أي لا يطمعن فيه لعدم من يرغب فيهن وليست من القعود بمعنى (١١٥) الجلوس حتى يحتاج الى الفرق بين المذكر والمؤنث ولا شبهة انه لا يحل لهن وضع كل ثيابهن لما فيه من كشف كل عورة فلذلك قال المفسرون المراد بالثياب ههنا الجلباب والرداء والقناع الذي فوق الخمار وعن ابن عباس أنه قرأ أن يضعن جلابيبهن وعن السدي عن شيوخه يضعن خمرهن عن رؤسهن خصهن الله تعالى بذلك لان التهمة مرتفعة عنهن وقد بلغن هذا المبلغ فلو غلب على ظنهن خلاف ذلك لم يحل لهن وضع شئ من الثياب الظاهرة وانما أبيح وضع الثياب حال كونهن غير متبرجات بزينة أي غير مظهرات شيأ من الزين الخفية المذكورة في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا اتخذن اليه وحقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لاغطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها الا يغيب منه شئ واختص التبرج في الاستعمال بتكشف المرأة للرجال وحين ذكر الجائز عقبه بالمستحب تنبيها على اختيار الافضل في كل باب فقال وان يستعففن خير لهن وذلك انهن في الجملة مظنة شهوة وفتنة وان عرض عارض الكبر والخمول فلكل ساقطة لاقطة وسئل بعض الظرفاء المذكورين عن حكمة تستر النساء فقال لانهن محل فتنة وشهوة فقيل فعلى هذا كان

---

بزينة قال الجلباب قال أبو يونس قلت عن مجاهد قال نعم في الدار والحجرة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال جلابيبهن وقوله غير متبرجات بزينة يقول ليس عليهن جناح في وضع أرديتهن اذا لم يردن بوضع ذلك عنهن أن يبدين ما عليهن من الزينة للرجال والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها أن تستره وان يستعففن خير لهن يقول وان تعففن عن وضع جلابيبهن وأرديتهن فيلبسنها خير لهن من ان يضعنها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان يستعففن خير لهن قال ان يلبسن جلابيبهن **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي وان يستعففن خير لهن قال ترك ذلك يعني ترك وضع الثياب **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان يستعففن خير لهن قال والاستعفاف لبس الخمار على رأسها كان أبي يقول هذا كله والله سميع ما تنطقون بألسنتكم عليم بما تضمره صدوركم فاتقوه ان تنطقوا بألسنتكم ما قد نهاكن أو عن أن تنطقوا بها أو تضمروا في صدوركم ما قد كرهه لكم فتستوجبوا بذلك منه عقوبة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم ان تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا أو أشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في هذه الآية في المعنى الذي أنزلت فيه فقال بعضهم أنزلت هذه الآية ترخيصا للمسلمين في الاكل مع العميان والعرجان والمرضى وأهل الزمانة من طعامهم من أجل انهم كانوا قد امتنعوا من أن يأكلوا معهم من طعامهم خشية أن يكونوا قد أتوا بأكلهم معهم من طعامهم شيأ مما نهاهم الله عنه بقوله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثني عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ليس عليكم جناح ان تأكلوا من بيوتكم الى قوله أو أشتاتا وذلك لما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقال المسلمون ان الله قد نهانا ان نأكل أموالنا بيننا بالباطل والطعام من أفضل الاموال فلا يحل لاحد منا ان يأكل عند أحد فكف الناس عن ذلك فأنزل الله بعد ذلك ليس على الاعمى حرج الى قوله أو ما ملكتم مفاتحه **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ليس على الاعمى حرج الآية كان أهل المدينة قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالطهم في طعامهم أعمى ولا مريض فقال بعضهم انما كان بهم التقذر والتعزز وقال بعضهم المريض لا يستوفي الطعام كما يستوفي الصحيح والاعرج المحبس لا يستطيع المزاحمة على الطعام والاعمى لا يبصر طيب الطعام فأنزل الله ليس عليكم حرج في موا كلة المريض والاعمى والاعرج فعني الكلام على تأويل هؤلاء ليس عليكم أيها الناس في الاعمى حرج أن تأكلوا من منه ومعه ولا في الاعرج حرج ولا في المريض

---

ينبغي أن لا يحسن تكليف المجانز بالتستر فاجاب بانه كان يلزم اذ ذاك مصيبتان احداهما عدم رؤية الحسان والثانية لزوم رؤية القباح ثم ختم السورة بسائر الصور التي يعتبر فيها الاذن فقال ليس على الاعمى حرج نفي الحرج عن الاصناف الثلاثة ذوي العاهات ثم قال ولا على أنفسكم ان تأكلوا الخ فذهب ابن زيد الى ان المراد نفي الحرج عنهم في القعود عن الجهاد ثم عطف على ذلك انه لا حرج عليكم ان تأكلوا من البيوت

المذكورة ووجه صحة العطف التغاير الطائفتين فى ان كل واحدة منهما منفى عنها الحرج قال جابر انسئل هذا ان يستفيد مسافر من الافطار فى رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ان يقصر ولا عليك ياحاج ان تقدم الحلق على النحر وقال آخرون كان المؤمنون يذهبون (١١٦) بالضعفاء وذوى الا فات الى بيوت أزواجهم وأولادهم والى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها فالح قلوب الكل ريبة خوفا من أن يكون أكلا بغير حق لقوله تعالى لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على هؤلاء الضعفاء ولا على أنفسكم يعنى عليكم وعلى من فى مثل حالكم من المؤمنين حرج فى ذلك قال قتادة كانت الانصار فى أنفسها قزازة وكانت لا تأكل من هذه البيوت اذا استغنوا والقزازة احتراز مع القزة وهى مدح والقزازة ذم وروى الزهرى عن سعيد بن المسيب وغيره ان المسلمين يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء فى بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويأذنون لهم ان يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون كما يحكى عن الحرث بن عمرو انه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد فى ماله وبيته فلما رجع رآه مجهودا فقال ما أصابك قال لم يكن عندى شئ ولم يحل لى أن آكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم ان تأكلوا من هذه البيوت قال الاكثرون كان هؤلاء الضعفاء يتسوقون مجالسة الناس ومؤاكلتهم فيقول الاعمى انى لا أرى شيأ فربما آخذ الاجود وأترك الردى والاعرج يقسم فى مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة أو غيرها من أسباب الكراهة وأيضا كان المؤمنون يقولون الاعمى لا يبصر الطعام الجيد ولا يأكله والاعرج لا يتمكن من الجلوس فلا يقدر على الاكل مما ينبغى والمريض

حرج ولا فى أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم فوجهوا معنى على فى هذا الموضع الى معنى فى وقال آخرون بل نزلت هذه الآية ترخيصا لاهل الزمانة فى الاكل من بيوت من سمى الله فى هذه الآية لان قوما كانوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن عندهم فى بيوتهم ما يطعمونهم ذهبوا بهم الى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو بعض من سمى الله فى هذه الآية فكان أهل الزمانة يتخوفون من أن يطعموا ذلك الطعام لانه أطعمهم غير مالكه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا جناح عليكم ان تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم قال كان رجال زمنى قال ابن عمر وفى حديثه عميان وعرجان وقال الحرث عمى عرج أو لو حاجة يستتبعهم رجال الى بيوتهم فان لم يجدوا طعاما ذهبوا بهم الى بيوت آبائهم ومن عدد منهم من البيوت فكره ذلك المستتبعون فأنزل الله فى ذلك ليس عليكم جناح وأحل لهم الطعام حيث وجدوه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال كان الرجل يذهب بالاعمى والمريض والاعرج الى بيت أبيه أو الى بيت أخيه أو عمه أو خاله أو خالته فكان الزمنى يتحرجون من ذلك يقولون انما يذهبون بنا الى بيوت غيرهم فنزلت هذه الآية رخصة لهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحو حديث أبى عمر وعن عاصم وقال آخرون بل نزلت ترخيصا لاهل الزمانة الذين وصفهم الله فى هذه الآية أن يأكلوا من بيوت من خلفهم فى بيوته من الغزاة ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر قال قلت للزهرى فى قوله ليس على الاعمى حرج ما بال الاعمى ذكر ههنا والاعرج والمريض فقال أخبرنى عبيد الله بن عبد الله ان المسلمين كانوا اذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون اليهم مفاتيح أبوابهم يقولون قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما فى بيوتنا وكانوا يتحرجون من ذلك يقولون لا ندخلها وهم غيب فانزلت هذه الآية رخصة لهم وقال آخرون بل عنى بقوله ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج فى التخلف عن الجهاد فى سبيل الله قالوا وقوله ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم كلام منقطع عما قبله ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج قال هذا فى الجهاد فى سبيل الله وفى قوله ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله أو صديقكم قال هذا شئ قد انقطع انما كان هذا فى الاول لم يكن لهم أبواب وكانت الستور رمحاة فربما دخل الرجل البيت وليس فيه أحد فربما وجد الطعام وهو جائع فسوغه الله ان يأكله قال وقد ذهب ذلك اليوم البيوت اليوم فيها أهلها واذا خرجوا أغلقوها فقد ذهب ذلك وقال آخرون بل نزلت هذه الآية ترخيصا للمسلمين الذين كانوا يتقون مؤاكلة أهل الزمانة فى مؤاكلتهم اذا شاؤا ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن مقسم فى قوله ليس على الاعمى حرج قال كانوا يتقون ان يأكلوا مع الاعمى والاعرج فنزلت ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا أو أشتاتا واختلفوا أيضا فى معنى قوله أو ما ملكتم مفاتحه فقال بعضهم عنى بذلك وكيل الرجل وفيه انه لا بأس عليه ان يأكل من ثمر ضيعته ونحو ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله أو ما ملكتم مفاتحه

لا يأتى له ان يأكل كما يأكل الاصحاء فقيل ليس على هؤلاء ولا عليكم فى المؤاكلة حرج ثم انه تعالى عدد من مواضع الاكل احد عشر موضعا الاول قوله من بيوتكم وفيه سؤال وهو انه أى فائدة فى اباحة أكل الانسان طعامه من بيته والجواب أراد من بيوت أزواجكم وعيالكم

لان بيت المرأة بيت الزوج قاله الفراء وقال ابن قتيبة أراد بيوت أولادهم ولهذا لم يذكر الاولاد في جملة الاقارب وان الولد أقرب الاقربين لانه بعض الرجل وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان أطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه وباقي البيوت لا اشكال فيها الى البيت العاشر وهو قوله أو ما ملكتم مفاتحه وفيه وجوه أحدها قال ابن عباس وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا باس عليه ان يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتيح كونها في يده وحفظه وثانيها قال الضحاك يريد الزمنى الذين يخلفون الغزاة وثالثها قيل أراد بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه الحادي عشر قوله أو صديقكم ومعناه أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا كالعدو وعن الحسن أنه دخل داره واذا خلفه من أصدقاء وقد استاذنوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الاطعمة وهم يكبون عليها يأكلون فتهلل أسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم يريد أكابر الصحابة وعن جعفر الصادق بن محمد عليه السلام من عظم حرمة الصديق ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط بمنزلة النفس والاب والاخ والابن قال العلماء اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما حصل الاستئذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستأذن صاحبه في الاكل منه احتج أبو يوسف بالآية على انه لا قطع على من سرق من ذي رحم محرم وذلك انه تعالى أباح الاكل من بيوتهم ودخولها بغير اذن فلا يكون ماله محرزا منهم وأورد عليه انه لا يقطع اذا سرق من صديقه فاجاب بان السارق لا يكون صديقا للمسروق منه واعلم ان ظاهر الآية دل على ان اباحة الاكل

مفاتحه هو الرجل يوكل بضيعته فرخص الله له ان يأكل من الطعام والتمر وشرب اللبن وقال آخرون بل عنى بذلك منزل الرجل نفسه انه لا باس عليه أن يأكل ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أو ما ملكتم مفاتحه يعني بيت أحدهم فانه يملكه والعبيد منهم مما ملكوا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله أو ما ملكتم مفاتحه مما تحبون يا ابن ادم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال أو ما ملكتم مفاتحه قال خزائن لا نفسهم ليست لغيرهم * وأشبه الاقوال التي ذكرنا في تاويل قوله ليس على الاعمى حرج الى قوله أو صديقكم القول الذي ذكرنا عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله وذلك ان أظهر معاني قوله ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج انه لا حرج على الذين سمى في هذه الآية أن يأكلوا من بيوت من ذكره الله فيها على ما أباح لهم من الاكل منها فاذ كان ذلك أظهر معانيه فتوجيه معناه الى الاغلب الاعرف من معانيه أولى من توجيهه الى الانكر منها فاذ كان ذلك كذلك كان ما خالف من التاويل قول من قال معناه ليس في الاعمى والاعرج حرج أولى بالصواب وكذلك أيضا الاغلب من تاويل قوله ولا على أنفسكم أن تاكلوا من بيوتكم انه بمعنى ولا عليكم أيها الناس ثم جمع هؤلاء والزمنى الذين ذكرهم قبل في الخطاب فقال أن تاكلوا من بيوت أنفسكم وكذلك تفعل العرب اذا جمعت بين خبر الغائب والمخاطب غلبت المخاطب فقالت أنت وأخولك قمتما وأنت وزيد جلستما ولا تقول أنت وأخولك جلسا وكذلك قوله ولا على أنفسكم والخبر عن الاعمى والاعرج والمريض غلب المخاطب فقال أن تاكلوا ولم يقل أن يأكلوا فان قال قائل فهذا الاكل من بيوتهم قد علمناه كان لهم حلالا اذ كان ملكا لهم أو كان أيضا حلالا لهم الاكل من مال غيرهم قيل له ليس الامر في ذلك على ما توهمت ولكنه كما ذكرناه عن عبيد الله بن عبد الله انهم كانوا اذا غابوا في مغازيهم وتخلف أهل الزمانة منهم دفع الغازي مفتاح مسكنه الى المتخلف منهم فأطلق له في الاكل مما يخلف في منزله من الطعام فكان المتخلفون يتحرفون الاكل من ذلك وربه غائب فأعلمه الله انه لا حرج عليه في الاكل منه وأذن لهم في أكله فاذ كان ذلك كذلك تبين ان لا معنى لقول من قال انما انزلت هذه الآية من أجل كراهة المستتبع أكل طعام غير المستتبع لان ذلك لو كان كما قال من قال ذلك لقيل ليس عليكم حرج ان تأكلوا من طعام غيركم اضافكم أو من طعام آبائكم من دعاكم ولم يقل ان تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم وكذلك لا وجه لقول من قال معنى ذلك ليس على الاعمى حرج في التخلف عن الجهاد في سبيل الله لان قوله ان تأكلوا خبر ليس وان في موضع نصب على انها خبر لها نهى متعلقة بليس فعلوم بذلك ان معنى الكلام ليس على الاعمى حرج ان يأكل من بيته لا ما قاله الذين ذكرنا من انه لا حرج عليه في التخلف عن الجهاد فاذ كان الامر في ذلك على ما وصفنا تبين ان معنى الكلام لا ضيق على الاعمى ولا على الاعرج ولا على المريض ولا عليكم أيها الناس ان تأكلوا من بيوت أنفسكم أو من بيوت آبائكم أو من بيوت أمهاتكم أو من بيوت اخوانكم أو من بيوت أخواتكم أو من بيوت أعمامكم أو من بيوت عماتكم أو من بيوت أخوالكم أو من بيوت خالاتكم أو من البيوت التي ملكتم مفاتحه أو من بيوت صديقكم اذا أذنوا لكم في ذلك عند مغيبهم ومشهدهم والمفاتح الخزائن واحدها مفتح اذا أريد به المصدر واذا كان من المفاتيح التي يفتح بها فهي مفتح ومفاتح وهي ههنا على التاويل الذي اخترناه جمع مفتح الذي

من هذه المواضع لا يتوقف على الاستئذان فعن قتادة ان الاكل مباح ولكن لا يحمل وجمهور العلماء أنكروا ذلك فقيل كان ذلك مباحا في صدر الاسلام ثم نسخ ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه ومما يدل على هذا النسخ قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وقال أبو مسلم هذا في الاقارب الكفرة في هذه الآية ما حظره وفي قوله لا تجدون فيما أوحي

بالله واليوم الآخر ولا دون من عاد الله ورسوله وقيل ان هؤلاء القوم كانت تطيب أنفسهم بما كل من يدخل عليهم والعادة كالاذن فى ذلك فلا جرم خصهم الله بالذكر لان هذه العادة فى الاغلب توجد فيهم ولذلك ضم اليهم الصديق واذا علمنا ان الاباحة انما حصلت فى هذه الصورة لاجل حصول الرضا فلا حاجة الى القول بالنسخ (١١٨) وحين نفى الحرج عنهم فى نفس الاكل أراد ان ينفى الحرج عنهم فى كيفية الاكل فقال

ليس عليكم جناح ان تأكلوا وانتصب قوله جميعا أو أشتاتا على الحال أى مجتمعين أو متفرقين والاشتات جمع شت وهو نعت وقيل مصدر وصف به ثم أجمع أكثر المفسرين ومنهم ابن عباس على انها نزلت فى بنى ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون عن الانفراد فى الطعام فربما قعد الرجل منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يؤاكله أكل وقال عكرمة وأبو صالح نزلت فى قوم من الانصار لما كان الامع ضيفهم وقال الكلبى كانوا اذا اجتمعوا لم يأكلوا طعاما عزلوا للاعمى طعاما على حدة وكذلك الزمن والمريض فبين الله لهم ان ذلك غير واجب وقال آخرون كانوا يأكلون فرادى خوفا من ان يحصل عند الجمعة ما ينفر أو يؤذى فرفع الله الحرج ثم علمهم أدبا جميلا قائلا فاذا دخلتم بيوتا أى من البيوت المذكورة لتأكلوا فسلموا على أنفسكم أى ابدؤا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة وانتصب تحية بسلموا أو بحيوا وقعدت جلوسا ومعنى من عند الله انها ثابتة من عنده مشروعة من لدنه أو أراد أن التحية طلب حياة للمخاطب من عند الله وكذا التسليم طلب السلامة له من عنده ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله تزايد الخير وطيب الرزق

وتضعيف الثواب عن أنس قال كنت واقفا على رأس النبى صلى الله عليه وسلم أصب الماء على يديه فرفع رأسه قال فقال ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بأبى وأمى يا رسول الله قال متى لقيت من أمتى أحدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين قال العلماء ان لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا

يقنع به وكان قتادة يتأول فى قوله أو صديقكم ما حدثنا به الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أو صديقكم فلو أكلت من بيت صديقك من غير أمره لم يكن بذلك بأس قال معمر قلت لقتادة فلا أشرب من هذا الحب قال أنت لى صديق وأما قوله ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم كان الغنى من الناس يتحرج أن يأكل مع الفقير فرخص لهم فى الاكل معهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا قال كان الغنى يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصديقه فيدعوه الى طعامه ليأكل معه فيقول والله انى لاجتنح أن آكل معك والجنح الحرج وأنا غنى وأنت فقير فاسروا أن يأكلوا جميعا أو أشتاتا وقال آخرون بل عنى بذلك حى من أحياء العرب كانوا لا يأكل أحدهم وحده ولا يأكل الا مع غيره فاذن الله لهم أن يأكل من شاء منهم وحده ومن شاء منهم مع غيره ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال كانوا يأثمون ويتحرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غيره فرخص الله لهم فقال ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال كانت بنو كنانة يستحى الرجل منهم أن يأكل وحده حتى نزلت هذه الآية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول كانوا لا يأكلون الا جميعا ولا يأكلون متفرقين وكان ذلك فيهم دينا فانزل الله ليس عليكم حرج فى مؤاكلة المريض والاعمى وليس عليكم حرج أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا قال كان من العرب من لا يأكل أبدا جميعا ومنهم من لا يأكل الا جميعا فقال الله ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال نزلت ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فى حى من العرب كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده كان يحمله بعض يوم حتى يجد من يأكله معه قال وأحسب انه ذكر انهم من كنانة وقال آخرون بل عنى بذلك قوما كانوا لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الامع ضيفهم فرخص لهم أن يأكلوا كيف شاؤا ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا حفص عن عمران ابن سليمان عن أبى صالح وعكرمة قالا كانت الانصار اذا نزل بهم الضيف لا يأكلون حتى يأكل الضيف معهم فرخص لهم قال الله لا جناح عليكم أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله وضع الحرج عن المسلمين أن يأكلوا جميعا مع اذا شاؤا أو أشتاتا مفترقين اذا أرادوا وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكرانهم كانوا لا يطعمون وحدانا وبسبب غير ذلك ولا خبر بشئ من ذلك يقطع العذر ولا دلالة فى ظاهر التنزيل على حقيقة شئ منه والصواب التسليم لما دل عليه ظاهر التنزيل والتوقف فيما لم يكن على صحته دليل وقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم معناه فاذا دخلتم أيها الناس بيوتا أنفسكم فسلموا على أهليكم وعيالكم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى وقتادة فى قوله فسلموا على أنفسكم قالا بيتك اذا دخلته فقل سلام علينا من ربنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسن قال ثنى حجاج عن ابن جريج فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم

قال سلم على أهلك قال ابن جريج وسئل عطاء بن أبي رباح أحق على الرجل اذا دخل على أهله ان يسلم عليهم قال نعم وقالها عمرو بن دينار وتلوا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة قال عطاء بن أبي رباح ذلك غير مرة قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني أبو الزبير قال سمعت جابر بن عبد الله يقول اذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة قال ما رأيته الا واجبه قال ابن جريج وأخبرني زياد عن ابن طاوس انه كان يقول اذا دخل أحدكم بيته فليسلم قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء اذا خرجت أواجب السلام هل أسلم عليهم فانما قال اذا دخلتم بيوتا فسلموا قال ما أعلمه واجبا ولا أثر عن أحد وجوبه ولكن أحب الى وما أدعه الا ناسيا قال ابن جريج وقال عمرو بن دينار لا قال قلت لعطاء فان السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله قلت له قولك هذا اذا دخلت بيتا ليس فيه عمن تأثره قال سمعته ولم يؤثر لي عن أحد قال ابن جريج وأخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس قال السلام علينا من ربنا وقال عمرو بن دينار السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا أحمد بن عبد الرحيم قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال ثنا صدقة عن زهير عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال اذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة قال ما رأيته بالا وجبه حدثنا محمد بن عباد الرازي قال ثنا حجاج بن محمد الاعور قال قال لي ابن جريج أخبرني أبو الزبير انه سمع جابر ابن عبد الله يقول فذكر مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا أبو عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم يقول سلموا على أهاليكم اذا دخلتم بيوتكم وعلى غير أهاليكم فسلموا اذا دخلتم بيوتهم وقال آخرون بل معناه فاذا دخلتم المساجد فسلموا على أهلها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس اذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال هي المساجد يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قال حدثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم في قوله اذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام على رسول الله واذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين واذا دخلت بيتك فقل السلام عليكم وقال آخرون بل معنى ذلك اذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين فيها ناس منكم فليسلم بعضكم على بعض ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله فسلموا على أنفسكم أي ليسلم بعضكم على بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخل المسلم سلم عليه كمثل قوله لا تقتلوا أنفسكم انما هو لا تقتل أهل المسلم وقوله ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم قال يقتل بعضكم بعضا قريظة والنضير وقال آخرون معناه فاذا دخلتم بيوتا ليس فيها أحد فسلموا على أنفسكم ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبي مالك قال اذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين واذا دخلت بيتا فيه ناس من المسلمين وغير المسلمين فقل مثل ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي سنان عن ماهان قال اذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال تقول السلام علينا من ربنا حدثنا ابن

قوله واستغفر لهم الله وجهان أحدهما ان هذا الاستغفار لاجل انهم تركوا الاولى والافضل وهو أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه والآخر انه جبر الهم على تمسكهم باذن الله تعالى في الاستئذان ثم حثهم على طاعة رسوله بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول أي لا تقيسوا دعاءه اياكم لخطب جليل على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن الجمع بغير اذن الداعي وذلك ان أمره فرض لازم وأمر غيره ليس بفرض وانما هو

الخطبة وذلك انه لا يدفي الخطوب الجليلة من ذوي رأي وقوة يستعان بهم وبآرائهم وتجاربهم في كفايتها فمفارقة أحدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ويشعب عليه رأيه قال الجبائي في الآية دلالة على ان استئذانهم الرسول من ايمانهم ولولا ذلك لجاز ان يكونوا كاملي الايمان وان تركوا الاستئذان وأجيب بان ترك الاستئذان من أهل النفاق لانزاع انه كفر لانهم تركوه استخفافا قال جار الله ومما يدل على عظم هذه الجناية انه جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه فيأذن لهم نالت الايمان بالله والايمان برسوله ومع ذلك صدر الجملة بانما وأوقع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بمزيد توكيد وتشديد حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فجعل الاستئذان كالمصدق لصحة الايمان بالله والرسول وفيه تعريض بحال المنافقين وتسللهم لواذا وفي قوله لبعض شأنهم دليل على ان أمر الاستئذان مضيق لا يجوز اتكابه في كل شأن وفي قوله فاذن لمن شئت منهم دلالة على انه تعالى فوض بعض أمر الدين الى اجتهاد الرسول ورأيه وزعم قتادة انها منسوخة بقوله لم أذنت لهم وفي

ندب مستحسن ورغبته مع الائمة والمتقدمين هذا ما عليه الاكثرون منهم المبرد والقفال وعن سعيد بن جبير لا تنادوه باسمه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المنخفض وقيل أراد احذروا دعاء الرسول ربه عليكم اذا أغضبتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره والتسلل الانسلال والذهاب على سبيل التدريج والواذ الملاوذة وهو أن يكون هذا بذاك وذاك بهذا وانتصابه على الحال والحاصل انهم يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة وهو استتار بعضهم ببعض وقيل كان يلوذ من لم يؤذن له بالذي أذن له فينطلق معه قال مقاتل هذا في الخطبة وقال مجاهد في صف القتال وقال ابن قتيبة نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن ومعنى قد يعلم يكثر العلم والمبالغة فيه كما مر في البقرة في قوله قد نرى تقلب وجهك يقال خالفته عن القتال أي جبنت عنه وأقدم هو وخالفته الى القتال أي أقدمت وجبن هو الفتنة المحنة في الدنيا كالقتل أو الزلازل وسائر الاهوال والعذاب الاليم هو عذاب النار وعن جعفر بن محمد عليه السلام الفتنة ان يسلط عليهم سلطان جائر وقال الاصوليون في الآية دلالة على ان ظاهر الامر للوجوب لان تارك المأمور به مخالف لذلك الامر فان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه والموافقة ضد المخالفة فاذا أخل بمقتضاه كان مخالفا والمخالف مستحق للعقاب بالآية ولا نعني بالوجوب الا هذا واعترض عليه بان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه على الوجه الذي يقتضيه الامر فان الامر لو اقتضاه على سبيل الندب وأنت تأتي على سبيل الوجوب كان ذلك مخالفة الامر ومنع من ان المندوب مأمور به فان هذا أول المسألة والظاهر ان الضمير في أمره للرسول ولو كان لله لم يضر لانه لا فرق بين أمر الله وأمر رسوله قال وأمر الرسول متناول عند بعضهم للقول والفعل والطريقة كما يقال أمر فلان مستقيم وعلى هذا فكل ما فعله الرسول فانه يكون واجبا علينا ثم بين كمال قدرته وعلمه بقوله ألا ان لله الخ تأكيد لوجوب الحذر قال جار الله الخطاب والغيبة في قوله ما أنتم عليه ويوم يرجعون كلاهما

---

المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا شعبة عن منصور قال شعبة وسألته عن هذه الآية اذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله قال قال ابراهيم اذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث عن بكير بن الاشج عن نافع ان عبد الله كان اذا دخل بيتا ليس فيه أحد قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير قال ثنا منصور عن ابراهيم فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخلت بيتا فيه يهود فقل السلام عليكم وان لم يكن فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه فاذا دخلتم بيوتا ولم يخصص من ذلك بيتا دون بيت وقال فسلموا على أنفسكم يعني بعضكم على بعض فكان معلوما اذ لم يخصص ذلك على بعض البيوت دون بعض انه معني به جميعها مساجدها وغير مساجدها ومعنى قوله فسلموا على أنفسكم نظير قوله ولا تقتلوا أنفسكم وقوله تحية من عند الله نصب تحية بمعنى تحيون أنفسكم تحية من عند الله السلام تحية فكأنه قال فليحي بعضكم بعضا من عند الله وقد كان بعض أهل العربية يقول انما نصبت بمعنى أمركم بها تفعلونه تحية منه ووصف جل ثناؤه هذه التحية بالمباركة الطيبة لما فيها من الاجر الجزيل والثواب العظيم وقوله كذلك يبين الله لكم الآيات يقول تعالى ذكره هكذا يفصل الله لكم معالم دينكم فيبينها لكم كما فصل لكم في هذه الآية ما أحل لكم فيها وعرفكم سبيل الدخول على من تدخلون عليه لعلكم تعقلون يقول لكي تفقهوا عن الله أمره ونهيه وأدبه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم) يقول تعالى ذكره انما المؤمنون حق الايمان الذين صدقوا الله ورسوله واذا كانوا معه يقول واذا كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر جامع يقول على أمر يجمع جميعهم من حرب حضرت أو صلاة اجتمع لها أو تشاور في أمر نزل لم يذهبوا يقول لم ينصرفوا انما اجتمعوا له من الامر حتى يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه يقول اذا كان أمر طاعة لله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله واذا كانوا معه على أمر جامع قال أمر من طاعة الله عام **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا محمد بن بكر قال أخبرنا ابن جريج قال سأل مكحولا الشامي انسان وأنا أسمع ومكحول جالس مع عطاء عن قول الله في هذه الآية واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه فقال مكحول في يوم الجمعة وفي زحف وفي كل أمر جامع قد أمر ان لا يذهب أحد في يوم جمعة حتى يستأذن الامام وكذلك في كل جامع ألا ترى أنه يقول واذا كانوا معه على أمر جامع **حدثني** يعقوب قال ثني ابن علية قال أخبرنا هشام بن حسان عن الحسن قال كان الرجل اذا كانت له حاجة والامام يخطب قام فأومأ بأنفه فاشار اليه الامام ان يخرج قال فكان رجل قد أراد الرجوع الى أهله فقام الى حرم من حيطان وهو يخطب فأخذ بأنفه فاشار اليه هرم ان يذهب فخرج الى أهله فاقام فيهم ثم قدم فقال له هرم أين كنت

قال في اهلي قال أباذن ذهبت قال نعم قمت الليل وأنت تخطب فاخذت بانفي فاشرت الى أن اذهب فذهبت فقال أما تخفت هذا رغلا او كلمة نحوها ثم قال اللهم أخزر جال السوء الى زمان السوء **حدثني** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري في قوله واذا كانوا معه على أمر جامع قال هو الجمعة اذا كانوا معه لم يذهبوا حتى يستأذنوه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه قال الامر الجامع حين يكونون معه في جماعة الحرب أو جمعة قال والجمعة من الامر الجامع لا ينبغي لاحد ان يخرج اذا قعد الامام على المنبر يوم الجمعة الا باذن سلطان اذا كان حيث يراه أو يقدر عليه ولا يخرج الا باذن واذا كان حيث لا يراه ولا يقدر عليه ولا يصل اليه فالله أولى بالعذر وقوله ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله يقول تعالى ذكره ان الذين لا ينصرفون يا محمد اذا كانوا معك في أمر جامع عندك الا باذنك لهم طاعة منهم لله ولك وتصديقا بما أتيتهم به من عندي أولئك الذين يصدقون الله ورسوله حقا لا من يخالف أمر الله وأمر رسوله فينصرف عنك بغير اذن منك له بعد تقدمك اليه ان لا ينصرف عنك الا باذنك وقوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم يقول تعالى ذكره فاذا استأذنك يا محمد الذين لا يذهبون عنك الا باذنك في هذه المواطن لبعض شأنهم يعني لبعض حاجاتهم التي تعرض لهم فأذن لمن شئت منهم في الانصراف عنك لقضائها واستغفر لهم يقول وادع الله لهم بان يتفضل عليهم بالعفو عن تبعات ما بينه وبينهم ان الله غفور لذنوب عباده التائبين رحيم بهم ان يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) يقول تعالى ذكره لاصحاب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا أيها المؤمنون دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا واختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم نهى الله بهذه الآية المؤمنين ان يعترضوا الدعاء الرسول عليهم وقال لهم اتقوا دعاءه عليكم بأن تفعلوا ما يسخطه فيدعو لذلك عليكم فتهلكوا فلا تجعلوا دعاءه كدعاء غيره من الناس فان دعاءه موجبة ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا دعوة الرسول عليكم موجبة فاحذروها وقال آخرون بل ذلك نهي من الله ان يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلظ وجفاء وأمرهم ان يدعوه بلين وتواضع ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد **حدثكم** بعضكم بعضا قال أمرهم ان يدعوا يا رسول الله في لين وتواضع ولا يقولوا يا محمد في تجهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال أمرهم ان يدعوه يا رسول الله في لين وتواضع **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال أمرهم ان يفخموه ويشرفوه وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي التأويل الذي قاله ابن عباس وذلك ان الذي قبل قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا نهي من الله المؤمنين ان يأتوا من الانصراف عنه في الامر الذي يجمع جميعهم

قال ابن عباس وذلك ان المنافقين كانوا يتسللون عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام يخطب يوم الجمعة فيقومون على باب المسجد فيتسللون واحدا واحدا لواذا يستترون بالناس ان يراهم قد انصرفوا فانزل الله هذه الآية

فالمنافقين على طريقة الالتفات اذا الاول عام والثاني لاهل النفاق وأقول يحتمل أن يكون كلاهما عاما للمنافقين والفاء في قوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره لتلازم ما قبلها وما بعدها كقولك ربك فكبر التأويل ومن يطع الله ورسوله فيما يدعوه اليه الحضرة بترك ما سوى الله ويخشى الانقطاع عن الله ويتق به عما سواه فاولئك هم الفائزون بالوصول والوصال وصالا بلا انفصال وزوال لان أمرهم بالخروج عن غير الله طاعة معروفة بالفعل دون القول ليستخلفهم ليخرجن ما في استعدادهم من خلافة الله في أرض البشرية من القوة الى الفعل وليمكنن كل صنف جعل الامانة المودعة فيه على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم فمنهم حفاظ لاخبار النبي صلى الله عليه وسلم وللقرآن ومنهم علماء الاصول ومنهم علماء الفروع ومنهم أهل المعرفة وأصحاب الحقائق وأرباب السلوك الكاملون وانهم خلفاء الله على الحقيقة وأقطاب العالم وأوتاد الارض وليبدلنهم من بعد خوفهم من الشرك الخفي أمنا يعبدونني بالاخلاص لا يشركون بي شيأ من مطالب الدنيا والآخرة ليستأذنكم المريدون الذين هم تحت تصرفكم والذين لم يبلغوا أوان الشيخوخة ثلاث مرات في المبادي وفي أوساط السلوك وفي نهاية أمرهم فاذا صلحت أحوالهم في هذه الاوقات صلح سائرها في الاغلب والله المستعان والقواعد فيه اشارة الى أن المريد اذا صار بحيث أمن منه افشاء الاسرار وما استودع فيه من متولدات الاحوال فلا ضير عليه أن لا يبالغ في التستر والاخفاء من الاغيار والكتمان خيره ليس على الاعمى حرج قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بدايه رضي الله عنه فيه اشارة الى أن من لا يبصر الا بالله ولا يمشي الا بالله ولا يعلم الا بالله فانهم



مخصوصون بالتمكين كما قال كنت له سمعا الحديث فانهم مستعدون لقبول الفيض الالهي وهم السابقون المقربون فلا حرج في الشرع على من يكون مستعدا لهذا الكمال فان الله لا يكلف نفسا الا وسعها وفي قوله ولا على أنفسكم الخ اشارة الى أنه لا حرج على أرباب النفوس على أن يكون طعامهم من بيوتهم أو بيوت أبناء جنسهم وهي

الجنات ومراتبها كما قال فيها ما تشتهي الانفس وفي قوله أو مما ملكتم مفاتحه اشارة الى ان درجات الجنة مساكن أهل الكمالات كانت مقامات أهل القرب عند مليك مقتدر منازل أهل المواهب قوله أوصديقكم فيه ان درج الجنان ينالها المرء ببركة جليسه الصالح وقد ينعكس نور ولايه الشيخ على مرآة قلب المريد الصادق فينال (١٢٢) به مرتبة لم يكن يصل اليها بمجرد أعماله ليس عليكم جناح فيه انه لاحرج على أهل الجنة ان تكون مآكلهم من درجة واحدة أو من درجات شتى فاذا دخلتم بيوتا أي بلغتم منزلا من المنازل فسلموا أي استسلموا لاحكام الربوبية بمزيد العبودية حتى ترتقوا منها الى منازل أعلى وأطيب انما المؤمنون فيه ان المريد الصادق ينبغي أن لا يتنفس الا باذن شيخه فان الشيخ في قومه كالنبي في أمته ان تصيبهم فتنة من المال أو الجاه أو قبول الخلق أو الترويج أو السفر باذن الشيخ أو التردد على أبواب الملوك ونحو ذلك وما العصمة الا من الله وهو المستعان

*(سورة الفرقان مكية غير آية نزلت بطائف الم ترالى ربك كيف مدالظل وهي ثلاث وسبعون آية وسبعمائة وثلاث وسبعون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وسبعة وسبعون حرفا)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا واتخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيأ وهم يخلقون ولايملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولاحياة ولانشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد

ما يكرهه والذي بعده وعيد للمنصرفين عنه بغير اذنه فالذي بينهما بان يكون تحذيرا لهم بعظمه ان يضطره الى الدعاء عليهم أشبهه من أن يكون أمرا لهم بما لم يجر له ذكر من تعظيمه وتوقيره بالقول والدعاء وقوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا يقول تعالى ذكره انكم أيها المنصرفون عن نبيكم بغير اذنه تسترا وخفية منه وان خفي أمر من يفعل ذلك منكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله يعلم ذلك ولا يخفى عليه، فليتق من يفعل ذلك منكم الذين يخالفون أمر الله في الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا باذنه أن تصيبهم فتنة من الله أو يصيبهم عذاب أليم فيطبع على قلوبهم فيكفروا بالله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن جويبر عن الضحاك في قول الله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال كانوا يستتر بعضهم ببعض فيقومون فقال فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة قال يطبع على قلبه فلا يأمن أن يظهر الكفر بلسانه فتضرب عنقه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال خلافا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال هؤلاء المنافقون الذين يرجعون بغير اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللواذ يلوذ عنه ويروغ ويذهب بغير اذن النبي صلى الله عليه وسلم فليحذر الذين يخالفون عن أمره الذين يصنعون هذا أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم الفتنة ههنا الكفر والمراد مصدر لاوذت يقال ملاوذة ولواذا ولذلك ظهرت الواو ولو كان مصدر اللذت لقيل لياذا كما يقال قمت قياما واذا قيل قاوم تك قيل قواما طو يلا والمراد هو ان يلوذ القوم بعضهم ببعض يستتر هذا بهذا وهذا بهذا كما قال الضحاك وقوله أو يصيبهم عذاب أليم يقول أو يصيبهم في عاجل الدنيا عذاب من الله موجع على صنيعهم ذلك وخلافهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره وأدخلت عن لان معنى الكلام فليحذر الذين يلوذون عن أمره ويدبرون عنه معرضين ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ألا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم) يقول تعالى ذكره ألا ان لله ملك جميع السموات والارض يقول فلا ينبغي لمملوك أن يخالف أمر مالكه فيعصيه فيستوجب بذلك عقوبته يقول فكذلك أنتم أيها الناس لا يصلح لكم خلاف ربكم الذي هو مالككم فاطيعوه وائتمروا لامره ولا تنصرفوا عن رسوله اذا كنتم معه على أمر جامع الا باذنه وقوله قد يعلم ما أنتم عليه من مباعدتكم اياه فيما أمركم ونهاكم من ذلك كما حدثني أيضا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قد يعلم ما أنتم عليه صنيعكم هذا أيضا ويوم يرجعون اليه يقول ويوم يرجع الى الله الذين يخالفون عن أمره فينبئهم يقول فيخبرهم حينئذ بما عملوا في الدنيا ثم يجازيهم على ما أسلفوا فيها من خلافهم على ربهم والله بكل شئ عليم يقول والله ذو علم بكل شئ عملتموه أنتم وهم وغيركم وغير ذلك من الامور لا يخفى عليه شئ بل هو محيط بذلك كله وهو موف كل عامل منكم أجر عمله يوم ترجعون اليه آخر تفسير سورة النور

*(تفسير سورة الفرقان)*

سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك (١٢٣) ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا) * القراآت جنة تاكل بالنون حمزة وعلي وخلف الباقون بالياء التحتانية ويجعل لك بالرفع ابن عامر وأبو بكر وحماد والمفضل وابن كثير الباقون بالجزم وذلك ان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الرفع والجزم يحشرهم فيقول كلاهما بالياء ابن كثير ويزيد وسهل ويعقوب وعباس وحفص وقرأ ابن عامر بالنون فيهما الباقون بالنون في الاول وبالياء في الثاني ان يتخذ على البناء للمفعول يزيد بما تقولون بتاء الخطاب عباس وحفص والسرنديبي عن قنبل تستطيعون على الخطاب حفص غير الخزاز * الوقوف نذيرا * لابناء على انما بعده بدل من الذي نزل والتعليل من تمام الصلة ولو قدر رفعه أو نصبه على المدح جاز الوقف تقديرا * ولا نشورا * آخرون ج لاجل الفاء مع اختلاف القائل أو لاحتمال أن يكون نقد جاء من قول الكفار أي جاء محمد ومن أعانه بظلم وزور وزوراه للاحتمال المذكور أو لعطف المتفقتين مع عوارض وطول الكلام وأصيلا * والارض ط رحيما * الاسواق ط نذيرا * منها ط مسحورا * سبيلا * الانهار ط لمن جعل رفع تجعل على الاستئناف قصورا * سعيرا * لاحتمال كون ما بعده صفة أو استئنافا وزفيرا * ثبورا الاول * ط كثيرا * المتقون ط لانتهاء الاستفهام ومصيرا * خالدين ط مسؤلا * السبيل * الذكر ج لجواز أن يكون المراد

*( بسم الله الرحمن الرحيم )*

القول في تاويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) قال أبو جعفر تبارك تفاعل من البركة كما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة قال ثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال تبارك تفاعل من البركة وهو كقول القائل تقدس ربنا فقوله تبارك الذي نزل الفرقان يقول تبارك الذي نزل الفصل بين الحق والباطل فصلا بعد فصل وسورة بعد سورة على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ليكون محمد لجميع الجن والانس الذين بعثه الله اليهم داعيا اليه نذيرا يعني منذرا ينذرهم عقابه ويخوفهم عذابه ان لم يوحدوه ولم يخلصوا له العبادة ويخلعوا كل ما دونه من الآلهة والاوثان وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا قال النبي النذير وقرأ وان من أمة الا خلا فيها نذير وقرأ وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون قال رسل قال المنذرون الرسل قال وكان نذيرا واحدا بلغ ما بين المشرق والمغرب ذو القرنين ثم بلغ السدين وكان نذيرا ولم أسمع أحدا يحق انه كان نبيا وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ قال من بلغه القرآن من الخلق فرسول الله نذيره وقرأ يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وقال لم يرسل الله رسولا الى الناس عامة الا نوحا بعد آدم فكان رسول أهل الارض كلهم ومحمد صلى الله عليه وسلم ختم به القول في تاويل قوله تعالى (الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا) يقول تعالى ذكره تبارك الذي نزل الفرقان الذي له ملك السموات والارض فالذي الثانية من نعت الذي الاولى وهما جميعا في موضع رفع الاولى بقوله تبارك والثانية نعت لها ويعني بقوله الذي له ملك السموات والارض الذي له سلطان السموات والارض ينفذ في جميعها أمره وقضاؤه ويمضي في كلها أحكامه يقول لحق على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته ومن في سلطانه ولا يعصوه يقول فلا تعصوا أيها الناس واتبعوه واعملوا بما جاءكم به من الحق ولم يتخذ ولدا يقول تكذيبا لمن أضاف اليه الولد وقال الملائكة بنات الله ما اتخذ الذي نزل الفرقان على عبده ولدا فمن أضاف اليه ولدا فقد كذب وافترى على ربه ولم يكن له شريك في الملك يقول تكذيبا لمن كان يضيف الالوهة الى الاصنام ويعبدها من دون الله من مشركي العرب ويقول في تلبيته لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك كذب قائله فهذا القول ما كان لله من شريك في ملكه وسلطانه فيصلح أن يعبد من دونه يقول تعالى ذكره فافردوا أيها الناس لربكم الذي نزل الفرقان على عبده محمد نبيه صلى الله عليه وسلم الالوهة وأخلصوا له العبادة دون كل ما تعبدونه من دونه من الآلهة والاصنام والملائكة والجن والانس فان كل ذلك خلقه وفي ملكه فلا تصلح العبادة الا لله الذي هو مالك جميع ذلك وقوله وخلق كل شيء يقول تعالى ذكره وخالق كل شيء نزل على محمد الفرقان كل شيء فالاشياء كلها خلقه وملكه وعلى المماليك طاعة لمالكهم وخدمة سيدهم دون غيره يقول وأنا لكم ومالككم فاخلصوا لي العبادة دون غيري وقوله فقدره تقديرا يقول فسوى كل ما خلق وهيأه لما يصلح له فلا خلل فيه ولا تفاوت القول في تأويل قوله تعالى (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا

ط لكثيرا * المتقون ط لانتهاء الاستفهام ومصيرا * خالدين ط مسؤلا * السبيل * الذكر ج لجواز أن يكون المراد

وقد كانوا لجواز أن يراد وصاروا فيقتتل بقوله بوراء يقولون الآن قرأ السبعة يطعمون بناء الفاعل أصرا ج لاشتراط مع العطف كبيراء في الأسواق ط فتنة ط يصبرون ج لاحتمال كون الواو للحال بصيراء * التفسير انه سبحانه تكلم في هذه السورة أولا في التوحيد لانه أقدم وأهم ثم في النبوة لانها (١٢٤) الواسطة ثم في المعاد وسيختم السورة بصفات العباد المخلصين الموقنين لما أشرف

هذه المطالب وما أحسن هذا الترتيب ومعنى تبارك كثر خيره وزاد أو تعالى عن أوصاف الممكنات وقد مر في قوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين وفي وصفه نفسه بتنزيل الفرقان الفارق بين الحق والباطل أو المفرق في الانزال بعد قوله تبارك دليل على ان كل البركة والخير انما هو في القرآن وكانت هذه الصفة معلومة بدلائل الاعجاز فلذلك صح ايقاعها صلة للذي والضمير في ليكون لعبده أو للفرقان كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والعالمون يشمل الخلائق كلهم الا ان الاجماع دل على خروج الملائكة وما وعد الثقلين فبقي أن يكون مبعوثا الى الجن والانس الى آخر مدة التكليف والنذير المنذر أو الانذار كالنكير قالت المعتزلة لو لم يرد الايمان من الكل لم يكن الرسول نذيرا للكل وعورض بنحو قوله ولقد ذرأنا لجهنم والانذار الموجب للخوف لا ينافي وصفه تعالى بالبركة والخيرلان النظر على السعادات الاخروية التي تحصل بالانذار لا على فوات بعض اللذات العاجلة ثم وصف ذاته بصفاته الاربع أولها الذي له ملك السموات والارض وفيه تنبيه على افتقار الكل اليه في الوجود وفي توابعه من البقاء وغير ما الثانية ولم يتخذ ولدا وفيه رد على النصارى واليهود الثالثة ولم يكن له شريك في الملك وفيه رد على سائر المشركين من الثنوية والوثنية وارباب الشرك الخفي أيضا ولكنه صرح بهذا الاخير في الصفة الرابعة وهي قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا قال جار الله المعنى انه أحدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية والتهيئة لما صلح له أو المراد خلق الابجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق ورد ما فيه من معنى التقدير لئلا يلزم التكرار فكأنه قيل أوجد كل شيء فقدره في ايجاده لم يوجد بغتة أو

نشورا) يقول تعالى ذكره مقررا مشركي العرب بعبادتهم ما دونه من الآلهة ومعجبا أولي النهى منهم ومنبئهم على موضع خطأ فعلهم وذاهبهم عن منهج الحق وركوبهم من سبل الضلالة مالا يركبه الا كل مدخول الرأي مسلوب العقل واتخذ هؤلاء المشركون بالله من دون الذي له ملك السموات والارض وحده من غير شريك الذي خلق كل شيء فقدره آلهة يعني أصناما بايديهم يعبدونها لا تخلق شيأ وهي تخلق ولا تملك لانفسها نفعا تجره اليها ولا ضرا تدفعه عنها ممن أرادها بضر ولا تملك اماتة حي ولا احياء ميت ولا نشره من بعد مماته وتركوا عبادة خالق كل شيء وخالق آلهتهم ومالك الضر والنفع والذي بيده الموت والحياة والنشور والنشور مصدر نشر الميت نشورا وهو ان يبعث ويحيا بعد الموت ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا) يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء الكافرون بالله الذين اتخذوا من دونه آلهة ما هذا القرآن الذي جاءنا به محمد الا افك يعني الا كذب وبهتان افتراه اختلقه وتحرصه بقوله وأعانه عليه قوم آخرون ذكر انهم كانوا يقولون انما يعلم محمدا هذا الذي يجيئنا به اليهود فذلك قوله وأعانه عليه قوم آخرون يقول وأعان محمدا على هذا الافك الذي افتراه يهود ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وأعانه عليه قوم آخرون قال يهود حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله فقد جاؤا ظلما وزورا يقول تعالى ذكره فقد أتى قائلو هذه المقالة يعني الذين قالوا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ظلما يعني بالظلم نسبتهم كلام الله وتنزيله الى أنه افك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم وقد بينا فيما مضى ان معنى الظلم وضع الشيء في غير موضعه فكان ظلم قائلي هذه المقالة القرآن بقيلهم هذا وصفهم اياه بغير صفته والزور وأصله تحسين الباطل فتأويل الكلام فقد أتى هؤلاء القوم في قيلهم ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون كذبا محضا وبهتانا الذي قلنا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد و حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فقد جاؤا ظلما وزورا قال كذبا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما) ذكر ان هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث وانه المعني بقوله وقالوا أساطير الاولين ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنا شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس قال كان النضر بن الحرث بن كلدة من علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي من شياطين قريش وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة يتعلم بها أحاديث ملوك فارس وأحاديث رستم واسفنديار فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس مجلسا فذكر بالله وحدث قومه ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله خلفه في مجلسه اذا قام ثم يقول أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه فهلموا فانا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار ثم يقول ما محمد أحسن حديثا

أحدثه فقدرة البقاء الى أمد معلوم وعندى ان الكلام محمول على القلب الذى يشمع عليه أمن الالباس أى قدره فى الازل تقديرا نظائره فى نفسه موافقا لذلك التقدير والبحث فيه بين المعتزلة والاشاعرة كاسمر فى قوله الله خالق كل شئ ثم صرح بالتبيين هذا هب عبدة الاوثان قائلوا اتخذوا الآية وحاصله أن الله العالم يجب أن يكون أقدر الاشياء وأشرفها (١٢٥) لا أعجزها وأخسها وهو الجماد بل الملائكة

حدثنا منى قال فأنزل الله تبارك وتعالى فى النضر ثمانى آيات من القرآن قوله واذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين وكل ماذكر فيه الاساطير فى القرآن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس نحوه الا انه جعل قوله فأنزل الله فى النضر ثمانى آيات عن ابن اسحق عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أساطير الاولين أشعارهم وكهانتهم وقالها النضر بن الحرث فتأويل الكلام وقال هؤلاء المشركون بالله الذين قالوا لهذا القرآن ان هذا الا افك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم هذا الذى جاءنا به محمد أساطير الاولين يعنون أحاديثهم التى كانوا يسطرونها فى كتبهم اكتتبها محمد صلى الله عليه وسلم من يهود فهى تملى عليه يعنون بقوله فهى تملى عليه فهذه الاساطير تقرأ عليه من قولهم أمليت عليك الكتاب وأمللت بكرة وأصيلا يقول وتملى عليه غدوة وعشيا وقوله قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بآيات الله من مشركى قومك ما الامر كما تقولون من ان هذا القرآن أساطير الاولين وان محمدا صلى الله عليه وسلم افتراه وأعانه عليه قوم آخرون بل هو الحق أنزله الرب الذى يعلم سر من فى السموات ومن فى الارض ولا يخفى عليه شئ ويحصى ذلك على خلقه ويجازيهم بما عزمت عليه قلوبهم واضمرته فى نفوسهم انه كان غفورا رحيما يقول انه لم يزل يصفح عن خلقه ويرحمهم فيتفضل عليهم بعفوه يقول فلأن ذلك من عادته فى خلقه يمهلكم أيها القائلون ما قلتم من الافك والفتاء ولن ما فعلتم من الافك ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض قال ما يسر أهل الارض وأهل السماء ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا) ذكر ان هاتين الآيتين نزلتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان مشركو قومه قالوا له ليلة اجتماع أشرافهم بظهر الكعبة وعرضوا عليه أشياء وسألوه آيات فكان فيما كلموه به حينئذ فيما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس ان قالوا له فان لم تفعل لنا هذا يعنى ما سألوه من تسيير جبالهم عنهم واحياء آبائهم والمجىء بالله والملائكة قبيلا وما ذكره الله فى سورة بنى اسرائيل نخذ لنفسك لن بلك يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله فيجعل لك قصورا وجنانا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك عما نراك تبتغى فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعلم فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بفاعل فأنزل الله فى قولهم أن خذ لنفسك ما سألوه أن يأخذ لها أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا أو يبعث معه ملكا يصدقه بما يقول ويرد عنه من خاصمه وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا فتأويل الكلام وقال المشركون ما لهذا الرسول يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم الذى يزعم أن الله بعثه الينا يأكل الطعام كما نأكل ويمشى فى أسواقنا كما نمشى لولا أنزل اليه يقول

مع والمسيح لانه لا قدرة لهم على الايجاد والتصرف فى شئ الا باذن الله فتكون الآية ردا على الكل وانما قال فى هذه السورة من دونه لتقدم الذكر مفردا وفى مريم و يسن من دون الله لان ما قبلها ما يلفظ الجمع تعظيما فلن يكن بد من التصريح وحين فرغ من بيان التوحيد ونفى الانداد شرع فى شبهات منكرى النبوة والاجوبة عنها فالشبهة الاولى قولهم ان هذا الا افك افتراه أراد وا أنه كذب فى نفسه أو أرادوا أنه كذب فى اضافته الى الله تعالى وقوله وأعانه عليه قوم آخرون نظيرة وله تعالى انما يعلمه بشر لسان الذى وقد مر ما قيل فى سبب نزوله فى النحل فا جابهم الله تعالى عن شبهتهم بقوله فقد جاؤا ظلما وزورا أى أتوهما فانتصب بوقوع المجىء عليه وعن الزجاج أنه انتصب بنزع الخافض أى أتوا بالظلم والزور فالظلم هو انهم نسبوا هذا الفعل الشنيع وهو الافتراء على الله الى من هو عندهم فى غاية الامانة والصدق والزور وهو انحرافهم عن جادة العدل والانصاف فلو أنصفوا من أنفسهم لعلموا ان العربى لا يتلقن من العجمى كلاما عربيا أعجز بفصاحته وهما معهم ولو استعان محمد فى ذلك بغيره لامكنهم أيضا ان يستعينوا بغيرهم قال أبو مسلم الظلم تكذيبهم الرسول والزور كذبهم عليه الشبهة الثانية قولهم انه أساطير الاولين

أى أحاديث سطرها المتقدمون كاخبار الاعاجم اكتتبها كقولك استكتب المداد أى سكبه لنفسه واخذه وقد يظن ان فى الكلام قلبا لانه يقال أمليت عليه فهو يكتتبها وأجيب بان المعنى أراد اكتتابها فهى تقرأ عليه أو كتبت له وهو أى فهى تملى عليه من كتابه يحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب قال الفضيل ما يملى عليه بكرة يقرأ عليهم عشية وما يملى عليه عشية

يقرأ عليكم بكرة وقال بالله بكرة وأصيلا أي دائما أو في الجنة قبل أن ينشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم فاطلبن هذه الشبهة بقوله قل أنزله الذي يعلم السر الآية والمعنى ان العالم بكل سر هو الذي يقدر على الاتيان بمثل هذا الكتاب لفصاحة مبانيه وبلاغة معانيه وبراءته من التناقض والاختلاف واشتماله على الغيوب وعلى مصالح العباد في المعاش والمعاد قال أبو مسلم أراد انه يعلم كل سر خفي ومن جملته ما تسرونه أنتم من الكيد والنفاق فهو يجازيكم عليه ولاجل هذا الوعيد ختم الآية بذكر المغفرة والرحمة فانه لا يوصف بهما الا القادر على العقوبة وقيل هو تنبيه على انهم استعجلوا بمكابرتهم العذاب العاجل ولكنه صرفه عنهم برحمته وغفرانه الشبهة الثالثة قولهم على سبيل الاستهانة وتصغير الشأن مال هذا الزاعم انه رسول أي ما باله يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد زعموا أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن هذا المقام فطلبوا أن يكون انسانا معه ملك يعضده ويساعده في باب الانذار ثم نزلوا فاقترحوا أن يكون مستظهرا بكنز يلقى اليه من السماء حتى لا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فقالوا لا أقل من أن يكون كبعض الدهاقين له بستان ينتفع هو أو ننتفع نحن بذلك على اختلاف القراءتين وانتصب فيكون لانه جواب لو لا يعني هلا وحكمه حكم الاستفهام ومحل أنزل الرفع كما يقول لولا ينزل ولهذا عطف عليه يلقى ويكون مرفوعين وقال الظالمون من وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش النضر بن الحرث وأمثاله والمسحور المغلوب على عقله والامثال الاقوال النادرة والاقتراحات الغريبة المذكورة فبقوا متحيرين لا يجدون قولا يستقرون عليه أو عدلوا عن الحق ولا يجدون طريقا اليه وقد بين مثل هذه الآية في أواسط سورة بني اسرائيل وحين حكى شبههم ومطاعنهم مدح نفسه بما يجبهم ويغمهم وهو قوله تبارك أي تكاثر خيره الذي ان شاء

---

هلا أنزل اليه ملك ان كان صادقا من السماء فيكون معه نذيرا للناس مصدقا له على ما يقول أو يلقى اليه كنز من فضة أو ذهب فلا يحتاج معه الى التصرف في طلب المعاش أو تكون له جنة يتوصل أو يكون له بستان يأكل منها واختلف القراء في قراءة ذلك فقرأ نافع عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين يأكل بالياء بمعنى يأكل منها الرسول وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين نأكل منها بالنون بمعنى نأكل من الجنة * وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بالياء وذلك للخبر الذي ذكرنا قبل بان مسألة من سأل من المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل ربه هذه الخلال لنفسه لالهم فاذ كانت مسألتهم اياه ذلك كذلك فغير جائز أن يقولوا له سل لنفسك ذلك لنأكل نحن وبعدها في قوله تعالى ذكره ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد الى هؤلاء المشركين الذين شبهوا لك الاشباه بقولهم لك هو مسحور فضلوا بذلك عن قصد السبيل واخطؤا طريق الهدى والرشاد فلا يستطيعون بقول فلا يجدون سبيلا الى الحق الا فيما بعثتك به ومن الوجه الذي ضلوا عنه ونحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس أنظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا أي النهوا الهدى في غير ما بعثتك به اليهم فضلوا فلن يستطيعوا ان يصيبوا الهدى في غيره وقال آخرون في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلا يستطيعون سبيلا قال مخبر جايخرجهم من الامثال التي ضربوا لك وقوله تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار يقول تعالى ذكره تقدس الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك واختلف أهل التأويل في المعنى بذلك الشئ في قوله جعل لك خيرا من ذلك فقال بعضهم معنى ذلك خيرا مما قال هؤلاء المشركون لك يا محمد هلا أوتيته وأنت لله رسول ثم بين تعالى ذكره عن ذلك الذي لو شاء جعل له من خير مما قالوا انه قال جنات تجري من تحتها الانهار ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك خيرا مما قالوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك قال مما قالوا وتمنوا لك فيجعل لك مكان ذلك جنات تجري من تحتها الانهار وقال آخرون عنى بذلك المشي في الاسواق والتماس المعاش. ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد ابن أبي محمد فيما يروي الطبري عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال ثم قال تبارك الذي ان شاء جعل لك من أن تمشي في الاسواق وتلتمس المعاش كما يلتمسه الناس جنات تجري من تحتها الانهار

وهب لك فى الدنيا خيرا مما قالوا فمعنى ذلك الخير بقوله جنات عن ابن عباس خيرا من ذلك أى مما عيروك بفقده الجنة الواحدة وعنه فى رواية عكرمة خيرا من المشى فى الاسواق لابتغاء المعاش وفى قوله ان شاء دليل على انه لا حق لاحد من العباد عليه لافى الدنيا ولا فى الآخرة وان حصول الخيرات معلق بمحض مشيئته وعنايته وقيل ان بمعنى اذا أى قد جعلنا لك فى الآخرة وبنينا لك قصورا والقصر المسكن الرفيع فيحتمل أن يكون لكل جنة قصر وأن تكون القصور مجموعة والجنات مجموعة وقال مجاهد ان شاء جعل لك فى الآخرة جنات وفى الدنيا قصورا عن طاوس عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وجبرائيل عنده قال جبرائيل هذا ملك قد نزل من السماء استاذن ربه فى زيارتك فلم يلبث الا قليلا حتى جاء الملك وسلم وقال ان الله يخيرك بين ان يعطيك مفاتيح كل شئ ولم يعطها أحدا قبلك ولا يعطيها أحدا بعدك من غير ان ينقصك مما ادخر لك شيأ فقال صلى الله عليه وسلم بل يجمعها لى فى الآخرة فنزلت هذه الآية وعن النبى صلى الله عليه وسلم عرض على جبرائيل عليه السلام بطحاء مكة ذهبا فقلت بل شبعة وثلاث جوعات وفى رواية أشبع يوما وأجوع ثلاثا فاحمدك اذا شبعت وأتضرع اليك اذا جعت قوله بل كذبوا بالساعة عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة فلهذا لا ينتفعون بالدلائل ولا يتأملون فيها اذ لا يرجون ثوابا ولا عقابا ويجوز أن يراد ليس ما تعلقوا به شبهة علية فى نفس المسألة بل انما حملهم على ذلك تكذيبهم بالساعة استثقالا للاستعداد لها واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا عطف على كذبوا بالساعة أى ومعدة لهم وقد يستدل به على أن النار مخلوقة ويحتمل أن يقال هو كقوله وناديا وسيق قالت الاشاعرة البنية ليست شرطا فى الحياة وتوابعها فاجروا قوله اذا رأتهم على ظاهره وقالوا لا امتناع فى كون النار حية رائية مغتاظة على الكفار والمعتزلة أولوا فقالوا معنى رأتهم ظهرت لهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر كان بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر فى البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر وقال

---

الانهار ويجعل لك قصورا قال أبو جعفر والقول الذى ذكرناه عن مجاهد فى ذلك أشبه بتأويل الآية لان المشركين انما استعظموا أن لا تكون له جنة يأكل منها وان لا يلقى اليه كنزوا واستنكروا ان يمشى فى الاسواق وهو لله رسول فالذى هو أولى بوعد الله اياه هو خير مما كان عند المشركين عظيما مما كان منكرا عندهم ومعنى بقوله جنات تجرى من تحتها الانهار بساتين تجرى فى أصول أشجارها الانهار كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد جنات تجرى من تحتها الانهار قال حوائط وقوله ويجعل لك قصورا يعنى بالقصور البيوت المبنية ونحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويجعل لك قصورا قال بيوتا مبنية مشيدة كان ذلك فى الدنيا قال كانت قريش ترى البيت من الحجارة قصرا كائنا ما كان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ويجعل لك قصورا مشيدة فى الدنيا كل هذا قالته قريش وكانت قريش ترى البيت من حجارة ما كان صغيرا قصرا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم ان شئت أن نعطيك خزائن الارض ومفاتيحها ما لم يعط نبى قبلك ولا يعطى من بعدك ولا ينقص ذلك مما لك عند الله تعالى فقال اجمعوها لى فى الآخرة فانزل الله فى ذلك تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصور ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا) يقول تعالى ذكره ما كذب هؤلاء المشركون بالله وأنكر ما جئتهم به يا محمد من الحق من أجل انك تأكل الطعام وتمشى فى الاسواق ولكن من أجل انهم لا يؤمنون بالمعاد ولا يصدقون بالثواب والعقاب تكذيبا منهم بالقيامة وبعث الله الاموات احياء لحشر القيامة وأعتدنا يقول وأعددنا لمن كذب ببعث الله الاموات احياء بعد فنائهم لقيام الساعة نارا تسعر عليهم وتتقد اذا رأتهم من مكان بعيد يقول اذا رأت هذه النار التى أعتدناها لهؤلاء المكذبين أشخاصهم من مكان بعيد تغيظت عليهم وذلك ان تعلى وتفور ويقال فلان تغيظ على فلان وذلك اذا غضب عليه فعلى صدره من الغضب عليه وتبين فى كلامه وزفيرا وهو صوتها فان قال قائل وكيف قيل سمعوا لها تغيظا والتغيظ لا يسمع قيل معنى ذلك سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد حدثنى محمود بن خداش قال ثنا محمد بن يزيد الواسطى قال ثنا أسباط بن نصر الهمدانى عن خالد بن كثير عن فديك عن رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتوكل على ما لم أقل فليتبوأ بين عينى جهنم مقعدا قالوا يا رسول الله وهل لها من عين قال ألم تسمعوا الى قول الله اذا رأتهم من مكان بعيد الآية حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر فى قوله سمعوا لها تغيظا وزفيرا قال أخبرنى منصور ابن المعتمر عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال ان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك ولا نبى الا خر ترعد فرائصه حتى ان ابراهيم ليجثو على ركبتيه فيقول يا رب لا أسألك الا نفسى حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد عن ابن عباس قال ان الرجل ليجر الى النار فتزوى وينقبض بعضها الى بعض فيقول لها الرجن مالك فتقول انه ليس يجير منى

الجبابرة ذكر اللهو وأراد اشتغالهم والمراد اذا رأتهم تغيظوا وزفروا وغضبا على الكفار وشهوة الانتقام منهم فسمع التغيظ صياروعن شدة الغضب وذلك لا يكون سمعوا وكيف قال الله سبحانه سمعوا لها تغيظا وأجيب بان المراد سماع ما يدل على التغيظ وهو الصوت أي سمعوا لها صوتا مشبه صوت المتغيظ قاله الزجاج وقال قطرب سمعوا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر متقلدا سيفا ورمحا يروى

ان جهنم تزفر زفرة لا يبقى أحد الا ترعد فرائصه حتى ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم يجثو على ركبتيه ويقول نفسي نفسي ومعنى وصف حال الكفار اذا كانوا بالبعد من جهنم ووصف حالهم عندما يلقون فيها عن ابن عباس انه يضيق عليهم المكان كما يضيق الزج في الرمح وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الاصفادون يرفعهم اللهب والاعلون يخفضهم الداخلون فيزدحمون في تلك الابواب الضيقة وقال بعضهم الله اكبر مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا وقال الصوفية المكان الضيق قلب الكافر في صدره كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا ثم ان أهل جهنم مع ما هم فيه يكونون مقرنين في السلاسل والاصفاد وقد مر في آخر سورة ابراهيم والثبور الهلاك ودعاؤه النداء بالويلاه وانثبوراه أي يقال يا ثبور فهذا أوانك وههنا اضمار أي يقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا بل ادعوا ثبورا كثيرا انكم وقعتم فيما ليس ثبور كهذا واحدا بل هو ثبور كثير لان العذاب أنواع وألوان لكل نوع منها ثبور لشدته بموقفا عنه أولانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم أولانهم يحدون بسبب آتنا

فيقول ارسلوا عبدي وان الرجل ليعبر الى النار فيقول اي رب ما كان هذا الظن بك فيقول فما كان ظنك فيقول ان تسعني رحمتك قال فيقول ارسلوا عبدي وان الرجل لعبر الى النار وتشوق اليه النار شهوق البغلة الى الشعير وتزفر زفرة لا يبقى أحد الا خاف ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) يقول تعالى ذكره واذا ألقي هؤلاء الكذبون بالساعة من النار مكانا ضيقا قد قرنت أيديهم الى أعناقهم في الاغلال دعوا هنالك ثبورا واختلف أهل التأويل في معنى الثبور فقال بعضهم هو الويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله وادعوا ثبورا كثيرا يقول ويلا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا يقول لا تدعوا اليوم ويلا واحدا وادعوا ويلا كثيرا وقال آخرون الثبور الهلاك ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا الثبور الهلاك قال أبو جعفر والثبور في كلام العرب أصله انصراف الرجل عن الشيء يقال منه ما ثبرك عن هذا الامر أي ما صرفك عنه وهو في هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم على انصرافهم عن طاعة الله في الدنيا والايمان بالله ورسوله حين جاءهم به نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى استوجبوا العقوبة منه كما يقول القائل وانداماتاه واحسرتاه على ما فرطت في جنب الله وكان بعض أهل العربية بكلام العرب من أهل البصرة يقول في قوله دعوا هنالك ثبورا أي هلكة فيقول هو مصدر من ثبر الرجل أي أهلك ويستشهد لقيله في ذلك ببيت ابن الزبعرى

اذ أجاري الشيطان في سنن ۞ الغي ومن مال ميله مثبور ۷

وقوله لا تدعوا اليوم أيها المشركون ثبورا واحدا أي مرة واحدة ولكن ادعوا ذلك كثيرا وانما قيل لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا لان الثبور مصدر والمصادر لا تجمع وانما توصف بما تتادى وقتها وكثرتها كما يقال قعد قعودا طويلا وأكل أكلا كثيرا حدثنا محمد بن سرزق قال ثنا حجاج قال ثنا حماد قال ثنا علي بن زيد عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم فيقال لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا) يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالساعة أهذه النار التي وصف لكم بكم صفتها وصفة أهلها خير أم بستان الخلد الذي يدوم نعيمه ولا يبيد الذي وعد من اتقاه في الدنيا بطاعته فيما أمره ونهاه وقوله كانت لهم جزاء ومصيرا يقول كانت جنة الخلد للمتقين جزاء اعمالهم لله في الدنيا بطاعته وثواب تقواهم اياه ومصيرا لهم يقول ومصير المتقين ويصيرون اليها في الآخرة وقوله لهم فيها ما يشاؤن يقول لهؤلاء المتقين في جنة الخلد التي وعدهموها الله ما يشاؤن مما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين خالدين فيها يقول لا يبغين فيها ظاعنين أبدا لا يزولون عنها ولا يزول عنهم نعيمها وقوله كان على ربك وعدا مسؤلا وذلك ان المؤمنين سألوا ربهم ذلك في الدنيا حين قالوا

قال القول نعقة فان المذنب اذا صاح وبكى وجد به راحة قال الكلبي نزل هذا كله في أبي جهل والكفار الذين ذكروا ذلك الشتيمات ثم وبخهم بقوله قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون أي وعدوها فحذف الراجع اليه وليس هذا الاستفهام كقول القائل السكر

أحلى أم للصبر ولكن الغرض منه التقريع كما اذا أعطى السيد عبده مالا فبذره أبى واستكبر فضربه ضربا وجيعا وقيل سيل التوبيخ هذا أطيب أم ذاك والاضافة فى جنة الخلد للتوضيح والتأكيد لا للتمييز فان الجنة معلوم ان نعيمها لا ينقطع قالت الاشاعرة فى قوله وعد دلالة على ان الجنة انما تستحق بحسب الوعد والفضل لا لاجل العمل وقالت (١٢٩) المعتزلة فى قوله المتقون اشارة الى ان الجنة لا تنال الا بالتقوى ولذلك أكد بقوله على سبيل التخصيص بسبب تقديم الجار كانت لهم جزاء ومصيرا أجابت الاشاعرة بان كونه جزاء ثبت فى الازل ولا عمل هناك قالت المعتزلة لا غفران لصاحب الكبيرة لان الجنة جاءت جزاء للمتقين خاصة فلا يعطى حقهم غيرهم أجابت الاشاعرة بانه لم لا يجوز ان رضى المتقون بادخال الله أهل العفو الجنة قال جار الله ذكر المصير مع ذكر الجزاء مدحا للثواب ومكانه كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا وفى قوله لهم فيها ما يشاؤن دلالة على ان حصول المرادات بأسرها لا تكون الا فى الجنة وأما فى الدنيا فالراحات فيها مخلوطة بالجراحات والضمير فى كان لما يشاؤن واستدلت المعتزلة بقوله على ربك ان ذلك واجب على الله حتى انه لو لم يفعل استحق الذم وأجيب بانه واجب بحكم الوعد لقوله وعدا مسؤلا كان الملكين سألوا بلسان الحال من حيث تحملوا المشقة الشديدة فى طاعته أو سألوه حقيقة بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أو سألته الملائكة فى قولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم أو من حقه ان يسأل ويطلب لانه حق واجب بحكم الاستحقاق أو بحسب الموعد على المؤمنين قوله ويوم نحشرهم رجوع الى قوله واتخذوا من دونه آلهة وظاهر قوله وما يعبدون انها الاصنام وظاهر قوله أأنتم أضللتم انه من عبد من العقلاء كالملائكة والمسيح فلاجل هذا اختلفوا فحمله قوم ومنهم الكلبى على الاوثان ثم قالوا لا يبعد ان يخلق الله تعالى فيها الحياة والنور والنطق أو أرادانهم تكلموا بلسان الحال وقال الاكثرون انه عام للاصنام والمعبودين العقلاء نظيره قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء

آ ثناما وعدتنا على رسلك يقول الله تبارك وتعالى كان اعطاء الله المؤمنين جنة الخلد التى وصف صفتها فى الآخرة وعدا وعدهم الله على طاعتهم اياه فى الدنيا ومسئلتهم اياه ذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس كان على ربك وعدا مسؤلا قال فسألوا الذى وعدهم وتنجزوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كان على ربك وعدا مسؤلا قال سألوه اياها فى الدنيا طلبوا ذلك فاعطاهم وعدهم اذ سألوه أن يعطيهم فاعطاهم فكان ذلك وعدا مسؤلا كما وقت أرزاق العباد فى الارض قبل أن يخلقهم فخلقها أقواتا للسائلين وقت ذلك على مسئلتهم وقدر أوقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى قوله وعدا مسؤلا الى انه معنى به وعد اوجبوا ذلك أن المسؤل واجب وان لم يسأل كالدين ويقول ذلك نظير قول العرب لاعطينك ألفا وعدا مسؤلا بمعنى واجب لك فنسأله ﴿القول فى تأويل قوله تعالى (ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) يقول تعالى ذكره ويوم نحشر هؤلاء المكذبين بالساعة العابدين الاوثان وما يعبدون من دون الله من الملائكة والانس والجن كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء قال عيسى وعزير والملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه أبو جعفر القارئ وعبد الله بن كثير ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول بالياء جميعا بمعنى ويوم يحشرهم ربك ويحشر ما يعبدون من دونه فيقول وقرأته عامة قراء الكوفيين نحشرهم بالنون فنقول وكذلك قرأه نافع وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب ان يقال انهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء يقول فيقول الله للذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله أنتم أضللتم عبادى هؤلاء يقول أنتم أزللتموهم عن طريق الهدى ودعوتموهم الى الغى والضلالة حتى تاهوا وهلكوا أم هم ضلوا السبيل يقول أم عبادى هم الذين ضلوا سبيل الرشد والحق وسلكوا العطب ﴿القول فى تأويل قوله تعالى (قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا) يقول تعالى ذكره قال الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى تنزيها لك يا ربنا وتبرئة مما أضاف اليك هؤلاء المشركون ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من أولياء نوالهم أنت ولينا من دونهم ولكن متعتهم بالمال يا ربنا فى الدنيا وأبحته حتى نسوا الذكر وكانوا قوما هلكى قد غلب عليهم الشقاء والخذلان وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا يقول قوم فدذهبت أعمالهم وهم فى الدنيا ولم تكن لهم أعمال صالحة حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وكانوا قوما بورا يقول هلكى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وكانوا قوما بورا

أيا كم كانوا يعبدون ثم قالوا ان لفظة ما قد تستعمل فى العقلاء أو أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم كما اذا أردت السؤال عن صفة زيد فتقول ما زيد تريد الطويل أم قصير والسائل الله وحده أو الملائكة باذنه وانما قالوا أنتم وهم ولم يقل أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل لان السؤال وقع عمن تولى فعل الاضلال لا عن نفس

يقول هلكى **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن وكانوا قوما بورا قال هم الذين لا خير فيهم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكانوا قوما بورا قال يقول ليس من الخير فى شئ أبور والذى ليس فيه من الخير شئ واختلفت القراء فى قراءة قوله ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من أولياء فقرأ ذلك عامة قراء الامصار بفتح النون سوى الحسن و يزيد بن القعقاع فانهما قرآه ان نتخذ بضم النون فذهب الذين فتحوها الى المعنى الذى بيناه فى تأويله من ان الملائكة وعيسى ومن عبد من دون الله من المؤمنين هم الذين تبرؤا ان يكون كان لهم ولى غير الله تعالى ذكره وأما الذين قرؤا ذلك بضم النون فانهم وجهوا معنى الكلام الى ان المعبودين فى الدنيا انما تبرؤا الى الله ان يكون كان لهم ان يعبدوا من دون الله جل ثناؤه كما أخبر الله عن عيسى انه قال اذ قيل أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى ان أقول ما ليس لى بحق ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم قال أبو جعفر وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه بفتح النون لعلل ثلاث احداهن اجماع الحجة من القراء عليها والثانية ان الله جل ثناؤه ذكر نظير هذه القصة فى سورة سبأ فقال ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم فاخبر عن الملائكة انهم اذا سئلوا عن عبادة من عبدهم تبرؤا الى الله من ولايتهم فقالوا لربهم أنت ولينا من دونهم فذلك يوضح عن صحة قراءة من قرأ ذلك ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من أولياء والثالثة أن العرب لا تدخل من هذه التى تدخل فى الجحد الا فى الاسماء ولا تدخلها فى الاخبار لا يقولون ما رأيت أحدا من رجل وانما يقولون ما رأيت من أحد وما عندى من رجل وقد دخلت ههنا فى الاولياء وهى فى موضع الخبر ولو لم تكن فيها من كان وجها حسنا واما البور فمصدر واحد وجمع للبائرة قال أصبحت منازلهم بورا أى خالية لا شئ فيها ومنه قولهم بارت السوق و بار الطعام اذا خلا من الطلاب وانشترى فلم يكن له طالب فصار كالشئ الهالك ومنه قول ابن الزبعرى

يا رسول المليك ان لسانى * راتق ما فتقت اذ أنا بور

وقد قيل ان بور مصدر كالعدل والزور والقطع لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وانما أريد بالبور فى هذا الموضع ان أعمال هؤلاء الكفار كانت باطلة لانها لم تكن لله كما ذكرنا عن ابن عباس فى القول فى تأويل قوله تعالى (فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا) يقول تعالى ذكره مخبرا عما هو قائل للمشركين عند تبرى من كانوا يعبدونه فى الدنيا من دون الله منهم فقد كذبوكم أيها الكافرون من زعمتم انهم أضلوكم ودعوكم الى عبادتهم بما تقولون اعنى بقولكم يقول كذبوكم بكذبكم وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فقد كذبوكم بما تقولون يقول الله الذين كانوا يعبدون عيسى وعزيرا والملائكة يكذبون المشركين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فقد كذبوكم بما تقولون قال عيسى وعزير والملائكة يكذبون المشركين بقولهم وكان ابن زيد يقول فى تأويل ذلك ما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال كذبوكم بما تقولون بما جاءكم من عند الله جاءت به الانبياء والمؤمنون آمنوا به وكذب هؤلاء فوجه ابن زيد تأويل قوله فقد كذبوكم الى فقد كذبوكم أيها المؤمنون

وفى تفسير الآية على القراءة الاولى وجوه الاول ان المعنى اذا كنا لا نرى أن نتخذ من دونك وليا فكيف ندعو غيرنا الى ذلك الثانى ما كان يصح لنا أن نكون أمثال الشياطين فى توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال تعالى فقالوا أولياء الشيطان يريد الكفرة عن أبى مسلم الثالث تقدير مضاف محذوف أى ما كان لنا أن نتخذ من دون رضاك من أولياء أى لم نعلم انك لا ترضى بهذا

ما فعلنا أو قالت الملائكة انا وهم عبيد ولا ينبغي لعبيدك أن يدعوا من دون اذنك وليا الرابع قالت الاصنام لا يصح منا أن نكون من العابدين فكيف يمكننا ادعاء انا من المعبودين وفي الآية دلالة على انه لا تجوز الولاية والعداوة الا باذن الله والولاية المبنية على ميل النفس وشهوة الطبع مذمومة شرعا والذكر ذكر الله والايمان به أو القرآن والشرائع أو ما فيه حسن ذكرهم في الدنيا والآخرة قالت المعتزلة في قوله ولكن متعتهم الخ دليل بين على ان الله عز وجل لا يضل عباده على الحقيقة والا كان جواب العبيد أن يقولوا بل انت أضللتهم لا أن يقولوا بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وعلى آبائهم بفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر فالحاصل انهم ضلوا بأنفسهم لا باضلالنا وقالت الاشاعرة بل فيه دلالة على ان الله تعالى هو المضل حقيقة كانهم قالوا الهنا أنت الذي أعطيتهم جميع مطالبهم في الدنيا حتى استغرقوا في بحر الشهوات وأعرضوا عن التوجه الى طاعتك والاشتغال بخدمتك فان هي الا فتنتك أما قوله وكانوا قوما بورا فالا كثرون على ان البور جمع بائر من البوار الهلاك كعائذ وعوذ وحائل وحول وحكى الاخفش انه اسم جمع يقال رجل بور رأي فاسد هالك لا خير فيه وامرأة بور وقوم بور كما يقال أنت بشر وأنتم بشر قالت المعتزلة صاروا الى الهلاك بسبب اختيارهم الضلال وقالت الاشاعرة أرادانهم كانوا في اللوح المحفوظ من جملة الهالكين ولو قيل انه فعل بالكافر ما صار معه بحيث لا يمكنه ترك الكفر صح القول بالقدر أيضا قوله فقد كذبوكم بالتاء للالتفات لاجل الالزام والفاء فيه تدل على شرط مقدر كأنه قال ان زعمتم انهم آلهتكم فقد كذبوكم

---

المكذبون بما جاءهم به محمد من عند الله بما تقولون من الحق وهو ان يكون خبرا عن الذين كذبوا الكافرين في زعمهم انهم دعوهم الى الضلالة وأمروهم بها على ما قاله مجاهد من القول الذي ذكرناه عنه أشبه وأولى لانه في سياق الخبر عنهم والقراءة في ذلك عندنا فقد كذبوكم بما تقولون بالتاء على التأويل الذي ذكرناه لاجماع الحجة من قراء الامصار عليه وقد حكي عن بعضهم انه قرأه فقد كذبوكم بما يقولون بالياء بمعنى فقد كذبوكم بقولهم وقوله جل ثناؤه فما تستطيعون صرفا ولا نصرا يقول فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف عذاب الله حين نزل بهم عن أنفسهم ولا نصرها من الله حين عذبها وعاقبها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال المشركون لا يستطيعونه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال المشركون قال ابن جريج لا يستطيعون صرف العذاب عنهم ولا نصر أنفسهم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال لا يستطيعون يصرفون عنهم العذاب الذي نزل بهم حين كذبوا ولا أن ينتصروا قال و ينادي مناد يوم القيامة حين يجتمع الخلائق يا أيها الكم لا تناصرون قال من عبد من دون الله لا ينصر اليوم من عبده وقال العابدون من دون الله لا ينصره اليوم الهه الذي يعبد من دون الله فقال الله تبارك وتعالى بل هم اليوم مستسلمون وقرأ قول الله جل ثناؤه فان كان لكم كيد فكيدون وروى عن ابن مسعود في ذلك ما **حدثنا** به أحمد ابن يونس قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال هي في حرف عبد الله بن مسعود فما يستطيعون لك صرفا فان تكن هذه الرواية عنه صحيحة مع التأويل الذي تأوله ابن زيد في قوله فقد كذبوكم بما تقولون ويصير قوله فقد كذبوكم خبرا عن المشركين انهم كذبوا المؤمنين ويكون تأويل قوله حينئذ فما يستطيعون صرفا ولا نصرا فما يستطيع يا محمد هؤلاء الكفار لك صرفا عن الحق الذي هداك الله له ولا نصرا أنفسهم مما بهم من البلاء الذي هم فيه بتكذيبهم اياك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ومن يظلم منكم أيها المؤمنون يعني بقوله ومن يظلم ومن يشرك بالله فيظلم نفسه نذقه عذابا كبيرا كالذي ذكرنا انا نذيقه الذين كذبوا بالساعة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثني الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج في قوله ومن يظلم منكم قال نذقه عذابا كبيرا **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله ومن يظلم منكم قال هو الشرك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام و يمشون في الاسواق و جعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا) وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه على مشركي قومه الذين قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام و يمشي في الاسواق وجواب لهم عنه يقول لهم جل ثناؤه وما أنكر يا محمد هؤلاء القائلون ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق من أكلك الطعام ومشيك في الاسواق وأنت لله رسول فقد علموا انا ما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام و يمشون في الاسواق كالذي تأكل أنت وتمشي فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة فان قال قائل فان من ليست في التلاوة فكيف قلت معنى الكلام الا انهم ليأكلون الطعام قيل قلنا في ذلك معناه ان الهاء والميم في قوله انهم كناية أسماء لم تذكر ولا بد لها من أن تعود على من كني عنه بها وانما تركت ذكر من

---

يقولكم انهم آلهة أو يقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا على اختلاف قراءتي الخطاب والغيبة قال جار الله الباء في الاول كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من كاف الخطاب كأنه قيل فقد كذبوكم بما يقولون وفي الثاني كقولك كتبت بالقلم فما تستطيعون أنتم يا كفارا وفيما تستطيعون آلهتكم على القراءتين بصرف العذاب عنكم وقبل الصرف التوبة لانها تصرف العاصي عن فعله وقبل الحيلة من قولهم انه

لينصرف أي يحتال ثم ذكر وعيد كل ظالم بقوله ومن يظلم الآية فاستدلت المعتزلة به على وعيد الفاسق وسيأتي الفسق طالم لقوله ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون والانصاف انه لا دلالة في الآية على مطلوبهم لان من ليست من صيغ العموم عند بعضهم وان سلم فلعل المراد الاكثر أو أقوام باعيانهم لقوله منكم وان سلم فلعله مشروط بعدم العفو كما انه مشروط عند المعتزلة بعدم التوبة ليسلم الجميع فاذاقة العذاب لا تدل على الخلود ثم بين بقوله وما أرسلنا الآية انه لا وجه لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام لان هذه عادة مستمرة من الله في كل رسله قال الزجاج الجملة بعد الاصفة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين الا آكلين وماشين واعتمد حذف لان في قوله من المرسلين دليلا عليه نظيره وما منا الا له مقام معلوم أي وما منا أحد وقال الفراء المحذوف هو الموصول والتقدير الا انهم من وقال ابن الانباري المحذوف هو الواو (١٣٢) بعد لا فتكون الجملة حالا كقوله وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة قال الكلبي والفراء والزجاج ان هذا في رؤساء المشركين كأبي جهل وغيره وفي فقراء الصحابة كأنه اذا رأى الشريف الوضيع وقد أسلم قبله أنف ان يسلم فاقام على كفره ليظل يكون الوضيع السابقة والفضل عليه دليله قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه وعن ابن عباس والحسن انه في أصحاب البلاء والعافية يقول أحدهم لم أجعل مثله في اخلاق والخلق والعلم والعقل والرزق والاجل وغير ذلك يؤيده ما روى عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم وويل السلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان وويل للشديد من الضعيف وللضعيف من الشديد بعضهم لبعض فتنة وقرأ هذه الآية وقال آخرون انما احتجاج عليهم في اختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مع مساواته اياهم في البشرية وصفها فابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وبناصبتهم لهم العداوة وأنواع الاذى وابتلى المرسل اليهم بالتكليف وبذل النفس والمال وصبروا ورتهم تابعين خادمين بعد ان كانوا متبوعين مخدومين قالت الاشاعرة في هذا الجعل اشارة الى مذهبنا في القدر وقال الجبائي هذا الجعل بمعنى التعريف كما يقال فبين بين ان فلانا لص انه جعله لصا قال في الكشاف موقع أتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع أيكم يعد الابتلاء في قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا قلت أرادان كلا من الابتلاء والفتنة يستدعي التمييز فيحسن الاستفهام بعده أي يفتنكم ليظهر انكم تصبرون على البلاء أم لا وأما الاظهر ان الاستفهام غير متعلق بالفتنة وانما هو مستأنف للوعيد كقوله فهل أنتم منتهون ويؤيده قوله وكان ربك بصيرا علما بمن صبر ومن لا يصبر فيجازي كلا منهم بحسب ذلك وقيل في الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عما يعيرونه به من الفقر فقد جعل الاغنياء فتنة للفقراء وقيل جعلناك فتنة لهم حين بعثناك ضعيفا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله ولو كنت غنيا صاحب كنوز كقارون لم يظهر الطمع من المخلص وقالت الصوفية أتصبرون يا معشر الانبياء على ما يقولون ويا معشر الامم مما يقولون والله أعلم

واظهاره في الكلام اكتفاء بدلالة قوله من المرسلين عليه كما اكتفى في قوله وما منا الا له مقام معلوم من اظهار من ولا شك أن معنى ذلك وما منا الا من له مقام معلوم كما قيل وان منكم الا واردها ومعناه وان منكم الا من هو واردها فقوله انهم ليأكلون الطعام صلة لمن المنزول كما يقال في الكلام ما أرسلت اليك من الناس الا من انه ليبلغك الرسالة فانه ليبلغك الرسالة صلة لمن وقوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة يقول تعالى ذكره وامتحنا أيها الناس بعضكم ببعض جعلنا هذا نبيا وخصصناه بالرسالة وهذا ملكا وخصصناه بالدنيا وهذا فقيرا وحرمناه الدنيا لنختبر الفقير بصبره على ما حرم مما أعطيه الغني والمالك بصبره على ما أعطيه الرسول من الكرامة وكيف رضي كل انسان منهم بما أعطى وقسم له وطاعته ربه مع ما حرم مما أعطى غيره يقول فمن اجل ذلك لم أعط محمدا الدنيا وجعلته يطلب المعاش في الاسواق ولا تبتلي أيها الناس واختبر طاعتكم ربكم واجابتكم رسوله الى ما دعاكم اليه بغير عرض من الدنيا ترجونه من محمد أن يعطيكم على اتباعكم اياه لاني لو أعطيته الدنيا سارع كثير منكم الى اتباعه طمعا في دنياه أن ينال منها وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء قال ثني عبد القدوس عن الحسن في قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة الآية يقول هذا الاعمى لو شاء الله لجعلني بصيرا مثل فلان ويقول هذا الفقير لو شاء الله لجعلني غنيا مثل فلان ويقول هذا السقيم لو شاء الله لجعلني صحيحا مثل فلان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون قال يسلك عن هذا ويوسع على هذا فيقول لم يعطني مثل ما أعطى فلانا ويبتلي بالوجع كذلك فيقول لم يجعلني ربي صحيحا مثل فلان في أشباه ذلك من البلاء ليعلم من يصبر ممن يجزع حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد فيما روى الطبري عن عكرمة أو عن سعيد عن ابن عباس قال وأنزل عليه في ذلك من قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق الآية وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون أي جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا الهدى بغير أن أعطيهم عليه الدنيا ولو شئت أن جعل الدنيا مع رسلي فلا يخالفون لفعلت ولكني قد أردت أن أبتلي العباد بكم وابتليكم بهم وقوله وكان ربك بصيرا يقول وربك يا محمد بصير بمن يجزع ومن يصبر على ما امتحن به من المحن كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وكان ربك بصيرا ان ربك لبصير بمن يجزع أو يصبر

*(تم الجزء الثامن عشر من تفسير ابن جرير الطبري ويليه الجزء التاسع عشر أوله القول في تأويل قوله تعالى (وقال الذين لا يرجون)*